العائلة... قلعة

حصّنها الله ورسوله



يوسف بعدراني


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ربّنا وأدخلهم جنّات عدنٍ التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم إنك أنت العزيز الحكيم.﴾
[٨ - المؤمن]

العائلة... قلعة

حصّنها الله ورسوله

كتاب

الزوجة مع زوجها

تأليف

يوسف أحمد بعدراني

الناشر

دار المسافر للنشر

ص. ب. ٧٦٧٦ بيروت لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م

طُبع منها ٣٥٠٠ نسخة

التوزيع

دار العلم للملايين

بيروت ـــ لبنان

الفهرس

الإهداء

بعد سيّدات أهل الجنّة اللاتي سمّاهنّ الرسول ﷺ:

☆ سيّدتنا آسيا بنت مزاحم، امرأة فرعون، ملك الأرض في زمنه، التي تابت إلى ربّها توبة لا تصل إلى درجتها امرأة إلى يوم القيامة.

☆ سيّدتنا مريم المتعبّدة التي نذرت نفسها للعيش في المحراب موضع العبادة لله، معجزة الله الفريدة منذ خلق حوّاء إلى قيام الساعة، أمّ نبيّ الله ورسوله وعبده المطيع عيسى عليه السلام.

☆ سيّدتنا خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، أمّ المؤمنين، وأولى المؤمنين بنبوّة الرسول ﷺ أمّ سيّدتنا فاطمة.

☆ سيّدتنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيّد الأنبياء والرسل والبشر أجمعين، أرقى نساء أهل الأرض نَسَباً وأجلّهم حَسَباً.

☆ سيّدتنا عائشة بنت أبي بكر، أمّ المؤمنين رضي الله عنها، أحبّ أزواج الرسول ﷺ إلى قلبه الطاهر المطهّر وينبوع سروره.

أجل، بعد هذه السيّدات الطاهرات المطهّرات، سيّدات نساء أهل الجنّة قاطبةً اللاتي يقفن وحدهنّ أمة من دون باقي البشر، يستطيع المرء أن يتذكّر ويدعو بالرضوان والمغفرة إلى المرأة التي أثّرت فيه فكريّاً أو عاطفيّاً.

ثلاث فاطمات في الدنيا أثّرنَ فيَّ تأثيراً جامعاً لا يمكن لأحد آخر أن يشاركهنَّ فيه بشيء ولو يسير:

فاطمة ابنة الخليفة عبد الملك. شقيقة الخلفاء الأربعة. الوليد وسليمان ويزيد وهشام. وزوجة الخليفة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، محطّ كل الإعجاب والتقدير التي يمكن للنفس البشريّة أن تتجيّش به من كتب التاريخ، أعرق نساء زمنها حسباً، تلبَّسَها المجد والسؤدد تلبس السوار بالمعصم، أحاط بها الفخر والملك كما يحيط الرداء بجسد المرأة المؤمنة، فضفاضاً، أنار لها الجاه والعزّ كلّ طريق وأغناها الغنى عن كلّ ذهب وجوهر.

هذه السيّدة التي استبدلت كلّ نعم الله عليها بنعمة طاعتها لزوجها المؤمن الذي استخلفه الله في عباده فانشغل عنها بعبادة الأمر بحكم الله بين الناس.

هذه المرأة، التي جعلها اللهُ آيةً من آياته بين الناس، ونبراساً تراه الأمم من النساء فلا يكون المجد بعدها لأيّ امرأة سبباً في التكبّر على الرجل، ولا يكون النفوذ مهما اتسع بعد نفوذها سبباً في التقصير بإرضاء زوجها، ولا يكون الجمال بعد جمالها سبباً في الغرور والتعالي عن فرض الخضوع والتواضع للزوج.

هذه المؤمنة التي نبذت كلّ أمجاد الدنيا وكنوزها لتتفرّغ إلى تأدية حقّ زوجها ليتقبّل الله منها عبادتها، حباها الله بمجدٍ ومالٍ وجمالٍ ودينٍ ما لم يعطه لامرأة أخرى قد يكون في التاريخ كلّه ليمتحن إيمانها، ولتكونَ منارةً بين نساء الأرض يضيء نور هدايتها ظلمات الشيطان بالنفوس.

لروح هذه السيّدة، فاطمة زوج الخليفة عمر بن عبد العزيز، أتضرّع إلى الله داعياً لها بالمغفرة والرضوان وأن ينزل على روحها في قبرها السكينة

والطمأنينة.

وفاطمة أمّي. أحببتها حبّاً موصوفاً، كنت أبكي عندما أذكرها وهي حيّة بعيدة، وما زلت أبكي عندما أذكرها وهي ميّتة في قبرها منذ ثلاثة عشر عاماً. أبكي تفانيها في حبّ والدي وتأمين الراحة له وخدمته في أيّام مرضه وتربيتنا لطاعته وعبادة الله.

أبكي صبرها على بلاء الله الذي لم يكن عائقاً للسعي في ترفيه زوجها والقيام بواجبه. أبكي سعيها الدؤوب دون ملل أو كلل بتحمّل مسؤوليّاتها الزوجيّة وواجبات الأمومة بحسن الخلق والحمد الدائم للباري تعالى على فضله عليها بالزوج والبنين.

أمي، كانت زوجة يفزع الشيطان من حضورها لرسوخ إيمانها وخيفتها من ذات المعصية قبل أن يصل تفكيرها إلى الربط بين المعصية وعقاب الله عليها.

لنفسها الزكيّة أستمطر رحمة ربّي وأسجد داعياً بنفسٍ عابدة خاشعة أن يحقّق فينا وعده باجتماع الصالحين نسباً وذرّيّة في الآخرة.

إلى ذكراها التي كانت حافزاً لهذا الموضوع أقول لأمّي: هنيئاً لك بما أسلفت ولترضَ روحك فالشيطان قد خزاه الله في ذرّيتك كما خزاه في دارتك.

وفاطمة، زوجتي!!

عربون حبٍّ وأمل لابنتيَّ عبير وعلا وأخواتي وبنات إخوتي أن يهتدينَ ويكنَّ من القانتات الحافظات للغيب العابدات لله الصالحات، إليهنَّ وإلى كلّ امرأة تطمع برحمة ربّها وجنّة عرضها السموات والأرض أهدي: العائلة... قلعة حصنها الله ورسوله●

تمهيد بدون عنوان

حقائق كثيرة فاجأتني بنتائجها التي كنت أستنتجها من أحاديث الرسول ﷺ. أترك لكم تقدير مستوى تأثيرها على مسار حياتكم ومساعدتكم على وضع أيّ خلاف زوجي في إطاره الصحيح وسهولة معالجته أو إزالته بالرضوخ لحكم الله.

أمر الله الأقارب والحكّام بنصح الزوجين وتذكيرهما بحكم الله في أمرهما قبل إيقاع الطلاق بينهما. ولكنّ الفرديّة طغت على العلاقات وأصبح المرء يخجل من استشارة غيره أو يأنف منها، وبذلك عزف عن الاستنصاح وأخذ يعتمد على اجترار أفكاره عساه يستنبط منها رشداً. ونسي أنّ ذلك حرام محرّم على المسلم لأنّ الأمر كلّه يعود إلى ما أمر به الله ورسوله. فإلى الذي يرغب بالنصيحة ويظنّ أنّ طلبها وضيعة، وإلى الذي يريد رشداً ويظنُّ مصادره صعبة، وإلى الذي يظنّ امرأته سيّئة غير قابلة لإصلاح أمرها، وإلى من تظنُّ زوجها سيئاً لا حياة لها معه، إلى المرأة التي عميت بصيرتها عن وضوح رؤية دورها في الحياة، إلى المرأة التي أمسك الشيطان بأطراف أمرها يتقاذفها كيف يشاء وهي في بُعدٍ سحيق عن إدراك مصيرها، إلى المرأة التي تقوم بالمعصية الزوجيّة طائعة للشيطان وتمتنع عن الزنى خوفاً من الله، إلى المرأة التي تصلّي لأنّها اتخذت الله ربّاً وعصت

زوجها منصاعةً لهواها، فجعلت لنفسها ربّين دون أن تدري: ربّاً للصلاة وربّاً للمعصية، بينما الله ربُّ كلّ شيء في الوجود، وإليه وحده يصعد العمل الطيّب، إلى المرأة التي تطلب السعادة في الحياة والجنّة في الآخرة.

وحتى تقلّ حالات سوء الفهم الناتجة عن الجهل في واقع الزواج، ومن أجل وضع كثير من الخلافات في إطارها الواقعي، فلا تتحوّل إلى مأساة طلاق وتشريد عائلة، ندعو إلى التزام أحكام ديننا وتحكيمها في أمورنا، للتقيُّد به والعمل به. والتخلّي عن ذلك ارتكابٌ لثلاث معاصٍ شرعيّة أدناها كبيرة من الكبائر وثانيها كفرٌ عظيم:

١. التخلّي عن الإيمان لأنّ الإيمان تصديقٌ وعمل، وتصديق بدون عمل يضع الإنسان في خانة المنافقين أو مرتكبي الكبائر.
٢. خروج من صفة «عبادي» التي يسمّي بها الله أهل الجنّة وبذلك تحرُم الجنَّة على مَن يعرف حكم الله ولا يعمل به لأنّه يكون قد أطاع الشيطان.
٣. معصية إقامة كيان العائلة على غير الأساس الذي أمر الله به وما يؤدّي ذلك إلى هدم أحكام الإسلام في الحياة يستحقُّ فاعله أشدَّ العذاب.

فالتقيّد بحكم الله في كلّ أمر هو الطريق الوحيد إلى الجنّة وإلى المجد والسعادة في الدنيا والآخرة. ومعرفة الحكم إنّما تكون لغايةٍ محدَّدةٍ واضحة.

أهمّيّة موضوع العائلة في دين الله الذي جبَّ جميع الأديان التي أنزلها الله قبل الإسلام، كموضوع الحكم بما أنزل الله للفصل في خلافات البشر وإعلان الحرب على مَن يمنع انتشار فكر الإسلام واعتناقه وإقامة أحكامه بين الناس وبين الدول؛ ركيزة من ركائز هذا الدين وقاعدة من قواعده إن لم يكن قاعدة من قاعدتين.

البحث في العائلة، رغم محاولات كثيرة قام بها المؤلّفون، لم يُعطَ حقَّهُ في التجديد والاستنارة. والكتب التي كُتبت عن العائلة كما أمر بها سبحانه وتعالى أن تكون وبما جاء في هدي سنّة رسوله ﷺ، كانت دائماً دون تحديد لواقعها مشتّتة غير متوحّدة الموضوع وكأن القصد محصور في جمع أحكامها. وأيضاً، في غالبيّتها أُخذت لذاتها ودونما اعتبارٍ لمتعلّقاتها. فغاب عنها الهدف من الكتابة فيه ممّا أفقدها العمقَ اللازم للبحثِ وبالتالي أفقد تلك الكتابات قدرة التأثير والتوجيه في صيانة العائلة المسلمة من التيّارات الفكريّة الشيطانيّة التي عمل الكفّار، أعداء الله وأعداء كلّ مَن آمن بالله ورسوله، مئات السنين دون كللٍ أو مللٍ ليلَ نهار لتحويل العائلة المسلمة إلى كيان يُعشِّشُ فيه الضلالُ والباطلُ فيزدهر وينتشر منها باطلٌ وكفرٌ وابتداعٌ شيطاني جديد.

الفكر الإسلامي وحده من بين أفكار الدنيا الذي يحتّم ممارسة العمل به ويجعله شرط الإيمان والكفر والجنّة والنّار. فلا يكون الإنسان مسلماً ولا مؤمناً إن عرف أحكاماً إسلاميّةً لم يطبِّقها على نفسه وفي حياته حيث يلزم. ونحن إذ نقدِّم هذه الأفكار الإسلاميّة التي تحدِّد كيان العائلة المسلمة وهدفها من هذا الكيان إنّما بقصد التزام المسلمين بها لتعود العائلة معقلاً لإقامة أحكام الله ومنارةً للهداية إلى دين الله ويهزموا الشيطان الذي سيطر على حياتهم سنين دون وعي منهم على الجهل والضلال الذي يحيون فيه. فالشيطان لا ينهزم إلاّ بإقامة حكم الله. ففي كلِّ أمر يواجهه المسلم يحاول الشيطان أن يغريه بمعالجة الأمر بأيّة وسيلة غير الوسيلة الشرعيّة. وحده التمسُّك بالمعالجة الشرعيّة يهزم الشيطان.

في هذا العصر الذي تكاثرت فيه شياطين الأنس على شياطين الجنّ، وفي هذا الزمن الذي لم يَبقَ في الأرض موطنٌ واحدٌ للإيمان حيث أحكم إبليس قبضته على عنق البشر أجمعين؛ لم يعد لأيّ فرد أو أمّة الإسلام غير

القرار الجازم بمواجهة الواقع ، وقائع الحياة بأحكام الله ورسوله. فمعرفة الحكم الذي يحتاجه الواقع من أجل التقيّد بذلك الحكم وتطبيقه هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من غضب الله وعذابه.

جديد هذا الكتاب أنّه أكمل نواقص الموضوع وأزال الغموض عن غوامضه واستغنى عن طويله بعمقِه ووحّدَ مُتَفَرِّقَهُ بالتركيز على مقصدِهِ، وفي ترتيب أحكامه أبان التوافق والتلاقي في الأحكام والمقاصد بدل الاختلاط والإبهام. وفي كلّ هذا ومن كلّ هذا جاء النتاج ليس جديداً بقدر ما هو متمايز مغاير غير مشابه لكلّ ما قيل وكُتب في موضوع العائلة.

الله من وراء القصد: الأوّل أن يتحرّك المسلم في إقامة كيان ذاتي يحارب به الشيطان ويتّخذه عدوًّا كما أمره الله.

الثاني أن يقرِّر المسلم القبول والرضى بحكم الله وطاعته لله سبحانه بالتقيّد بأحكامه حتّى تتحوّل حياته إلى حياة مؤمن يصدّق ويعمل بأمر الله، فيتحوّل إلى جرّافة تهدم الغثّ البالي من بنيان الكفر في المجتمع، ومع غيره يشيع حكم الله في المجتمع وتقوم دولة تحكم بما أنزل وأمر به الله وحده ●

المؤلّف

يوسف أحمد بعدراني

بيروت ١٩ رجب ١٤١٤هـ

الموافق ١ / ١ / ١٩٩٤م

العائلة... قلعة

حصّنها الله ورسوله

كتاب

الزوجة مع زوجها

الفصل الأول

- العائلة... قلعة الإسلام حصّنها الله ورسوله من الشيطان
- المعاشرة

١ ـ تحريم إفشاء الّسر بين الزوجين والكُفر بالعشير

٢ ـ الغيبة

- الرعاية

العائلة... قلعة الإسلام
حصَّنها الله
ورسوله من الشيطان

إنّ التخلّف الذي يعيشه المسلمون واقع ملموس في جميع نواحي الحياة. والتخلّف أو الانحطاط عندما يعمّ المجتمع يكون سببه الأساسي واحداً، ومن المحتّم أن يكون سببه واحداً لأنّ السلوك الإنساني كلّه وتجاه أيّ شيء ينطلق من قاعدة واحدة هي العقل، الذي بعقيدته الرئيسيّة للأفكار وقناعاته يوجّه سلوك الإنسان تجاه الموجودات والأحداث.

فانحطاط الإنسان أو ارتقاؤه يرتبط مباشرة بحال عقيدته الرئيسيّة لأفكاره التي تحدّد له مساره في الحياة لأنّها في ذاتها تحدّد له مهمّته التي عليه إنجازها خلال مدّة بقائه حيّاً على هذه الأرض، بغضّ النظر عن مدّة حياته وعن إمكانيّاته المادّيّة أو الفكريّة. ولا بدّ أن يكون لكلّ أمّة ولكلّ مجتمع ولكلّ عائلة ولكلّ فردٍ ذكراً أو أنثى مثل هذه القاعدة الرئيسيّة للأفكار حتّى لو كانت مزيجاً تافهاً أو متناقضاً ممّا استطاع أن يجمعه من أفكار يشكّل به قاعدة يقتنع بها.

وبحسب صلاح وتماسك هذه القاعدة الرئيسيّة للأفكار وبحسب الالتصاق والتقيّد بما توجبه يكون مستوى الرقي الإنساني فرديّاً، عائليّاً، مجتمعاً أو أمّة.

أمّا الدليل القاطع لصلاح هذه القاعدة الفكريّة فهو توافقها مع طبيعة الإنسان وفطرته. وطبيعة الإنسان ليست مجموعة غرائز وحسب بل جوعات وغرائز وعقل وميول، فأيّ قاعدة فكريّة تغفل جزءاً من طبيعته يؤدّي السلوك بحسبها إلى التعاسة والشقاء. وبذلك لا تكون صالحة لأنّ أمنية الإنسان في الحياة هي السعادة نقيض التعاسة والشقاء. والإنسان بطبيعته وفطرته أي بجوعاته وغرائزه وعقله ضعيف جدّاً وعاجز كلّيّاً أن يقرّر ما هو الصالح وما هو شرّ له، لذلك منذ بدء وجوده استعان بالله تعالى ليساعده في تبيان الخير والشرّ له. وكان الله يمدّه دائماً بسبل الهداية.

لكنّ إبليس كان يقعد للإنسان في كلّ مكان وناحية ويوسوس له في كلّ أمرٍ ليضلّه عن الرأي السديد الذي هداه الله إليه، وبذلك انقسم الجنس البشري إلى من يتمسّك بهداية الله له وإلى من يستجيب لتضليل إبليس. فمن اهتدى سُمّي مؤمناً ومن لم يهتدِ سُمّي بما رضي أن يفعله ليرضي إبليس به وليس نفسه، لأنّ النفس تشقى وتتألّم وتتعذّب من السير بأفعال إبليس، فكان من تسمياته بحسب فعاله مشركاً أو كافراً أو فاسقاً أو منافقاً أو ظالماً أو عاقّاً أو خائناً وهكذا. وحياة المؤمن كانت حياةً سعيدة هانئة لأنّه تستحيل الحياة السعيدة والهنيئة مع إبليس كما يستحيل الشقاء بالإيمان، ومصير المؤمن إلى جنّةٍ لا يمكن لعقل أو لسان وصفها لكثرة النعم فيها، ويستحيل أن لا يكون مصيره إلى الجنّة إذا رحمه ربّه لأنّ الله كتب على نفسه الرحمة للمؤمنين وغفران ذنوبهم التي لا تخرجهم عن الإيمان مهما كانت كثيرة، صغيرة أو كبيرة. تماماً بعكس مصير رفيق إبليس أو تابعه الطاغوت . الذي رضي التصرّف بحكم غير حكم الله الذي يستحيل أن يكون بإذن الله إلاّ في جهنّم لأنّ الله كتب على نفسه أن يملأها بمَن رضي بالطاغوت حكماً وإبليس سيّداً. وجهنّم أيضاً يعجز العقل واللسان عن وصف شدّة العذاب فيها.

الفرد في العائلة تختلف نوعيّة واجباته عمّا في الجهاد أو في العمل، فحياة وكيان

العائلة جزء من عالم الحياة. والتنظيم التي أتى به القرآن الكريم والسنّة الشريفة، تنظيم للحياة التي جزء كبير منها العائلة.

فالله خلق آدم أوّلاً وجعل له في صدره ثمانية عشر ضلعاً في جهة اليمين وأخر في جهة اليسار من صدره، فلّما أراد أن يخلق حوّاء أخذ الضلع الأعلى من الجهة اليسرى في صدر آدم عليه السلام وهو أكثر الأضلع الثمانية عشر اعوجاجاً، وخلق منه أمّنا حوّاء. ولهذا بقي في الجهة اليسرى من كلّ رجل يولد سبعة عشر ضلعاً. وعمليّة الخلق هذه زرعت في كلّ امرأة تلد على هذه الأرض حاجاتها إلى رجل يرعاها ويساعدها في أمور الحياة ويكون قيّماً عليها وحامياً لها. وبذلك جعل الله للرجال على النساء درجة حسب الآية الكريمة **﴿...ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم﴾ [٢٢٨ البقرة]**.

ومعنى هذه الآية أنّ المعاشرة بين الزوج والزوجة هي معاشرة بالمعروف والحسنى أي كلّ يقوم بواجبه الحياتي في المعاشرة يتحمّل مسؤوليّاته ويؤدّي أعماله بطيب نفس، أمّا **﴿وللرجال عليهنّ درجة﴾** فتعني أنّ للرجال منزلة أعلى ليست للنساء. فعلى الرجل الجهاد والتفكير بتدابير الحياة والعمل وأن يجمع القوّة اللازمة لحماية عائلته وله من الميراث أكثر لما عليه من موجبات الإنفاق على عائلته ودفع المهر، ويتحمّل مسؤوليّة القضاء والإمامة، ومسؤوليّة الإنفاق والرعاية لزوجه وأطفاله، وله الشهادة وأن يتزوّج على زوجته وله الطلاق وعليها طاعته. وإذا كانت كلّ هذه لا تكفي لتميّز الرجل عن المرأة في واقع الحياة فيكفي أن تكون خلقها الله من ضلع منه. وقال عليه الصلاة والسلام: «لو أمرت أحداً بالسجود لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». وقال الله عزّ وجلّ: **﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾** ومعنى **﴿قوّامون﴾** أُمِّروا عليهنّ، أي على المرأة أن تطيع زوجها وهذا

جزء من طاعتها لله. ومعنى **﴿بما فضّل الله بعضهم على بعض﴾** من كون الرجال منهم الأنبياء والخلفاء والحكّام والأئمّة والمجتهدون والقوّاد والمجاهدون، وزيادة قدرة العقل والتزامات الدين وصلوات الجُمَع والاجتماعات ومباشرة المسؤوليّة والرعاية لشؤون الأمّة وللرجل أن يتزوّج بأربع ولا يحلّ للمرأة غير زوج واحد وزيادة النصيب في الميراث وبيده الطلاق ولا تتزوّج المرأة إلاّ أن يزوّجها رجل وليّ لها وللرجل حقّ رجعتها وإليه يكون انتساب الولد. ومعنى **﴿قانتات﴾** قائمات بما يجب عليهنّ من حقوق أزواجهنّ التي بيّنها الله في آياته وأحاديث نبيّه وتوجبها وقائع العشرة والمعاشرة. ومعنى **﴿حافظات للغيب﴾** حفظ نفوسهنّ عند غيبة أزواجهنّ ومن حفظ أنفسهنّ حفظ ألسنتهنّ من استغابة أزواجهنّ بما فيهم ممّا لا يطّلع على حالهم إلاّ الأزواج، فسرّ العشرة أمانة عند الزوجة. ومن حفظ نفوسهنّ حفظ فروجهنّ وعوراتهنّ عن كلّ أجنبي وحفظ أموال أزواجهنّ في غيبتهم وحضرتهم.

إنّ الله جعل الزوجة مِنّةً منه على عباده من الرجال فقال: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾** الروم ٢١. أي جعل الزوجة التي يطمئنّ إليها الرجل ويقدّم إليها المودّة والرحمة وما يؤدّي به ذلك من جماع وولد واطمئنان وإفضاء إلى زوجه بمكنونات قلبه وعقله دون سابق معرفة قبل الزواج معجزة من معجزات الله الكبرى في الحياة.

إنّ الله قد كرّم المرأة وساواها في الأجر والثواب مع الرجل. فبالرغم من تحميله الرجل مسؤوليّات أكبر ومهام أكثر وأخطر من تلك التي أوجبها على المرأة فإنّه سبحانه وتعالى ساوى بالأجر والثواب بينهما كما ساوى في العقاب.

وحملة العرش يدعون للآباء وأزواج المؤمنين سَواء بسواء دون تفريق حيث يقول تعالى عن لسان حملة العرش وهم يستغفرون للذين آمنوا: **﴿ربّنا وأدخلهم جنّات عدنٍ التي وعدتهم ومَن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم إنّك**

أنت العزيز الحكيم﴾ [٨ المؤمن]. وجعل شرط دخول الجنّة للذكر والأنثى واحداً بقوله: **﴿... ومَن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب﴾** المؤمن ٤٠. فليس الأمر في الإسلام مفاضلة بين الذكر والأنثى بل تحديد مهمّات بما يتوافق وطبيعة كلّ منهما. ولمّا كانت طبيعة المرأة أنّها أمّ فقد خُلِقَت فيها ينابيعُ دافقةٌ بالحبّ والرحمة والشفقة أغزر من تلك التي وجدت في الرجل. ومن الطبيعة البشريّة أنّ مَن قَوِيَت عنده هذه الأحاسيس تضعف عنده قدرة التمسّك والتقيّد بالثوابت والقناعات العقليّة التي تمتحن في المواقف والسير في أمور الحياة بما يتوافق والقواعد والقناعات الفكريّة دون تأثير طاغ لأيّ ميل عاطفي ذاتي. ولهذا جاء الشرع في معظم أمور الحياة التي تحتاج إلى القدرات العاطفيّة الطاغية يجعلها مسؤوليّة المرأة. وفي معظم أمور الحياة التي تحتاج إلى إعمال العقل وأخذ القرار بالقيام بما يجب القيام به، من مسؤوليّة الرجل.

وقد تنبّه إبليس الملعون المرجوم إلى هذه الخصائص في طبيعة المرأة والرجل ورأى أنّ باب الولوج إلى العائلة والمجتمع لإفساده هو في السيطرة على المرأة. فمتى سيطر إبليس على المرأة أفسد العائلة وفكّكها وأمكنه هذا الإنهيار أن يوجد الأجواء المؤاتية لبثّ أيّ فكرٍ شيطاني لتفسيخ المجتمع وهدم ما يقوم عليه من أفكار وقيم، ويؤدّي به إلى الانحلال وتحكّم الطاغوت به. فليس تجنّياً أن يركّز الرسول عليه الصلاة والسلام إلى تحذير المرأة والرجل من سيطرة الشيطان على المرأة، وليس رجماً بالغيب أن يقول ما معناه أنّ أكثر النساء في جهنّم بسبب سهولة انجرافهنّ إلى مكائد إبليس اللعين. وضعف حوّاء واستسلامها إلى إبليس ومشيئته بأكل ثمرة الجنّة التي حرّمها الله عليها وعلى آدم ليمتحنهما كان النجاح الأوّل لإبليس في تجربته الخبيثة. فقد رأى إبليس أنّه لا سبيل للإيقاع بآدم عليه السلام إلاّ بواسطة حوّاء التي بعد غواية الشيطان لها واستسلامها، بذلت جهدها لإقناع آدم بقطف الثمرة المحرّمة، وقد عارض آدم وتردّد ولكنّها

بعد أن تبنّت قضيّة إبليس حاورته وبقيت عليه مصرّة تعطيه الحجّة الشيطانيّة تلو الأخرى حتّى استسلم ووقع وأوقع نسله بالندامة. وقد قال ﷺ: «الخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان»، أي مكائد الشيطان وقال: «إتّقوا النساء فإنّ أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء» وقال عليه الصلاة والسلام: «إنّ المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان».

وقال: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» ومعناه نظر الشيطان إليها ليغويها ويغوي بها. ولهذا قال ﷺ: «إنّ أقلّ ساكني الجنّة النساء»، لذلك وحتّى يدرأ الله خطر النساء ويخفف تأثيرهنّ على مسيرة حياة الأمّة بسبب سهولة خضوعهنّ للشيطان أمرت أحكامُهُ بفصل مجتمع النساء عن الرجال، وبحجابهنّ، حتّى يصعب على الشيطان استشرافهنّ ونفخ طلباته فيهنّ بإثارة رغباتهنّ أو تحريكها. ومنع المخالطة ومشاركتهنّ في الحياة العامة وقال عليه الصلاة والسلام: «أخّروا النساء حيث أخّرهنّ الله». ومعناه لا تقدّموهنّ ذكراً وحكماً ومرتبة.

كلّ هذا ليس ذمّاً للمرأة ولا تقليصاً لدورها في الحياة ومن باب أولى ليس إجحافاً بحقّ لها أو استعباداً، بل تشريعاً يوافق طبيعتها حقّ التوافق وإنصافاً يعطيها حجمها ودورها الطبيعي في الحياة، ورحمة من الله بها بأن لا يحمّلها ما يثقل عليها بما يخالف قدراتها العقليّة والجسديّة.

أمر الرجل بالقيام بأمور الحياة عنها ترفيهاً لها وتوفيراً لطاقتها كي تصرف في أداء رسالتها ببقاء عمليّة تناسل الجنس البشري تسير بيسر وسهولة، وخدمة زوجها بما يلزمه في بيته. وكلا الدورين جعله الله مقابل قيام الرجل بخدمتها في أمور الحياة وحمايتها. ولا مجال للمقارنة والمفاضلة بين دورها ودوره فقد أحكم الله الخالق توزيع المسؤوليّة بحسب طبيعة الذكر والأنثى وموقع كلّ منهما في المجتمع ودوره في محاربة عدوّ الله إبليس. ذلك أنّ الحياة على الأرض هي امتحان لكلّ فرد أن يتمسّك بهداية الله وذلك بطاعته في أوامره واجتناب

محرّماته أو بالانزلاق والسير برغبات إبليس. وأكبر إنجاز لإبليس وللملايين من زبانيته على الإطلاق هو تفتيت أواصر العائلة التي أحكم الله بنيانها بحسب التشريع الإسلامي. فالإسلام قد جعل العائلة بالأحكام التي نظّم بها الزواج وحياته قلعة حصينة يستحيل لإبليس أن ينفذ منها إلى أيّة عائلة مسلمة تقيم أحكام الله في أمورها. ولهذا فالعائلة هي أكبر تحدٍّ لإبليس في الحياة وهدمها أكبر إنجاز له. وقد ثبت أنّ إبليس لا يقرب أحداً من زبانيته ولا يدخل عرشه ، أي مجلسه، إلاّ من نجح بهدم عائلة. فشيطان الخمر وشيطان الزنى وشيطان السرقة وشيطان الدسّ وشيطان الربا وشيطان القمار وشيطان القتل وشيطان الخيانة ومئات غيرهم يبعدهم إبليس وينفر منهم ويصرخ وينادي أين شيطان الطلاق إئتوني به فإنّه حبيبي والمفضّل عندي من المفسدين كلّهم، أي من جميع الشياطين.

عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إنّ إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا حتّى فرّقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت فيلتزمه». فتماسك العائلة والحفاظ على الرباط الزوجي أعظم فشل لإبليس الذي يفعل كلّ مايستطيع فعله لضربها وتفكيكها، ويعتبر نجاحه في ذلك أعظم انتصار له في الحياة على الأرض. لهذا أحكم الله تعالى تفصيلات العلاقة بين المرء وزوجه، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ وبيّن فيها حكمه إلى يوم الدين. وبعد تفصيل أحكام العلاقة أجزل في الثواب للرجل على صبره بتقصير الزوجة في حقّه أو على ما لا يرضيه فيها أو في أخلاقها وسلوكها، ورغّب المرأة بالجنّة إذا أحسنت أداء حقّ زوجها وهدّدها بالعذاب إذا أهملت حقّه عليها. فالثواب الكبير جدّاً الذي وعد الله به الرجل الذي يصبر على سوء خلق زوجه أو مرضها أو تقصيرها في حقّه هو الدرع القوي الذي يردعه عن استعماله رخصته في الطلاق الذي قال فيه

عليه الصلاة والسلام: «ما أحلّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق» فلا يصل المؤمن إلى طلاق زوجه إلاّ في حال نشوزها أي معصيتها المتعمّدة المتكرّرة وإصرارها على عدم طاعته. أو إتيانها بفاحشة مبيّنة أي تطاولها باللسان على زوجها باستعمال بذيء الكلام أو بعلوّ صوتها على صوته ممّا يؤدّي إلى صعوبة التعايش معها لسوء خلقها فيسود القلق الدائم حياة الزوجيّة بدل السكينة والوداعة والطمأنينة.

وكما أوجب الشرع طاعة المرأة لزوجها وجعله فرضاً عينيّاً عليها تستحق العذاب الشديد إن فرّطت فيه لأنه حجر الزاوية في استمرار الحياة الزوجيّة، أوجب تثبيت هذا الحكم واقعاً لا يستطيع حتّى الرجل التراخي فيه، لأنّه ليس أمراً خاصّاً بل عامّاً يتعلّق بصيغة ومسيرة الحياة للإسلام والأمّة، حرّم الشرع طاعة الزوجة وأوجب عدم طاعة النساء في توجيه سياسة الحياة ومباشرة مسؤوليّة الرعاية العائليّة والعامّة. وليس في الأمور الخاصة التي تحتاج إلى تشاور من مثل طعام اليوم ومكان الموقد وشكل الكرسي وما شابه. بل بخط سير الحياة وغايات الأعمال، قال عليه الصلاة والسلام في حديث أخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه: «إذا فعلت أمّتي خمس عشرة خصلة، حلّ بها البلاء...» الحديث وفيه: «وأطاع الرجل زوجته، وعقّ أمّه» إلى قوله: «واتخذت القينات والمعازف» وفي آخره «فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وخسفاً أو مسخاً وقذفاً».

وقد أوضح عليه الصلاة والسلام أنّ خيانة الأنثى موروثة من حوّاء مذ خانت آدم عليه السلام في الجنّة. عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها الدهر». أخرجه الشيخان. خيانة حوّاء لآدم: هي في النصيحة له في الأكل من الشجرة ولا في غيرها. وسوء النصح في الإسلام من الخيانة وهو غير النصح عن جهالة.

وجوب طاعة المرأة لزوجها وتحريم طاعة الرجل لزوجه ينبع من أمرين: الأوّل،

النظام الاجتماعي في الإسلام يقوم على رعاية الرجل لأسرته، وهذه الرعاية تستوجب أن يكون المسؤول محدّداً. والثاني حماية قرار المسيرة الحياتيّة للمسلمين. فالمرأة بما سبق وعرفنا عن ضعفها في المواقف وسهولة انجرافها مع أهوائها وتراخيها في أخذ القرارات الحاسمة يكون من الخطر الكبير على العائلة والمجتمع أن يكون لها رأي يطاع ومن هنا تحريم طاعة الرجل لزوجه.

ومن التحصينات الأخرى لمنع الشيطان من هدم العائلة وتشتيت الأولاد انتزع من المرأة حقّ الطلاق وحصره بالرجل وجعل الطلاق لا يكون إلاّ منه وحرّم على المرأة أن تطالب به تحريماً صريحاً فقال عليه الصلاة والسلام: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من دون بأس فحرام عليها رائحة الجنّة» وقال: «وإنّ المختلعات هنّ المنافقات» المختلعة التي تطلب الطلاق. والبأس الذي قد يتراءى أنّه عذرٌ للمرأة تطلب من أجله الطلاق هو نشوز زوجها، وفي هذا أوجب الله على الزوجة علاجه قبل أن يصل إلى حدّ اعتباره بأساً وذلك قوله تعالى: **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خيرٌ وأُحضرتِ الأنفسُ الشحَّ وإن تحسنوا وتتّقوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾** النساء ١٢٨. وهو ليس مطلق تذمّر من أيّ أمر لا تطيقه الزوجة من زوجها أو تعتبر بمقياسها أنّه سبب للسأم والتذمّر فيكون بأساً برأيها. فالبأس هو مخالفة الزوج لحكم شرعي أمره الله به تجاه زوجه. وليس من البأس في شيء عدم قيادة السيّارة أو قلّة في الملابس أو عدم الخروج أو منعها من الزيارات أو عدم وجود غسّالة كهربائيّة أو تجديد المفروشات وما شاكل ذلك من أمور الحياة التي يُقال بهتاناً أنّها أصبحت من ضرورات حياة المجتمع.

هذه الأحاديث تنبّه الرجل والمرأة إلى خطر الشيطان على المرأة، فمفهوم الأحاديث الضمني وجوب تَحَصُّن المرأة ذاتيّاً لتقف بوجه هجمة الشيطان عليها ومحاولة غوايتها وتسخيرها لتحقيق غاياته في الدنيا. خاصة وأنّ أسمى غاياته هو

بذر الشقاق في العائلة عن طريق تنفير الزوجة من الزوج أو العكس حتّى يسهل على المرأة معصية زوجها والتطاول عليه باللسان وهو نهاية مطاف أيّ زواج. ومن مفهوم الحديث الضمني أيضاً وجوب مساعدة الرجل لامرأته بتحصينها ضدّ مكائد الشيطان والوقوف معها بمحاربة أساليبه بالتنبّه الدائم والحرص الشديد بالتمسّك والوعي بأحكام الله المتعلّقة برعاية العائلة.

حتّى لا يجرف تيّار إبليس الرجل إذا تحقّقت مساعيه في امتلاك إرادة المرأة والسيطرة على أهوائها، سعى الإسلام لإقامة حاجز آخر لمحاربة الشيطان والمرأة التي سارت في ركابه فأمر عليه الصلاة والسلام الرجال باتّقاء النساء اللواتي هنّ حبائل الشيطان وحرّم طاعتها وفرض عليها الطاعة للرجل. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الدنيا حلوة خضرة، وإنّ الله تعالى مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتّقوا الدنيا والنساء، فإنّ أوّل فتنة بني إسرائيل كان من النساء». أخرجه مسلم والنسائي.

هذه التشريعات شاملة كاملة أحكمها الله تنظيماً للعائلة وأمورها، لا يمكن بالقناعة والتقيّد بها أن تشقى عائلة، وهذا التنظيم هو بحدّ ذاته تحصينٌ ذاتيٌّ لمواجهة الشيطان وتفشيلٌ لمهمّته في ضرب العائلة مهما حاول وبأيّ أسلوب. فالتنظيم الشرعي لحياة العائلة تحصين، وتحذير المرأة من الانقياد للشيطان تحصين، وترغيب الزوج بأجر الصبر على نواقص وعيوب وعِوَج زوجه تحصين. فالشيطان عندما ينجح في ضرب العائلة إنّما ينجح في العائلة غير المحصّنة، أي العائلة التي لا تقوم على الإسلام وعندئذٍ لا أسف على عائلة شرّعت أبوابها للشيطان يدخلها ويعمل بها تخريباً وهدماً ●

المعاشرة

عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنّه قال: «ألا كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيّته والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأةُ راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راعٍ على مال سيّده وهو مسؤول عنه ألا فكلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

هذا الحديث يحمّل كلَّ إنسان ذكرٍ أو أنثى مسؤوليّة تأدية واجبه ومباشرة ما يلزمه من العمل والقول في الحياة بالوجه الأفضل والأكمل مسؤوليّة مفروضة وهو سيحاسب عمّا قام به أو قاله في حياته وسيحاسب عن الكيفيّة التي قام بها بعمله وعن مستوى العمل الذي أتى به وتمامه. لأنّ كلمة راعٍ تعني التكليف بالعمل، فكما الراعي مسؤول عن تدبير أمور قطيعه من البهائم من سقي وإطعام وحماية، كذلك كلّ إنسان في حماه راعٍ وعليه تدبير شؤون ما استرعي عليه بأحسن ما يمكن. فالرجل راعٍ في بيته وعمله ومجتمعه ووطنه، والمرأة راعية في بيتها وفي بيت زوجها. فالإنسان راعٍ في أيّ مكان وجد فيه. وقاعدة الرعاية هي القيام بما يلزم عمله على أكمل وجه. وهذا عينه قاعدة المعاشرة

بالمعروف التي أمر الله بها الزوج والزوجة. فقاعدة المعاشرة بالمعروف بالتعامل والتواصل يكون على ما أمر الله به من حسن المعاشرة أي المخالطة والممازجة، وهو أوثق وأقوى الصلات البشريّة وأهمّها. فليس هناك تعايش أو تعامل حميمي أكثر من التعايش والتعامل في العشرة الزوجيّة. فمن باب مسؤوليّة الراعي على الرجل والمرأة أن يؤدّي كلّ بموقعه حقّ مسؤوليّة الرعاية التي ألزمها الله عنق كلّ إنسان. وعلى الرجل بحكم إلزامه الرعاية على زوجه أن يبادر لحسن الصحبة وعلى المرأة مبادلته بما ألزمها الله به من حسن الطاعة لتكون أُدمَةَ ما بينهم وصحبتهم على الكمال. فالالتزام بواجبات ومسؤوليّات «كلّكم راع» توجب حسن التعامل وكمال الصحبة إطلاقاً فكيف بين الزوجين وقد أمر الله الرجل فيها بالتحديد فقال: **﴿وعاشروهنّ بالمعروف فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾**. فوجوب المعاشرة بالمعروف واجب وإن كان يكره فيها بشاعة أو كبراً أو مرضاً أو فقراً أو عادة أو سوء خلق، دون النشوز ومن غير ارتكاب فاحشة. أوجب التعايش والتعاشر بمعروف لأنّ الكره ليس سبباً لسوء المعاشرة بل النشوز أي العصيان، وارتكاب الفاحشة أي رفع صوت الزوجة على زوجها والتطاول باللسان والوقاحة بالفعل والقول وحده مبرّر للوعظ والهجر والضرب، فإن أصرّت على النشوز والفاحشة فالطلاق. غير ذلك لا يجوز فيه سوء عشرة إطلاقاً، خاصة وأنّ حسن المعاشرة عليه أجر. قد يكون في ما يكره الرجل خير كثير لا يعلمه إلاّ الله. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم. قال عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم عن أبي هريرة: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً إن كَرِهَ منها خلقاً رضي منها آخر»، أو قال: «غيره». المعنى: عدم بغضها كلّيّاً، لا يحمله على فراقها، أي لا ينبغي له ذلك بل يغفر سيّئتها لحسنتها ويتغاضى عمّا يكره لما يحبّ.

وقد حثّ الرسول ﷺ على حسن الخلق والمعاشرة بالمعروف وجعل أجره بأجر الصدقة فقال: «كلّ معروفٍ صدقةٌ وإنّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ

طلق». ومن هذا نفهم معنى المعروف أنّه القيام بالواجب بنفسٍ راضية فمثلاً إن طلب الوالد من ابنه كوب ماء فأحضره له ووضعه على الطاولة أمامه بخفّة أو تململ ولم يشعره بإحضار الماء كان ذلك قيام بواجب الطاعة للأب وهو يُسقط المعصية والعقّ. ولكن لو جاء الإبن بكوب الماء وقدّمه لوالده بكلمة عذبة وانتظر أباه أن يتناوله منه أو يأمره بوضعه على الطاولة فإنّ ذلك يكون معروفاً. فالمعروف فوق الفرض وهو مندوب وليس بفرض أي يُؤجر فاعلُه ولا يُذمّ تاركُه. والمندوب أسمى من الفرض لأنّ الذي يحرص على المندوب في الدنيا حرصه على الفرض أو بعد تأدية الفرض إنّما يفعل ذلك لأنّه يدرك أنّ الجنّة درجات ولا يحظى بالدرجة العالية منها العامّة من الناس الذين أدّوا الفرائض، بل المؤمنون الذين حرصوا على تأدية الواجب واتّبعوه بالحرص على المندوب. ففي المندوب ترتقي النفوس والعقول ويقرّبها الله تعالى منه. ولهذا فإنّ يوم القيامة يفصل الله أهل المندوب وهم أهل المعروف عن بقيّة المسلمين منذ اللحظة الأولى، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «المعروف كاسمه وأوّل من يدخل الجنّة يوم القيامة المعروف وأهله». عليه يكون قول الله **﴿وعاشروهنّ بالمعروف﴾** طلب إلى الرجال أن يستعملوا حقّهم في مباشرة أمور رعاية الزوجة بالأسلوب الحسن والخلق الحسن وبالوجه الأحسن وذلك حرصاً منه تعالى على عباده للوصول إلى الدرجة العالية في الجنّة وحرصاً منه تعالى على رقيّ مستوى الرعاية الزوجيّة. فأجر الرجل الذي يعاشر زوجه بالمعروف يفوق مرّات ومرّات أجر الرجل الذي يعاشر زوجه بمستويات الفرض الواجب فقط.

وأمر الله للرجل بقوله **﴿وعاشروهنّ بالمعروف﴾** ورد في آية أخرى يساوي فيها بين الرجل والمرأة في أحقيّة التعامل بالمعروف ووجوبهما فقال تعالى: **﴿ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف﴾**. البقرة ٢٢٨.

الزواج أحد المهام التي أوكلها الله إلى عباده من ذكور وإناث. وككل مهمة تصادف الإنسان في الحياة يَلزمه التوقّف عندها لدراسة أمر مواجهتها أو حمل

أعبائها بما يكفل نجاحه. غير أن المسلم يتوقّف عند كلٍّ مهمة وأمر في الحياة ليعرف الطريقة التي أمر الله بها بمعالجة ذلك الأمر. فالمسلم لا يبتدع تنظيماً أو حكماً بل يبحث عن التنظيم والحكم في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ويعمل بموجبه. فالعلم بحكم الله في الأمر الذي يواجه المسلم شرط الإيمان، تماماً كوجوب العمل بحكم الله شرط الإيمان ويقول الله تعالى في بيان ذلك: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾** المجادلة ١١. لأنّ الإيمان يشترط العمل بالحكم والعمل يشترط العلم بالحكم. فلا إيمان في الإسلام بمعرفة أحكام الإسلام وترك العمل بها. فالتعاشر بالمعروف بين الأزواج حقّ من الله للرجل على زوجته وحقّ من الله مكرّر التأكيد عليه للمرأة على زوجها. وكما أنّ هذا حقّ لكلٍّ منهما من الآخر يكون واجباً على كلّ منهما تجاه الآخر. فعلى الزوج أن يبادر إلى رفع مستوى المعاشرة مع زوجه إلى درجة «المعروف» دون اهتمام أو اعتبار للمستوى الذي تتعاشر به الزوجة معه، فالواجب عليه أوّلاً ولا يسقطه عنه عدم مبادلة زوجه له بمعاشرته بمعروف، فذلك حقّ له واجب على الزوجة. وعدم حصوله على حقّه من زوجته بمعاشرته بمعروف لا يُسقط واجبَه. فقيامه بواجبه يسقط الإثم عنه، وصبره على عدم حصوله على حقّه بالمعروف من زوجته له فيه أجر الصبر. وهذا عينه ينطبق على الزوجة التي عليها أن تبادر إلى رفع مستوى تعاشرها مع زوجها إلى درجة «المعروف» حتّى يسقط الفرض عنها. ومسألة حقّها لا تسقط بقيامها بواجبها وهي إن لم تحصل على حقّها من زوجها وصبرت فلها أجر الصبر كما وعدها الله به. هذا التعاشر الذي أمر به الإسلام يحتّم على الأزواج التسابق على التعامل بواجب المعروف ويجعل الحياة الزوجيّة مباراة دائمة بين من يزيد في صنع المعروف مع الآخر ليتباهى يوم الحشر بكثير معروفه. وهكذا يكون الزواج في الإسلام طريقة في العيش متميّزة عن أيّ طريقة أخرى في أيّ أمّة أو شعب أو ملّة. وبهذا يتحقّق شرط الإسلام في أن تكون حياة الزواج جزءاً من حياة المؤمن في الدنيا يعيشها بأرقى مستوى وسعادة يتفوّق بها على سائر البشر.

تَصرّفُ المؤمنِ وسلوكُهُ في الحياة طريقة ثابتة ليس فيها تردّد أو اهتزاز لأنّ جميع تصرّفاته يجب أن تكون مرتبطة بالحكم الشرعي لا برأيه ولا بتقلّباته النفسيّة، وغير متأثّرة بالتأثيرات الخارجيّة الاستفزازيّة التي يمكن أن تخرجه عن طوره وبالتالي من الإيمان أي الالتزام بالحكم الشرعي. فالمؤمن لا يتصرّف بما يمليه الواقع بل بما يمليه الشرع حيال الواقع. الإيمان طريقة عيش للحياة وليس ارتباط ظرفي بفكر أو هدف أو غاية، جميع أمور الحياة ومشاكلها وظروفها يواجهها المؤمن بعقيدة الإيمان الراسخة في نفسه وما تفرضه من التزام بالحكم الشرعي طالما فيه رمق حيّ. وفي ذلك ينبّهنا الرسول ﷺ فيقول: «لا تكونوا إمّعة إن أحسن الناس أحسنتم وإن أساؤوا أسأتم، بل وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أحسنتم وإن أساؤوا تجنّبتم الإساءة إليهم».

ولا ينسى المؤمن ولا تنسى المؤمنة أنّ الصبر على ما يكرهه المرء فيه أجر من الله وهو غسل للذنوب. وفي ذلك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتّى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة». فالرجل يكره من زوجه ويصبر عليها والزوجة تكره من زوجها وتصبر عليه فهو غسلٌ لذنوبهما إن شاء الله. وقد أدرك علماء الأمّة وأخيارها وصلحاؤها حقيقة ذلك فعاشوه. ذكر ابن العربي قال: أخبرني أبو القاسم بن حبيب بالمهديّة، عن أبي القاسم السيوري عن أبي بكر بن عبد الرحمن حيث قال: كان الشيخ أبو محمّد بن أبي زيد من العلم والدين في المنزلة والمعرفة. وكانت له زوجة سيّئة العشرة وكانت تقصّر في حقوقه وتؤذيه بلسانها فيقال له في أمرها ويُعذَل بالصبر عليها، فكان يقول: أنا رجلٌ قد أكمل الله عليَّ النعمةَ في صحّة بدني ومعرفتي وما مَلَكَت يميني، فلعلّها بُعثَت عقوبة على ذنبي فأخاف إن فارقتها أن تنزل بي عقوبة هي أشدُّ منها.

أساس المعاشرة الزوجيّة هو قبول النفس من ذكر وأنثى تأدية دورها في الحياة

بما هيّأه الله فيها من خاصيّات وقدرات برضى. فأيّ تمرّد على الطبيعة في النفس أو تململ من واجب قد يبرّر بدء الانحراف عن مسار المفاهمة الكاملة للعشرة الهنيئة. والمعاشرة لا يمكن أن تنجح من الرجل وحده ولا من المرأة وحدها. كما أنّ المعاشرة وهي في الزواج تعني مخالطة الجسد للجسد والأحاسيس بالأحاسيس وممازجة الفكر للفكر ومزاملة الروح للروح، لا بدّ لها من تنظيم وتبيان لواجبات الرجل وحقوقه وواجبات الزوجة وحقوقها. ومن إمعان النظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة الواردة في هذا البحث ندرك أنّ الله لم يغادر كبيرة ولا صغيرة في تنظيم حياة العائلة التي يوجدها الزواج. وهي كخلقه سبحانه وتعالى للكون لم يغادر كبيرة ولا صغيرة إلاّ وأنعم بكمال إتمامها.

أوجب الله على الرجل مسؤولية تدبير أمور حياة زوجته من نفقة ووطءٍ وإطعام وكسوة وإسكان وحماية ومداواة، كل ذلك بالحسنى والمعاشرة بالمعروف.

وأوجب الله على الزوجة الطاعة لزوجها والخضوع له وكل ما يستوجب ذلك يلزمها القيام به. فعليها أن تطبخ له وتنظّف البيت وتعتني بنظافة أطفالها وتحمي ماله وتمنع بيته وتصونه في سمعته وتحفظ غيبته ولا تدخل بيته أحداً دون إذنه، ولا تخرج أبداً دون إذنه، ولا تُكثر من طلباتها حتى في الأشياء الأساسية فلا تكون ملحاحة، ولا تعطي أحداً من ماله دون إذنه ولا حتى من طعامه إلا بإذنه، ولا تبذل مالها من دون موافقته ولا تصوم نافلة إلاّ بإذنه، ولا تعصيه في أمر وتطيعه فيما أمرها وهو غائب، ولا يرتفع صوتها فوق صوته ولا تكون فظة وقحة معه ولا تنشز ولا تفحش، ولا تمنعه نفسها بأي حال كانت، وأن تعمل بدأب متواصل لإرضائه. وللرجل أن يمنعها من التصرف إلاّ بإذنه وعليها القناعة بذلك. وفي كل أمر من هذه الأمور حكم شرعي والقيام به فيه أجر من الله سبحانه وتعالى. وقد حضّ الإسلام على حسن المعاشرة لينعم الزوجان بالعيش الهنيء. ولأن القصد من الزواج تمام السعادة في الحياة.

جعل للفشل فيه مخرجاً حتى لا تطبق التعاسة على إنسان مدى الحياة. ولكن قبل الوصول إلى الطلاق أمر الله الزوجين باتخاذ إجراءات عملية لمعالجة الفشل. أمر الرجل بالرأفة بزوجه والتمتع بها مع العِوَج الذي بها. أمر الزوجة بالطاعة التامة لزوجها. إذا سخط الزوج فعلى الزوجة مرَاضاته فإن رضي أُجرت وإن لم يرض عُذرت عند الله. إذا نشز الرجل أي بَعُدَ وأبغض زوجه أي لم يعد يطيق لها صحبة، فقد حثَّ الله تعالى الزوجة على التنازل عن كل ما يمكن التنازل عنه ليستبقيها زوجة في رعايته. وإذا نشزت المرأة أو ارتكبت الفاحشة فعلى الرجل تذكيرها بالله وحكمه وواجباتها الشرعية في الرجوع عن المعصية والوقاحة والبذاءة في اللسان. وتذكيرها بعذاب الله على نشوزها وتفحّشها. فإن لم ترتدع هجرها في الفراش ولا يطأها عسى أن تهدأ نفسها وترجع فإن لم تفيء فله ضربها غير مبرِّح.

وقول الله **﴿وللرجال عليهنّ درجة﴾** قال فيه ابن عباس: الدرجة إشارة إلى حضِّ الرجال على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه. فهذه الدرجة تحمّل الرجال مسؤولية أكبر وليس سلطة أكبر للظلم كما قد يظن السذَّج والجهال من النساء. وقد جعل الله أجر المرأة المطيعة لزوجها التي تقوم بواجبها الحياتي في أمور الزوجية بنفس راضية يوازي أجر الشهداء في الآخرة.

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إنّ الله عزَّ وجلَّ بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنّا بك وبإلهك، إنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم، وإنكم معاشر الرجال فُضلتم علينا بالجُمَع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك: الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلّ، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالَكم وغزَلنا لكم أثوابَكم وربَّينا لكم أولادَكم، أفنشارككم في هذا الأجر والخير؟

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلِّه ثم قال: «هل سمعتم مسألة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها، من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها وقال: إفهمي أيتها المرأة وأعلمي مَن خلفك من النساء أن حسنَ تبعُّل المرأة لزوجها وطَلَبها مرضاتِه واتباعها موافقته يعدل ذلك كله». رواه الإمام مسلم.

تحريم إفشاء السرِّ بين الزوجين والكفر بالعشير

العشرة الزوجية أكرمها الله والرسول بالعناية وشرّع الله والرسول ما يصونها من كل سوء أو مكروه ويحفظها بكرامة وعفة. فمنع الإسلام النميمة والغيبة وكشف السرِّ بين الأزواج، لما يؤدي ذلك إلى زرع الحقد والكراهية ممّا يجعل الحياة مع بعضهما مستحيلةً فينتصر الشيطانُ بأَهوَن سبيل. وحرمة إفشاء السرِّ من أحد الزوجين جزء من حفظ الأمانة بين الناس. روى مسلم وأبو داود عن الرسول ﷺ قال: «إنّ من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها». وفي نفس المعنى عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من شرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل، يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثمَّ ينشر أحدهما سرَّ صاحبه». وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ، قال: «المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق».

وغالباً ما يأتي إفشاءُ السرِّ بعد أن تجحد المرأة إحسانَ زوجها ولذلك حرّم الله سبحانه وتعالى الجحودَ ووصفه عليه الصلاة والسلام بالكفر، فعن جابر قال: «شهدت العيد مع رسول ﷺ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة. ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحثَّ على طاعته، ووعظ الناس وذكّرهم، ثم أتت النساء فوعظهنَّ وذكرهنَّ، وقال عليه الصلاة والسلام: «تصدقنَ فإن أكثركنَّ حطبُ جهنّم، فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت: لمَ يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لأنكنَّ تكثرنَ الشكاة، وتكفرنَ اَلعشير. فجعلن يتصدّقنَ من حليهنَّ، ويلقينَ في ثوب بلال».

سطة النساء: أوسطهنَّ حسباً ونسباً. سفعاء الخدين: فيهما سواد. الشكاة: الشكوى. العشير: الزوج.

وعن أبي سعيد الخدري قال: «خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى

المصلى، فمرّ على النساء، فقال: يا معشر النساء تصدقنّ فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار. فقلنَ: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: تكثرنَ اللعن وتكفرنَ العشير.. الحديث». متّفَقٌ عليه. والمعنى رأيتكنّ على سبيل الكشف، أو طريق الوحي.

فكثرة التذمر وكثرة اللعن والكفر بالعشير أي جحود إحسان الرجل وإفشاء السر حرمها الإسلام تحريماً واضحاً غير مبهم. وقد ساوى الإسلام في العقاب على هذه المحرمات بالنار لعظيم خطرها على الزواج وتعريضه للخطر. لأنّها جميعها أو منفردة توحي عن عدم رضى المرأة عن حياتها مع الرجل وهذا ما يؤدّي حتماً إلى الطلاق. فلا يجوز للمرأة أن تتذمّر من أيّ شيء من أمور الحياة إذ كان الرجل يؤدّي حقّها في المعاملة بتقوى الله ويعاشرها بالمعروف والحسنى. و مّا أن تتذمّر المرأة من مسكن أو فرش أو إصلاح عطب في الأدوات أو تغيير ستائر أو في طلبات ضروريّة كانت أو غير ضروريّة أو كثرة مؤن أو قلّة في المؤن أو مرض أو سياحة أو خروج أو استقبال وحتّى من قلّة الطعام أو كثرة في العمل وامتناع الخدم، كلّها لا يصلح معها التذمّر وتحرّم معها الشكوى إلاّ بالطلب الرقيق.

نعود إلى الكفر بالعشير، يقول الله سبحانه في القرآن الكريم: **﴿ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾** سورة إبراهيم ٧، جاء في تفسير القرطبي في معناها: أي جحدتم حقّي وقيل نِعَمِي انتهى. فالكفر هو الجحود بحقّ الله وفضله. وقد جعل الله ورسوله لجحود الزوجة بحقّ الرجل ونعمه عليها كفراً. لأنّ الله قد أقام نظام التقاء الذكر بالأنثى وتكاثر الناس وترابطهم وتراحمهم والنسب والصهر يقوم كلّه على نظام الزواج، وقاعدة هذا النظام جعلها الله قيامة الرجل على المرأة بكلّ ما في ذلك من واجبات الرعاية والمسؤوليّة. وهذه القاعدة تلتها قاعدة أو حكم آخر لمجازاة الرجل في الحياة على تحمّله هذا العبء. فقد أمّنَ وضَمِن للرجل إيفاءه بعض حقّه في الدنيا حتّى يخفّف عنه بعض هذه الأعباء، فلا يقنط أو ييأس ويتهرّب أو يعزف عنها كلّها أو عن أكثرها ثقلاً الذي هو الزواج.

فرض الله للتخفيف عن الرجل بعض أعبائه. وفرضه عدل. ليحفظ نظام الزواج للقصد الذي أراده له سبحانه وليس لمجرّد المتعة الجنسيّة التي من خصائصها أن تزول مع الوقت أو مع التعوّد على العشير، فأمر الزوجة بالترفيه والتخفيف عن زوجها، وجعل هذا الترفيهَ وطاعتَها لزوجِها أساساً في نظام الزواج كفرض الرعاية على الرجل. لأنّ من طبيعة الرجل أنّه لا يقبل رعاية من يعصيه. فصاحب المتجر إذا كان له شريك يخالفه فأحد أمرين إمّا أن يبيع المتجر ويَفُضّ الشراكة أو يستمرّ فيؤثّر ذلك سلباً على العمل. وأيّ ربّ عمل إن عصاه من يعمل عنده عزله مهما كانت أهمّيته له. والأب إن عصاه ابنه نبذه ونفاه من بيته. فالمعصية من الزوجة محرّمة تحريماً قاطعاً لأنّها تؤدّي حتماً، إلاّ في الحالات النادرة التي لها ظروفها، إلى التخلّص منها أي إلى فضّ الزواج كما في حال الشريكين. فلو أجيزت المعصية الزوجيّة في الإسلام كما أجازتها بعض المجتمعات الغربيّة في النصف الأخير من هذا القرن لسقطت جميع القيم التي أمر الله بها المسلمين لأنّه لا يكون هناك وجود لكيان العائلة كما نعرفه. ولا مجال هنا للمقارنة أو للحديث عن حالة العائلة في تلك المجتمعات التي تقوم ركيزتها على إباحة الزنى.

طاعة المرأة للرجل ليست أمراً من صنع الرجل ولا عادة هو أقرّها بل هو فرض من الله سبحانه، واعتراف المرأة الزوجة بهذا الفرض وانصياعها له فرض من الله وليس من الرجل. إذا عصت الزوجة زوجها ولم يطلّقها، لأنّه ليس عنده عقاب غيره، يبقى عقابها على معصيتها تلقاه عقاباً موفوراً يوم الحساب. هذا الفرض، فرض طاعة المرأة لزوجها، ليس عبئاً زائداً على المرأة بل هو عبء قد يوازي بعض عبء الرجل في الحياة وهو الجزء المتعلّق برعاية زوجته وأولاده، وليس هو عبء يوازي كلّ ما حمّله الله للرجل من واجبات. فهذه الطاعة من الزوجة تؤدّى أو تعمل كوقود جديد للرجل ليتمكّن من السير في الحياة يواجه أعباءها الأخرى. وعدم الطاعة كحرمانه من الوقود الضروري له في الحياة. فهو بدون

المصلى، فمرّ على النساء، فقال: يا معشر النساء تصدقنّ فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار. فقلنَ: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: تكثرنَ اللعن وتكفرنَ العشير.. الحديث». متَّفَقٌ عليه. والمعنى رأيتكنَّ على سبيل الكشف، أو طريق الوحي.

فكثرة التذمر وكثرة اللعن والكفر بالعشير أي جحود إحسان الرجل وإفشاء السر حرمها الإسلام تحريماً واضحاً غير مبهم. وقد ساوى الإسلام في العقاب على هذه المحرمات بالنار لعظيم خطرها على الزواج وتعريضه للخطر. لأنّها جميعها أو منفردة توحي عن عدم رضى المرأة عن حياتها مع الرجل وهذا ما يؤدّي حتماً إلى الطلاق. فلا يجوز للمرأة أن تتذمّر من أيّ شيء من أمور الحياة إذ كان الرَجل يؤدّي حقّها في المعاملة بتقوى الله ويعاشرها بالمعروف والحسنى. و مّا أن تتذمّر المرأة من مسكن أو فرش أو إصلاح عطب في الأدوات أو تغيير ستائر أو في طلبات ضروريّة كانت أو غير ضروريّة أو كثرة مؤن أو قلّة في المؤن أو مرض أو سياحة أو خروج أو استقبال وحتّى من قلّة الطعام أو كثرة في العمل وامتناع الخدم، كلّها لا يصلح معها التذمّر وتحرّم معها الشكوى إلاّ بالطلب الرقيق.

نعود إلى الكفر بالعشير، يقول الله سبحانه في القرآن الكريم: **﴿ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾** سورة إبراهيم ٧، جاء في تفسير القرطبي في معناها: أي جحدتم حقّي وقيل نِعَمِي انتهى. فالكفر هو الجحود بحقّ الله وفضله. وقد جعل الله ورسوله لجحود الزوجة بحقّ الرجل ونعمه عليها كفراً. لأنّ الله قد أقام نظام التقاء الذكر بالأنثى وتكاثر الناس وترابطهم وتراحمهم والنسب والصهر يقوم كلّه على نظام الزواج، وقاعدة هذا النظام جعلها الله قيامة الرجل على المرأة بكلّ ما في ذلك من واجبات الرعاية والمسؤوليّة. وهذه القاعدة تلتها قاعدة أو حكم آخر لمجازاة الرجل في الحياة على تحمّله هذا العبء. فقد أمَّنَ وضَمِنَ للرجل إيفاءه بعض حقّه في الدنيا حتّى يخفّف عنه بعض هذه الأعباء، فلا يقنط أو ييأس ويتهرّب أو يعزف عنها كلّها أو عن أكثرها ثقلاً الذي هو الزواج.

فرض الله للتخفيف عن الرجل بعض أعبائه. وفرضه عدل. ليحفظ نظام الزواج للقصد الذي أراده له سبحانه وليس لمجرّد المتعة الجنسيّة التي من خصائصها أن تزول مع الوقت أو مع التعوّد على العشير، فأمر الزوجة بالترفيه والتخفيف عن زوجها، وجعل هذا الترفيهَ وطاعتَها لزوجِها أساساً في نظام الزواج كفرض الرعاية على الرجل. لأنّ من طبيعة الرجل أنّه لا يقبل رعاية من يعصيه. فصاحب المتجر إذا كان له شريك يخالفه فأحد أمرين إمّا أن يبيع المتجر ويَفُضّ الشراكة أو يستمرّ فيؤثّر ذلك سلباً على العمل. وأيّ ربّ عمل إن عصاه من يعمل عنده عزله مهما كانت أهمّيّته له. والأب إن عصاه ابنه نبذه ونفاه من بيته. فالمعصية من الزوجة محرّمة تحريماً قاطعاً لأنّها تؤدّي حتماً، إلاّ في الحالات النادرة التي لها ظروفها ، إلى التخلّص منها أي إلى فضّ الزواج كما في حال الشريكين. فلو أجيزت المعصية الزوجيّة في الإسلام كما أجازتها بعض المجتمعات الغربيّة في النصف الأخير من هذا القرن لسقطت جميع القيم التي أمر الله بها المسلمين لأنّه لا يكون هناك وجود لكيان العائلة كما نعرفه. ولا مجال هنا للمقارنة أو للحديث عن حالة العائلة في تلك المجتمعات التي تقوم ركيزتها على إباحة الزنى.

طاعة المرأة للرجل ليست أمراً من صنع الرجل ولا عادة هو أقرّها بل هو فرض من الله سبحانه، واعتراف المرأة الزوجة بهذا الفرض وانصياعها له فرض من الله وليس من الرجل. إذا عصت الزوجة زوجها ولم يطلّقها، لأنّه ليس عنده عقاب غيره، يبقى عقابها على معصيتها تلقاه عقاباً موفوراً يوم الحساب. هذا الفرض، فرض طاعة المرأة لزوجها، ليس عبئاً زائداً على المرأة بل هو عبء قد يوازي بعض عبء الرجل في الحياة وهو الجزء المتعلّق برعاية زوجته وأولاده، وليس هو عبء يوازي كلّ ما حمّله الله للرجل من واجبات. فهذه الطاعة من الزوجة تؤدّى أو تعمل كوقود جديد للرجل ليتمكّن من السير في الحياة يواجه أعباءها الأخرى. وعدم الطاعة كحرمانه من الوقود الضروري له في الحياة. فهو بدون

زواج يستطيع مواجهة أعباء الحياة الأخرى. وبالزواج وطاعة زوجته يستطيع أيضاً أن يواجه أعباء الحياة الأخرى وهي الأعباء التي لا علاقة لها بأعباء الزواج. ولكن بزواج ومعصية زوجته تثقل همّته ويعجز بطبيعته عن تحمّل أعباء الحياة الأخرى. لهذا ، والله أعلم ، جُعل فرض الطاعة من الله وبالتالي حقّاً لله يؤدّى للزوج. ونظراً لعظيم خطره على كيان الأمّة وإقامة أحكام الدين في الأرض فقد جعله سبحانه وتعالى ربّ السموات والأرض الجبّار العظيم حقّاً لله مقدّماً على كافة حقوق الله، فكتب جلّ جلاله أمراً في السماء والأرض أن لا يسمع صلاة أو دعاء المرأة العاصية غير أذنيها، فلا يكتبها ملك أو يخفّ بها ملك ولا يقبلها الجبّار العظيم. هذا جحود بحقّ الله وهو بذلك كالكفر ويقول الله: **﴿ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾**. وجاء في تفسيرها أي جحدتم حقّي. ومعصية الزوجة لزوجها قد تكون من أكبر وأجلى معالم وقائع جحود حقّ الله. فهل تتبرّأ يوم الحساب زوجة واحدة عصت زوجها من عقوبة جحود حقّ الله وهو الكفر؟

كان هذا في ما يتعلّق بحقّ الله والله أعلم. فلننظر لجحود نِعَم الله. كثير من الناس قد لا يقدّرون نعمةً من أنعُم الله أو قد لا يتنبّهون لها حقّ التنبّه. فمثلاً لا يمكن لصحيح الجسم أن يعرف حقيقة عبء المرض حتّى يجرّبه، والبصير لا يعرف حقيقة الفرق بالعيش بينه وبين الأعمى، ولا يمكن تعداد الأمثلة لأنّها في كلّ أمرٍ وشيء. هكذا الزواج هو نعمة من الله على الإنسان الذكر منه والأنثى دون تفريق. تماماً كما هي الحياة نعمة على الإنسان الذكر منه والأنثى. ولكن بعض الشّاذين قد يصل بشذوذه الفكري للاقتناع بأنّ الحياة شقاء للإنسان فيتخلّص منها فينتحر، وقد يدري أنّ جزاء فعلته خلود في النار ومع هذا لا يأبه فينتحر. عندما منّ الله على عباده بنعمه للاستمتاع بها حدّد لهم كيفيّة الاستمتاع بأنعمه عليهم وحرّم عليهم التنكّر لهذه النعم أو منعها عن أحد من موقع السلطة والقوّة والقدرة على التعدّي والظلم. فلكلّ فردٍ الحرّيّة في الحصول

على نعمة الله التي يسَّرَ الله له الحصول عليها ليستمتع بها بالوجه المباح له بالقدر الذي يريده أو يستطيع، كَثُرَ ذلك الاستمتاع المباح أو قلّ. وإذا كان التمتّع بنعمة مقتصراً على فعلٍ من ذاته لذاته ولا يتعلّق به حقّ الغير فله الحقّ في التّمتّع أو عدمه بتلك النعمة. مثلاً: التفّاحة نعمة من الله ولأنّ أكلها لا يتعلّق فيه حقّ الغير فله التمتّع بأكلها أو لا. النظر إلى نجوم السماء في الليل أو في قراءة الكتب نعمة مباحة ولكنّ النظر إلى عورة الجار محرّمة. وهكذا الأمثلة لا تنتهي والزواج أحدها وهو موضع بحثنا، وهو نعمة من الله بواقع الحال وبوصف الله له. ولكن هذه النعمة فيها حقّان وواجبان ومسؤولان هما الزوج وزوجه. فإذا تمّ الزواج بين اثنين تحقّقت نعمة الله عليهما. وإذا انقضى عقد زواجهما ذهبت معها نعمة الله لأنّ مهبطها الزواج وليس الرجل وحده ولا المرأة. لحفظ هذه النعمة أمر الله بحفظ الزواج بين عباده، فإن ظلم الرجلُ زوجَه فقد حرمها من نعمة أسبغها الله عليها وبذلك استحقّ عليه عقاباً في الآخرة وأوجد تشريعاً في وضع حدٍّ لظلمه في الدنيا. ولكن في معظم الحالات ظلم الرجل للمرأة يكون متوهّم التحقّق وليس واقعاً لأنّ حدود الظلم في الشرع يندر أن يستطيع الرجل الوصول إليها إلاّ في الشواذ من الناس. والتشريعات الإسلاميّة التي ينظّم الله بها حياة الأزواج تعالج ظلم الرجل بسهولة ويندر أن يكون ظلمه سبباً في تطليق المرأة.

إنّ طاعةَ الزوجةِ لزوجها ضمانٌ لاستمرار الزواج وبذلك ضمان لدوام نعمة الزواج على الرجل والمرأة التي بحدّ ذاتها موصوفة أنّها نعمة من الله وأنّها خيرُ من كلّ النعم والكنوز إذا كانت امرأة صالحة مطيعة. فإذا ذهبت طاعتها للرجل ذهبت صفتها بأنّها من النعم ومن خير النعم. والرجل يصعب جدّاً أن يتحمّل معصية زوجته وفي أغلب الأحيان يكون الطلاق سبباً حتميّاً لمعصية الزوجة، وفي هدم نعمة الله التي أسبغها الله عليها وعلى زوجها. هذا الهدم والهدر والتفتيت لنعمة الله بهدم الزواج الناتج عن معصية الزوجة هو جحود بنعمة الله

التي في هذه الواقعة يمثّلها الزوج، فالجحود بنعمة الله سبب الجحود بالزوج ومظهر الجحود بالزوج هو معصيته المحرّمة من الله. فالزوج نعمة الله والكفر بالزوج جحود بنعمة الله الذي هو كفر. يقول الله سبحانه في سورة ابراهيم: **﴿ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾**. ونكرّر ما جاء في تفسير القرطبي في معناها: أي جحدتم حقّي وقيل نِعَمي. انتهى. فإذا كان الزوج من نعم الله والزواج من نعم الله والكفر بالعشير هدم للزواج وحرمان للشريك في الزواج من حقّه بالتمتّع بنعمة الزواج وقد يكون هدم صوامع النعم، لأنّ الزواج ليس نعمة واحدة أو بضعة نعم يمكن عدّها بل الزواج أهراءٌ من النعم يعني تلال منها وصوامع لها أي جوامع لها محفوظة من أيّ شرّ أو اعتداء أو تجريح، ومع الزمن تزيد نعم الزواج بفضل الله بدل أن تقلّ، إذا كان الجحود بنعمة الله كفراً فهل تتبرّأ زوجة واحدة هدمت زواجها الذي هو جوامع من النعم بسبب كفرها بعشيرها، هل تتبرّأ هادمةُ النعمِ الجاحدةُ بأمّة من النعم بدل النعمة الواحدة من الكفر وبالتالي من عقوبة جحودَ نعمة الله وهو كفر من الكفر؟ وقد قال ﷺ: «لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه». ففرضُ الشكر يكون ابتداءً على نعمة أو نعم من الله فمفهوم الحديث «لا تشكر لزوجها» يدلّ وُيثبت أنّ الزوج نعمة على المرأة واقتران هذا الحديث بما تلاه: «وهي لا تستغني عنه» يدلّ ويثبت أنّ الرجل أساس جميع نعم الله على المرأة. «لا ينظر الله» تعني: لا يرحم الله. «لا تشكر لزوجها» تعني: لا تطيع، لا تحسن طاعة زوجها، لا تطيعه طاعة يرضاها. الشكر لله عبادته أي طاعته في تنفيذ أحكامه كما أمر سبحانه والشكر للزوج كما الشكر للوالدين طاعة ترضيه وتُدخِلُ السرور إلى قلبه: طاعة مع الاعتراف الظاهر بالفضل.

الغيبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قيل له: ما الغيبة يا رسول الله؟ قال: «ذِكرُكَ أخاك بما يكره. قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». البهت: الكذب والافتراء والحديث أخرجه مالك في الموطأ ٩٧٨/٢ والترغيب والترهيب ٥١٥/٣.

عن أبي حذيفة أنّ عائشة رضي الله عنها حكت امرأة عند النبي ﷺ ذكرت قصرها، فقال النبي ﷺ: «قد اغتبتها» رواه أحمد في مسنده ١٣٦/٦.

الغيبة هي ذكر مساوىء الشخص بغضّ النظر أن تكون تلك المساوىء في جسمه أو خلقه أو عقله أو عادة أو طبع إلاّ أن تكون في محرّم يفعله حتّى يبلغه الخبر على أمل أن يزدجر عنه. وتحريم الغيبة عامّة بين المسلمين مطلقة بين أجناسهم وطبقاتهم وأمصارهم. ولا تتعلّق بقرابة أو مجاورة. وتحريم غيبة الجار دليل على تحريم غيبة الزوج. فالحديث الذي رواه أنس عن النبي ﷺ أنّه قال: «لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتّى يستقيمَ قلبُه ولا يستقيمُ قلبُه حتّى يستقيمَ لسانُه ولا يدخل رجل الجنّة حتّى يأمن جاره بَوَائِقَه». رواه أحمد في مسنده ١٩٨/٣ والغيبة من البوائق لأنّ البوائق هي الأذى على أنواعه وتحريم غيبة الجار من جاره وهو بموقع معرفة حقيقة أحوال جاره ونقائصه وعيوبه وعوراته فإذا كان ذلك الذي يعرف حقيقة العيوب في إنسان وتيقّن منها بحكم تمكّن الاطّلاع عليها يحرّم عليه أن يذكرها لغيره من الناس، فكيف يكون بذكرِ سيّئةِ بعيدٍ من الصعب التيقّن بحقيقة العيب الذي فيه؟ فمن الأولى عدم ذكر عيب في مسلم غير جار. وتحريم أذى الجار تحريم غيبة الجار وتشمل وتستوجب تحريمها على غير الجار.

والحديث نفسه يجعل شرط استقامة الإيمان حتّى يلتقي قلبه ولسانه على

صراط الإيمان. وهو شرط الإيمان أساساً.

إذا كانت غيبة المسلم محرّمة ولا يدخل الجنّة رجل آذى جاره في ماله أو سمعته، فكيف حال المسلمة المرأة المتزوّجة التي تستغيب زوجها وتتكلّم عنه بسوء قد يكون حقيقةً فيه؟ أو تتكلّم عنه بسوء ليس فيه، لتشويه سمعته؟ إنّ الإثم يتعاظم مع تعاظم القدرة عليه. وكلّما كان الإنسان في موضع أقرب لاطّلاعه على سرّ غيره كلّما كان حفظ أمانة السرّ أوجب والثواب علىّ حفظها أجزل، وكلّما فرّط بتلك الأسرار كان اثمُهُ أكبرَ وجزاؤه بالآخرة أشدّ. وإذا كان الجارُ المؤذي جارَهُ بغيبته لا يدخل الجنّة فكيف بالزوجة تستغيب زوجها وتبهته؟ الله أعلم والرسول أخبرنا بمصيرها المشؤوم والعياذ بالله إلاّ أن تتوب إلى الله قبل فوات فرصة التوبة.

«لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتّى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه» أي لا يكون العبد مؤمناً حتّى يقنع القلب بأحكام الله فإن لم يقتلع الإيمانُ من قلبِه عواطفَ الغلّ والغضب والحقد والحسد وما شاكلها من المشاعر التي يستثيرها الشيطانُ ليوقعَ العبدَ بفعلِ الحرام فلا يكون إيمانُ ذلك العبد إيماناً عدلاً أي ليس الإيمانُ الذي أمر به اللهَ وبَيَّن الرسول سبيله. وقد اشترط الحديث استقامة اللسان مع استقامة القلب وجعل استقامة اللسان شرطاً لاستقامة القلب أي أن يؤدّي قناعة القلب واطمئنانه إلى الخضوع لحكم الله في الحياة إلى التعبير عن ذلك بما يتحرّك به اللسان أي بما ينطق به. فإن كان ما ينطق به اللسان ممّا اطمأنّ إليه القلب فإنّ ذلك هو استقامة الإيمان أي تلاقي القلب واللسان على الصراط المستقيم. وإن بقي اللسان يحرّك بما لا يتوافق واستقامة الإيمان أي بقي ينطق بحرام أو كفرٍ أو الأمر بضلالة أو ما يثير الفتن بين الناس أو التحريك بالسبّ والشتمَ والذمّ والغيبة والبهت وما شاكل فيكون اللسان في سبيل والقلب في سبيل آخر فإنّ شرط إيمان العبد يفسد ويبطل إيمانه.

على أنّ تحريم غيبة الزوج الذي هو جزء من حفظه في غيبته جاء مباشرةً دونما حاجة إلى قياسه على تحريم غيبة أيّ مسلم جاراً كان أو قريباً أو صديقاً جاء مباشرة من الله تعالى بقوله: **﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾**.

وفي الحديث أيضاً مباشرة: عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخِر... الحديث وفيه: «ولاتطيعُ فيه أحداً»، وفيه «ولا تضرُّ به». فمن طاعة الآخرين بالزوج غيبته والإضرار به يكون قولاً أو عملاً، والعياذ بالله ●

* حديث شريف *

عن نافع بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته، فالأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعيّة على بيت زوجها وولده. فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيّته».

أخرجه البخاري في كتاب النكاح: باب المرأة راعية في بيت زوجها، ومسلم في كتابه الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، وأحمد مسنده ٢/٥٤ ■

الرعـــــاية

إذا كانت الرعاية تدبير شؤون الغير الحياتية من كافة جوانبها بأفضل الطرق والأساليب لتحقيق الأهداف والغايات التي تؤمن أفضل الظروف لحياة هنيئة راقية وهو المفهوم الشرعي لها، فإنها تكون جزءاً من أمانة الإسلام التي عهد الله بها للإنسان بالأصل وخصّها بالمسلم بعد بعثه الرسول ﷺ. هذه الرعاية عبءٌ ثقيلٌ على كلِّ مَن يتفهم مسؤولياتها، ومشقتها من جنس مشقة المقاتلة والعراك الدموي.. لذلك جعلها الإسلام من أصناف الجهاد وجعل الموت دفاعاً عن ركن من مقوّماتها استشهاداً، فحماية العرض ركن من الرعاية وحماية المال الواجب للرعاية ركن من الرعاية وهكذا فالموت دون العرض استشهاد والموت دون المال استشهاد. هذه أمثلة للتدليل أنّ الرعاية مسؤوليّة رئيسيّة في الحياة ولعلّها المسؤوليّة الرئيسيّة بعد مسؤوليّة حمل الدعوة الإسلاميّة للناس.

رعاية الزوج لزوجه ألزمها الله على الرجل بمفهومها الشرعي الذي حدّده القرآن والرسول ﷺ. إطارها العام حماية الزوجة من كل شيء، مثل: حمايتها من الإعتداء، حمايتها من الجوع، حمايتها من البرد، حمايتها من المرض، حمايتها من العري، حمايتها من الحَرّ، حمايتها من العطش، حمايتها من شظف العيش وخشونته وهكذا. أمّا هدفها المحدّد فتأمين «الخير» للزوجة. في تحديد الإطار

الشرعي للرعاية يقول الله سبحانه وتعالى **﴿الرجال قوّامون على النساء﴾** أي الرجل هو الذي يدبّر شؤون المرأة الحياتية وهذا ليس أمراً فيه خيار القبول والرفض بل واجب شرعي. وحتى لا يُفهم من هذا أنه تفضيل للرجل فينطلق بنزوات قد يظلم بها المرأة. أو يتردّد بتحمّل أعباء مسؤولية الرعاية، أكمل الله تعالى الآية ليوضح سبب إلقاء هذه المهمة على عاتق الرجل فقال: **﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض﴾**. ومفهوم الآية العام كما يفهم من كتب التفسير بما خصّ الله بعضهم أي الرجال بقدرة تتناسب ومتطلبات قيامة الرجل على المرأة، ومؤهلات لا بدّ منها للقيام بمسؤولية الرعاية. فثواب رعاية الرجل لزوجه أقلُّ من ثواب طاعة المرأة لزوجها. ولهذا لا يتعلّق التفضيل بالآية بالثواب والعقاب بل يتعلّق بتخصيص الرجل بمقومات رعاية العائلة ليقوم بدوره، وحقُّ الرعاية للرجل يوجب على المرأة طاعة زوجها في أمور الحياة حتى يستطيعَ القيامَ بفرض الرعاية بأرقى مستوى. فالتخصيص متعلّق بدور الرجل وليس بذات الرجل تماماً كما يتعلّق تخصيص دور المرأة برعاية الطفل والبيت. هذا التخصيص للدور مرتبط أيضاً بمسؤولية أخرى أساسية وهي الإنفاق.

المال وسيلة رئيسية لتدبير شؤون القوم والعائلة للسير في الحياة والعيش الرغيد. ولهذا، ولأن مجامع المال في المجتمعات تكون بطبيعتها بيد الرجال فإنه سبحانه وتعالى ألزمهم بالإنفاق على المرأة حتى لو كان عندها أموال تستغني بها عن مال زوجها. فجعل مبرّر إعطاء الرعاية للرجل بالإضافة إلى تفضيله بالقدرة للقيام بهذا الدور كذلك بسبب تمكّنه من الإنفاق أساساً، وفرض الإنفاق عليه للزوجة فأكمل الآية: **﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾**. فالتفضيل أو تخصيص الرجل بالطاقة الجسدية ومنها العقلية وبالقدرة المالية، وإلزامه بالإنفاق على زوجه، وهما شرطان رئيسان للقيام بالرعاية، جعل فرض الرعاية للرجل من الله أمراً طبيعياً يتناسب

مع تكوين المجتمع الإسلامي. ولو وقفت الآية عند هذا كان يمكن للمسلم أن يستنتج من قاعدة «ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب». إن قوامة الرجل على المرأة وتفضيله بمسؤولية الرعاية يوجب على المرأة طاعته وخدمته بأموره المعيشية وحفظ ماله وأن لا تنفق من مالها إلاّ بإذنه وأن تنفق من مالها إذا عجز عن الإنفاق وأن لا تخونه في غيبته وتحفظ سره، ولكن الله سبحانه وتعالى يصرّح بتحديد إطار الطاعة بنفس آية تحديد إطار الرعاية فيكمل الآية ويقول: **﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾**.
وجاء في تفسير القرطبي بشرحها: بما يجب عليهنَّ من حقوق أزواجهنَّ بالطاعة لهم.

بعد تحديد مسؤولية الرعاية وتحديد مسؤولية الطاعة لا بدّ من تحديد إطار الرعاية أو طريقة مباشرتها وتحديد هدفها أو غايتها. لأن أي عمل يحتاج إلى أمرين طريقة تنفيذ وتحديد هدف وبدون أي منهما يتحوّل العمل إلى فوضى أو ضياع. والتحديد لا بدّ أن يكون من الله الذي أمر بالرعاية والطاعة أساساً. ففي تحديد الإطار أو طريقة التنفيذ يقول الله تعالى: **﴿وعاشروهنّ بالمعروف﴾**. ويقول ﷺ في حجة الوداع يوصي المسلمين: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً». وفي حديث آخر يقول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم». فالتعامل مع الزوجة يلزم أن يكون من جنس العمل. العمل هو الرعاية، والرعاية لا تكون إلاّ بالرأفة والحنان، بالمعروف والخلق الحسن واللفظ الجميل، بمعذرة المقصّر والعفو عن السيئة وغضّ النظر عن الشواذ الذي لا يخالف بذاته شرعاً، والتراحم بالصلة هو أساسي بمباشرة الرعاية. فالرجل مقيّد بطريقة مباشرة الرعاية إذا أراد من هذه المباشرة إرضاء الله والوصول إلى جنته.

ولا شك أن عملاً هذه طريقته لا بدّ أن تكون غايته وهدفه من جنسه فإذا

كانت طريقته «خيراً» و«بالمعروف» فلا بدّ أن تكون غايته خيراً. صحيح أنّ جميع أحكام الإسلام يؤدي التقيّد بها إلى خير في الدنيا وخير في الآخرة دون استثناء، إلاّ أنّ الله سبحانه وتعالى ورسوله يؤكدان بكل وضوح هذه الغاية ووجوب تحقّقها من فرض الرعاية فيقول الله في القرآن الكريم: **﴿وعاشروهنّ بالمعروف فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾** الخير نتيجة مباشرة الرعاية بطريقتها الشرعية «بالمعروف» حتى لو كنت تكره أمراً أو شيئاً من زوجتك، ولا تبقيها إلاّ على مضض. فمن باب أولى أن يكون الخير لك ولزوجك إذا كنت لا تكره منها شيئاً، وتهنأ بقربها وحديثها ومجالستها. فالخير نتيجة لحسن الرعاية وليس للود. فإذا كان الودُّ يكون الخير أكثر ولا شك. أمّا الرسول ﷺ فيقول: «خيركم خيركم للنساء» ويقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». ومفهوم هذا الحديث أن حسن الرعاية تجعل من الرجل «خير» لزوجه. وإذا تحوّل الرجل إلى «خير» للزوجة، فإنها تكون قد ملكت نعيم الدنيا والآخرة. لأن الرجل لا يمكن أن يتحوّل إلى «خير» إلاّ إذا أطاعته وأرضته زوجه، ومن ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة. وإذا أمعن الرجل نظره في هذه الآية: **﴿وعاشروهنّ بالمعروف فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾**. يدرك أن أجر المعاشرة بالمعروف، ولو على مضض وتململ وإعراض في نفسه عن الميل إلى زوجه، أو كرهه لبعض تصرّفاتها وطباعها، هو الجنّة. لأنّ الله يعد على هذا المعروف «خيراً كثيراً» والخير الكثير في الدنيا يكون بتقوى الله والسعادة وردّ البلاء وفي الآخرة يكون بمغفرة الله والسعادة الدائمة بالدخول إلى الجنّة، فخير الدنيا الكثير يؤدّي إلى الخير الدائم في الآخرة.

مع بيان طريقة الرعاية الواضح وهدفها قد يتغطرس الرجل ويعصي الله بظلمه لزوجه لخشونةٍ في نفسه أو عصبيّة في مزاجه أو سوء في طبعه. صحيح أنّ الإيمان يوجب السيطرة على الانفعالات النفسيّة والارتدادات العاطفيّة. فلا

ينطق الفم إلاّ بما سمح به الشرع في تلك الحالة. وصحيح أنّ مقياس المؤمن للأمور هو المقياس الشرعي، إلاّ أنّ وضوح معنى العبوديّة لله وتسليم الأمر لله قد يعلوه الغبار عند الناس إذا لم يستمرّ المسلم ببلورة وصقل معلوماته وأفكاره الشرعيّة الأساسيّة. لهذا لم يترك أمر الرعاية للرجل دون توضيح وتحديد وترغيب وترهيب. الله سبحانه وعد الرجل الذي يعاشر زوجه بالمعروف ولو كان لا يطيقها بأجر كبير. ولكنّه سبحانه أيضاً يذكّر ويهدّد مَن يتجاوز حدود الرعاية التي فرضها الله، وهو قادر على ظلم زوجه بما مكّنه الله فيه من الكمال النسبي في خلقه، يذكّره بوعيد أنّه مهما أحسست أنّ لك قدرة في التسلّط وظلم زوجك، أُذكر أنّ الله هو الذي جعل فيك تلك القدرة وأنّه أقدر عليك من قدرتك على زوجك. فيقول في نفس الآية [٣٤ النساء] **﴿فإن أَطَعنَكُم فلا تَبغوا عليهنّ سبيلاً إنّ الله كان عليّاً كبيراً﴾**. فلا يتعالى أو يتكبّر مسلم على زوجه بفضل ما حباه الله به، فإنّ الله هو المتعالي ووحده الذي يحقّ له التعالي وهو المتكبّر ووحده الذي يحقّ له التكبّر. ذلك أنّ الإنسان مهما بلغت قدرته ونفوذه يبقى محدوداً في قدرته ونفوذه. لأنّ هذه القدرة تعتمد على عناصر لوجودها واستمرارها فمتى ذهبت عناصرها ذهبت معها. أمّا قدرة الله سبحانه فلا تعتمد على عناصر بل جميع عناصر الوجود من خلق تلك القدرة وكلّ ما في الوجود يعتمد على تلك القدرة. فتعالي وتسلّط الرجل على الزوجة سوء لاستعمال القدرة التي قدّرها الله له ويمنع تحقّق غاية «الخير» التي أمر الله والرسول بتحقيقها أساساً بممارسة فرض الرعاية. وهذا يعطّل أحكاماً شرعيّة عدّة أمر الله بها ممّا يجعل هذه المعصية جريمة نكراء، إثمها وإثم جميع ما يترتّب على تعطيل غاية الرعاية يكون على المذنب وحده ●

العائلة... قلعة

حصّنها الله ورسوله

كتاب

الزوجة مع زوجها

الفصل الثاني

- القناعة بالمرأة وفيها عِوَج
- طاعة الزوج يَعدِل ثوابها استشهاد الرجل
- عصيان الزوج من الكبائر في دين الله
- الإسعاد واجب الزوجة

١ ـ عدمُ الشكر فسقٌ وكفرٌ بِنِعَم الله

- مكارِه الزواج وثوابه

١ ـ الصبر على المكارِه طريق الجنّة.

القناعة بالمرأة وفيها عِوَج

جعل الله قواعد للحياة الزوجيّة يستحيل معها هدم العائلة إذا ما تقيّد الرجل والمرأة بها، وبذلك يستحيل على الشيطان أن يجوس في أرجاء عائلة تقيم حياتها على قواعد الإسلام. ولعلّ أكبر عامل في هدم الحياة الزوجيّة هو عدم فهم الرجل لطبيعة المرأة ومدى اختلافها عن طبيعة الرجل.....

وأوضح عليه الصلاة والسلام عيوب النساء حتّى يتبيّن الرجل حقيقة المرأة ويعلمه ويحتاط له فقال: «إنّ المرأة خلقت من ضلع، وإنّ أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء». وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها، فدارِها تعش بها». وفي حديث آخر: «إنّ المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عِوَج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها». وقال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر». يفرك يعني يكره.

هذا الوصف من النبي عليه الصلاة والسلام الذي أوحى الله تعالى معناه إليه هو الوصف الثابت والدائم في المرأة. لأنّ فيه تبياناً للواقع الذي خُلقت عليه

المرأة. خلقها الله من أكثر أضلع الرجل اعوجاجاً وهو الضلع الأعلى. وهذا لا يعني اعوجاجاً في الشكل أو العظم أو اعوجاج عضو، فالمرأة رمز الكمال في الخِلقة وعنوان الجمال في الكون ورأس الافتتان في الحياة وينبوع للبهجة والمسرّة واللهو بين الناس. وإلى هذا فهي أمٌّ أفرغ اللهُ فيها صبراً وحنوًّا ورحمة تستطيع بها حمل الأطفال ووضعهم وتنشئتهم دون مللٍ أو كلل رغم كثير التعب. ولكنّ العوج فيها في طبعها، في أخلاقها وفي طريقة فهمها للأمور. هذا العِوَج وإن كان طبيعيّاً قد جعل الله ورسوله له علاجاً. أمّا العلاج فهو علاج كلّ أمر في الحياة وهو الإيمان. فالإيمان في الإسلام يوجب العمل بحسب ما أمر الله والرسول به، وهو يقتضي التسليم المطلق والتقيُّد بحكم الله.

ومن أحكام الله الأساسيّة في الزواج على المرأة طاعتها لزوجها. فطاعة الزوج لزوجها أوجبها الله كما أوجب الجهاد على الرجل. لأنّه جعل أجر الاستشهاد أو الانتصار في الجهاد كأجر الزوجة المطيعة لزوجها. إلاّ أنّ الجهاد فرض عين حتّى تحصل الكفاية في الانتصار أي فرض على مَن يكفي للقيام بالعمل بينما فرض طاعة الزوج لزوجها فرض عين على كلّ زوجة مع دوام الزواج.

أمّا لماذا الإيمان يعالج العوج الطبيعي في المرأة، الذي قد يكون عوجاً في فهم الأمور أو عوجاً في أسباب الميل العاطفي، فلأنّ الإيمان يحتّم على الإنسان ذكراً أو أنثى فهم الأمور بحسب واقعها، وقبولها أو رفضها بقدر موافقتها للحكم الشرعي أو مخالفتها له. كذلك بالنسبة للميول فما وافق الشرع أحبّه المسلم وما خالفه كرهه، وما حسّنه الشرع يراه حسناً وما قبّحه الشرع يراه قبيحاً. ومع أنّ الإيمان وحده يجب أن يكون كافياً لتلافي خطر العوج في المرأة إلاّ أنّ النفس البشريّة طبعت وفيها إمكانيّة الانحراف حتّى مع وجوب الإيمان. قول الرسول ﷺ «فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج»، توصية للرجل أن يداري العوج في المرأة ويداوره حتّى ينعم بالاستمتاع. والاستمتاع هنا ليس الجماع بل العيش الهنيء الذي يكون الجماع جزءاً منه، فالاستمتاع هو في الصحبة

والمعاشرة والمرافقة في كلّ أبعادها ومقتضياتها ليل نهار، في الصحّة والمرض، في الغنى والفقر، في الاستقرار والتشرّد وفي النجاح والفشل. يعني في كلّ حالة تفرضها الحياة يتكيّف معها المؤمن ويعتبرها حالة حياتيّة يمكنه معها أن يستمتع بنعم الله التي لا تحصى ومنها الزوجة التي إذا أمرها أطاعته.

هذا إذا كان العوج ممّا يمكن المناورة للتغلّب عليه، أو مداورته لتفاديه وعدم التصادم معه. ولكن إبليس اللعين والشيطان الرجيم يفتّش عن أصغر العوج الذي يمكن تضخيمه، فينفخ فيه سمومه. وقد ينجح عبر السنين في تحويله مشكلة زوجيّة يمكن التعايش معها كأيّ حالة منغّصة للعيش ولكن لا تؤدّي إلى هدمه، أو مشكلة زوجيّة لا يمكن التعايش معها كالنشوز أي المعصية أو فعل الفحش والتفحّش وارتكاب المعصية المبيّنة أي التطاول والبذاءة باللسان وظهور الوقاحة بالقول والفعل من المرأة والعياذ بالله، وهي حالة يكون الشيطان وزبانيته قد أحكموا سيطرتهم التامة والكاملة على تلك المرأة المسكينة، وفي ذلك أفردنا بحثاً منفصلاً.

ومع عوج النساء فقد أمر الله تعالى معاشرتهنّ بالحسنى والمعروف كما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بحسن معاملتهنّ والصبر عليهنّ وجعل في ذلك أجراً كبيراً للرجل. فقال عليه الصلاة والسلام: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارهم خيارهم لنسائهم». وقال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». وفي حديث: «خيركم خيركم للنساء». وقد أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام الرجال المؤمنين بالنساء في خطبة حجّة الوداع فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنّما هنَّ عوان عندكم، ليس تملكون منهنَّ شيئاً غير ذلك، إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيّنة، فإن فعلنَ فاهجروهنَّ في المضاجع، واضربوهنَّ ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلاً، ألا إنّ لكم على نسائكم حقّاً، ولنسائكم عليكم حقّاً، فحقّكم عليهنَّ: أن لا يوطئن فرشكم مَن تكرهون، ألا وحقّهنَّ عليكم: أن تحسنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ». وعن معاوية بن

حيده قال: قلت: يا رسول الله، ما حقّ زوجة أحدنا عليه؟ قال عليه الصلاة والسلام: «أن تطعمها إذا طُعِمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبّح، ولا تهجر إلاّ في البيت».

طاعة الزوج يعدل ثوابها استشهاد الرجل

ومع ما أمر الله والرسول به الرجل من حسن معاشرة المرأة كذلك أمر الله ورسوله المرأة بحسن معاشرة زوجها وطاعته وحفظه في غيابه. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله: أيّ الناس أعظم حقّاً على المرأة؟ قال: «زوجها» قلت: فأيّ الناس أعظم حقّاً على الرجل؟ قال: «أمّه». وعن حصين بن محصن: أنّ عمة له أتت رسول الله ﷺ، فقال لها: «أذات زوج أنت؟» قالت: نعم، قال: «فأين أنت منه؟» قالت: ما آلوه إلاّ ما عجزت عنه. قال: «فكيف أنت له؟ فإنّه جنّتك ونارك» رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيّدين والحاكم وقال صحيح الإسناد. وعن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجِروا وإن قُتِلوا كانوا أحياءً عند ربّهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم. فما لنا من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: أبلغي مَن لقيت من النساء: «إنّ طاعة الزوج، والاعتراف بحقّه، يعدل ذلك، وقليل منكنّ مَن يفعله».

فقد ساوى الإسلام بين جهاد الرجل في سبيل الله والانتصار في الحرب أو القتل شهيداً وبين طاعة الزوج له ومعرفتها حقوقه عليها. ولا يجوز في هذا المجال البحث في المفارقة والمفاضلة بين هول القتل والقتال وطاعة الزوجة، ولا يجوز التفكير ولو للحظة عن مدى تفضيل النساء على الرجال أو مدى التساهل

الإلهي مع النساء والشدة مع الرجال في شروط دخول الجنة. لأن الموضوع ليس مفاضلة وبخساً لحق ولا تسهيلاً ولا تصعيباً لدخول الجنة، بل تكليفاً من قبل رب العالمين لكلٍّ حسب طبيعته وقدرته. وعلى كلٍّ حسب دوره ورسالته في الحياة. فالإنسان ذكرٌ أو أنثى يحيا على هذه الأرض فترة محدّدة من أجل القيام بعمل معين بقدرة محدّدة. فلا الرجل اختار رسالته ولا المرأة اختارت رسالتها بل تقديراً وإلزاماً من الله للمؤمنين الذين قبلوا الإلتزام بأمر الله. أمّا من اختار لحياته رسالةً ودوراً بما يراه هو ومن وراءه شيطانه فقد أنظره الله إلى يوم البعث حيث الحساب والثواب والعقاب. والله تعالى يقول: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾**.

وزاد الإسلام في تحصين المرأة بوجه شيطان المعصية لزوجها فرغّبها بطاعة زوجها وجعل الجنة شرطاً من شروطها فقال عليه الصلاة والسلام: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة». وقال ﷺ: إذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحفظت فرجها وأطاعت زوجها، قيل لها: أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت». وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «كل ودود ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى».

عصيان الزوج من الكبائر في دين الله

مع الترغيب بالجنة والمغفرة من الله وعظيم أجر طاعة الزوج فإن الله والرسول قد بيّنا عظيم جرم معصية الزوج لزوجها وإن هذه المعصية طريق حتمي إلى جهنم وسبب في غضب الله ولعنته ولعنة الرسول ولعنة الملائكة على الزوجة الناشزة التي تأتي بالفاحشة المبيّنة، التي تعصي زوجها وتتطاول عليه باللسان ووقح الكلام وتفعل ما يكره وتبدّد ماله وتبيح سرَّه ولا تحفظه في غيبته، وتفارق فراشه ولا تستجيب له ويغضب أو تغضبه ولا تسترضيه. قال عليه الصلاة والسلام:

«لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه». وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلكِ الله، فإنّما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي حديث آخر للرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجُها». وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه ويضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجُها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو». رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبد الله

بن محمد بن عقيل. وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة لا تؤدي حقّ الله حتى تؤدي حقّ زوجها كله، لو سألها وهي على ظهر قتب لم تمنعه نفسها».

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إثنان لا تُجاوز صلاتُهما رؤوسَهما: عبدٌ أَبِقَ من مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع». رواه الطبراني بإسناد جيد والحاكم. وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ المرأة إذا خرجت من بيتها، وزوجها كاره، لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء مرّت عليه، غير الجن والإنس حتى ترجع». وعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله أي النساء خير؟ قال: «التي تُسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره». وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا صلّت المرأة خمسَها، وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت». ساوى عليه الصلاة والسلام بين الصلاة والصوم وعدم الزنى وطاعة الزوج كشرط لدخول المرأة الجنة برحمة ربها ولانفتاح جميع أبواب الجنة لها تدخلها من أي باب شاءت. وهذا الحديث يعني أيضاً أن أيّ ثلاثٍ من هذه العبادات والطاعات لا تفتح أبواب الجنة. فإن سقط قيام واحدة منها كعدم تأدية الصلاة في الحياة أو عدم صيام رمضان أو إتيان الزنى أو النشوز بمعصية الزوج أو إتيان الفاحشة بالتطاول باللسان على الزوج فإن ذلك يمنع انفتاح أبواب الجنة لها ويجعل مصيرها مع المصنّفين للحساب العسير والعياذ بالله. فكما أن الصلاة والصوم عبادات زمنية موقوتة مفروضة أبد الحياة أي طالما أن في الإنسان عرقاً ينبض أو عيناً ترفُّ، كذلك عدمِ الزنى وطاعة الزوج طاعات مفروضة طالما في المرأة عرق ينبض أو عين ترفٌّ وهي قادرة على القيام بواجب هذه الطاعة. وعليه لا تكون الطاعة مفروضة في حال تبادل الحب فقط بين الإثنين بل طاعة الزوج لزوجها طالما هي زوج دون اعتبار لحالة الزواج من سعادة أو تعاسة. فرضُ الطاعة أوجبه الله وجعله كعبادة

الصلاة والصوم واجباً طالما حالة الزواج قائمة. فليس الفرض موقوفاً بأي شرط طالما العشرة الزوجية وضع قائم بشرع الله وليس للمرأة أن تضع ظروفاً للطاعة وظروفاً تظن أن الطاعة فيها غير واجبة. فكما أن حالة الحياة توجب الصلاة وعدم الزنى تماماً حالة الزواج توجب طاعة الزوج لزوجها. ولتعلم المرأة أنه لولا أن الطاعة، طاعة الزوجة لزوجها، من الفرائض الأساسية التي يرتبط بها مصير المرأة في الآخرة بالجنة وأن المعصية، معصية المرأة لزوجها، من الكبائر العظائم في الإسلام التي يرتبط بها مصير الناشزة أو العاصية أو المتفحّشة في الآخرة بالنار، لما ساوى الرسول عليه الصلاة والسلام بين الجهاد والاستشهاد في سبيل الله وبين طاعة المرأة لزوجها.

كما في حديث ابن عباس عن الرسول عليه الصلاة والسلام حيث قال في آخر الحديث: «أبلغي من لقيت من النساء: أن طاعة الزوج، والاعتراف بحقه، يعدل ذلك». أي الجهاد والاستشهاد الذي كان السؤال عنه في أول الحديث. والحديث المتعلّق بعدم قبول الله سبحانه وتعالى لصلاة من تعصي زوجها واضح صريح لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل. وحديث زيد بن أرقم عن الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه: «المرأة لا تؤدي حقّ الله حتى تؤدي حقّ زوجها كله»، يُغني عن أي توضيح ويرفع أي لبس أو إبهام في عظيم أجر الطاعة ومكانتها في الإسلام وكبير إثم معصية الزوج حتى جعلها الله من الكبائر. جاء في القرطبي في تفسير آية: **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تُنهَون عنه نكفِّر عنكم سيئاتِكم وندخلكم مُدخلاً كريماً﴾** النساء ٣١. قال ابن عباس: الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. انتهى. فلو استعرضنا الأحاديث النبوية المتعلّقة بالمعصية لوجدنا كم مرة هدّد الرسول ﷺ الزوجة العاصية بسخط الله وناره ولعنة الملائكة. وتكفي مساواة عدم طاعة الزوج بترك الصلاة وعدم الصوم والزنى حتى يكون فعل معصية الزوج من الكبائر في دين الله ●

حديث شريف

في حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ،قال: قيل يا رسول الله أيّ النساء خير؟ قال: «التي تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، ولا تُخالفه في نفسها ولا في مالها بما يكره».■

رواه أصحاب السنن بسند صحيح.

الإسعاد.. واجب الزوجة

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون**﴾. الروم ٢١.

في هذه الآية الكريمة تحديد للقصد من الزواج، وتوضيح لواقع الحياة الزوجيّة وأنّ الزواج الذي لا ينضح بالسكينة وهي: الطمأنينة والغبطة وأشمل وأعمق من ذلك، لا يتّصف بهذا الوصف الإلهي للزواج، والحياة الزوجيّة التي يرتضيها الله لعباده المؤمنين. وفيه مفهوم أنّ خلق المرأة من ضلع الرجل معجزة، وجعلها زوجة يسكن إليها الرجل معجزة كمعجزة خلقها. فالسكينة أي السعادة والغبطة والطمأنينة والحبور والاستسلام الكلّي لقدر الله، كلّها مجتمعة إهداء من الله، نعمة من الرحمن الرحيم إلى الرجل في قالب أنثوي سمّاه تعالى امرأة، وأباحها للرجل بالزواج.

يُذكّر الله بمعجزاته التي لا تعدُّ ولا تحصى فيأخذ واحدة منها ويلفت الانتباه إلى الإعجاز فيها بكلّ رقّة ورأفة. والآية توضح للرجل والمرأة أنّ «السكنى» أو «السكينة» شرط أساسي في استمرار زواج المسلمين. فلا سعادة لمؤمن في زواج دون سكينة. ولمّا كان الإيمان يحتّم السعادة ويمنع الشقاء لا بل يستحيل التقاء

الشقاء بالإيمان، يكون السعي من أجل توفير السكينة في الزواج فريضة واجبة على الرجل والمرأة. والويل لمن لا يؤدّي قسطه في سبيل ذلك. والآية تبيّن بوضوح أنّ طبيعة الحياة الزوجيّة للمسلمين هي طبيعة هانئة مطمئنّة يسودها الوفاق والالتقاء الروحي. والآية بذلك تحتّم أنّ نظام الله لعلاقات العائلة بالزواج بين الرجل والمرأة وتنظيم استمرار تلك العلاقة هو النظام الوحيد الذي يحقّق وصفه تعالى لطبيعة الزواج هذا. وكما أرسى الله سبحانه وتعالى الجبال أوتاداً للأرض جعل لحياة العائلة المسلمة قواعد أساسيّة لا يجوز أن يحيد الرجل والمرأة عنها. فالعائلة في الإسلام تقوم على حقّ الرعاية المطلق للرجل، وهو فرض واجب على الرجل وليس حقّاً يمكنه التخلّي عنه. وعلى المرأة حقّ الطاعة المطلقة وهو فرضٌ واجبٌ عليها الالتزام به التزاماً حياتيّاً كالتزامها بالصلاة والصدق والأمانة. وطاعة الزوج لزوجها حقٌّ من حقوق شهادة لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، فلا سعادة ولا سكينة ولا بركة في زواج لا تطيع فيه الزوج زوجها. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «ولا تجد المرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدّي حقَّ زوجها». فطاعة المرأة لزوجها أساس لسعادة الزوج والعائلة. وهذا واضح في موضوع الإعجاز الذي تلفت إليه الآية الكريمة: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾**. فالآية تبيّن أنّ السعادة في الزوجة ومن الزوجة التي يتوافق معها الرجل وترضى روحه بالاطمئنان للقرب منها وتهنأ نفسه بالدخول فيها والسكنى إليها.

وحيث أنّ المرأة هي أساس السعادة في الزواج فقد شرّع الله سبحانه الأحكام التي تحتّم على المرأة طوعاً أو كرهاً أن تقوم بدورها الطبيعي في الحياة وتوفّر السعادة لزوجها. فبيّن سبحانه أحكامه وأوامره ونواهيه المتعلّقة بتنظيم العائلة والعلاقة بين الزوج وزوجه، وجعل الرعاية والقيادة للرجل وعلى المرأة الطاعة في غير معصية الله. وحتّى لا يترك للمرأة حقّ الخيار في التردّد بين القبول وعدم القبول يفرض الله عليها طاعة زوجها أبد الحياة، ربط سبحانه وتعالى طاعتها

لزوجها بعبوديّتها له جلَّ جلاله، وأقفل أبواب السماء على صلاة وصوم ودعاء وتسبيح المرأة التي لا تطيع زوجها. فقال عليه الصلاة والسلام: «فإنّي لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده، لا تؤدّي المرأة حقَّ ربّها حتّى تؤدّي حقَّ زوجها». وفي هذا إعلان واضح من الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ﷺ أنّ الله لا يقبل طاعةً أو عبادةً من الزوجة التي تقصّر بتأدية حقّ زوجها وأداء واجباتها له. وكأنّه يقول أنّ طرق السماء مؤصدة الإقفال بوجه المرأة التي تعصي زوجها أو حتّى تقصّر في واجبها تجاه زوجها، وتأدية حقّه حتّى يرضى. فقبول الله من المرأة أيّة عبادة أو صدقة أو دعاء منوط بنجاحها وتمام قيامها بواجبها تجاه زوجها وإلاّ فطريق السماء عليها مقطوعة ولا تُقبل منها طاعة ولا عبادة، أي كأنّها لا تصلّي ولو صلّت وحالها كحال مفطر رمضان ولو صامت ولا حساب لأيّ صدقة تقدّمها.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال — في هذا حديث للرسول ﷺ قال: «ثلاثة لا تُقبل لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتّى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتّى يرضى، والسكران حتّى يصحو». رواه الطبراني في الأوسط. من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل. وفي حديث آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبد أَبَقَ من مواليه حتّى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتّى ترجع». رواه الطبراني بإسناد جيد والحاكم.

الشرط الأوّل لسعادة العائلة هو المرأة، وفي عمليّة تطويع المرأة فكريّاً ونفسيّاً لهذا الدور الحياتي يضع سبحانه وتعالى المرأة أمام الخيار الصعب في الحياة: القبول بعبوديّة الله أم الرفض. وما يؤدّي إليه كلّ خيار. فالموت والحياة من خلق الله وسبب هذا الخلق هو امتحان الرجل والمرأة في كلّ أمر وفي كلّ عمل وخاصة في الأمور الرئيسيّة في الحياة، مصداق قوله تعالى: **﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾**. الملك ٢. وربطه سبحانه لقبوله بتوحيده

وعبادته من المرأة بطاعة وإرضاء وإسعاد زوجها يجعل معصية المرأة لزوجها أمراً بالغ الخطورة في الإسلام. ومن التمعّن في الدور العام الذي حدّده الله للمرأة في الحياة لا نجد أخطر من المعصية الزوجيّة جريمة إلّا جريمة فعل الزنى التي تستوجب القتل في الحياة. فمعصية الزوج لا تستوجب الموت في الحياة ولكنّها تستوجب جهنّم في الآخرة بحسب نصوص ومدلولات الأحاديث النبويّة المتعلّقة في هذا الأمر والتي أوردناها في غير مكان. فحكم الموت على الزنى غسلٌ للذنب ويمنع جهنّم في الآخرة برحمة الله، أمّا معصية الزوجة لزوجها فليس عليها هذا العقاب وليس لها ذلك الغسل منه إذا لم تتب قبل موتها. والصدقة التي تغسل تحتاج إلى توبة، والتوبة هي العودة إلى الطاعة والارتداد عن المعصية فإذا تمّ القبول بالطاعة والامتناع عن المعصية لا تكون هناك مشكلة وبذلك يتحقّق الشرط الأساسي للسعادة وهو الزوجة المطيعة التي يرضى عنها زوجها وربّها.

إنّ القبول بحكم الله يعني الجنّة ومعصية حكم الله يعني جهنّم والخيرة للرجل والمرأة أن يختار كلّ منهما طريقه ويحدّد مصيره. وهذا أمر صعب في البداية سهل إذا أمعن الإنسان نظره وفكره فيه. والله سبحانه الذي فطر العبد على الخوف كذلك فطره على الطمع ولهذا فالإسلام جاء ببيانه للحكم الشرعي يهدّد مُخالِفَهُ بعذاب الله الذي يهزّ القلوب ويبكي العيون هلعاً ولكنّه يَعِدُ مطيعه بجنّات الله التي تهزّ القلوب وتُبكي العيون فرحاً. وكما يهدّد الله المرأة التي تعصي زوجها ويخوّفها بجهنّم كذلك يطمئنها في طاعتها ويعدها الجنّة. فالرسول عليه الصلاة والسلام يصف المرأة التي تدخل الجنّة بطاعتها لزوجها والعمل لإرضائه والسعي لاسترضائه. عن أَنَس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «كلّ ودود ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتّى ترضى». رواه الطبراني. إعجاز الله يظهر في كلّ شيء وفي هذا

الوصف إعجاز من رحمته وإعجاز من كرمه وإعجاز من تبسيط وتيسير طريق الجنّة على المرأة. سبحان الله ما أعدله وما أرأفه بالمرأة. وفوق هذا يقول الرسول ﷺ للرجال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. فهنيئاً للمرأة تطيع زوجها وتسترضيه فتنعم بخير الدنيا وجنّة الآخرة فتسعد قبل الموت وتسعد بعد الموت، وفي الموت يتعهّدها رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: قيل يا رسول الله أيّ النساء خير قال: «التي تُسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره». رواه أصحاب السنن بسندٍ صحيح. فالمرأة بهذه الصفة هي «خير» وفي حديث آخر «خير ما يكنز المرء» دليل واضح على أنّ الزوجة حتّى تدخل الجنّة يجب أن تكون في الدنيا خيرٌ لزوجها. والسعادة جزء من الخير وفي أضيق معاني الخير تكون السعادة ثمرة الخير الوحيدة التي ينعم الله بها على عبده، فالمرأة حتّى توصف بوصف الرسول ﷺ أنّها «خير» يلزمها أن تكون مصدرَ سعادة لزوجها وإلاّ فكيف تُسرّ الزوج إذا نظر إليها وهي ليست مصدر سعادة له؟

مهما كانت مهمّة الزوجة سهلة أو صعبة للبعض فإنّ الصبر على مشاق الزواج أجره الجنّة كالصبر على أيّ مكروه في الحياة. ولا يكون الصبر مأجوراً إلاّ إذا أدّى المرء حقّ الصبر بالخلق الحسن ونفسٍ راضية. فسوء الخلق والتصرّف الساخط يُبطل أجر الصبر لأنّه يناقضه.

عدمُ الشكرِ فسقٌ وكُفرٌ بنِعَم الله

عن أبي راشد الحبراني قال: قال عبد الرحمن بن شبل: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الفسّاق أهل النّار»، قيل: يا رسول الله ومَن الفسّاق؟ قال: «النساء». قال رجلٌ: يا رسول الله أولسنَ أمّهاتنا وأخواتنا وأزواجنا، قال: «بلى ولكنهنّ إذا أعطينَ لم يشكرنَ وإذا ابتلينَ لم يصبرنَ». رواه أحمد ٤٢٨/٣. نقول وبالله المستعان: إنّ النساء وإن كنَّ أمّهات وأخوات وبنات فليست واجبات أو دور الأمومة والأخوة والبنوّة هو الدور الأساسي لهنَّ في الحياة بل الحياة الزوجيّة وقيامها بدور الزوجة هو الدور الحياتي للمرأة ونجاحها فيه هو الذي يقرّر جنّتها أو نارها في الآخرة. إنّ الحديث يتناول «الفسّاق» و«النساء» وليس بعض النساء اللواتي لا يشكرنَ النعمة والعطاء وبعض النساء اللواتي لا يصبرنَ على بلاءٍ من مرض أو عجز، بل «النساء» وليس بدورهنّ كأخوات وأمّهات وبنات بل بما هو عليه معظمهنّ أي بما يشترك بهنَّ الأمّهات والأخوات والبنات أي بكونهنّ أزواجاً فيكون تفسير: إذا أعطينَ لم يشكرنَ لأزواجهنّ وإذا ابتلينَ لم يصبرنَ على مسؤوليّة وواجبات الزواج. والله أعلم. يؤكّد هذا التفسير حديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه». فشُكر الزوجة الدائم يتمثّل بسلوك حياتي معيّن طالما هي متزوّجة منه. كذلك تقبّل مسؤوليّة الزواج بكافة تقلّباتها وظروفها بنفسٍ راضيةٍ هانئةٍ بقدَرها من الله لا بصبرٍ متململ. تصديق ذلك في الحديث الشريف واضح. عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «كلّ ودود ولود إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتّى ترضى»

مكاره الزواج ونوابه

الصبر مهمّة صعبة جدّاً في الحياة والصبر ليس تحمّل المصيبة أو تقبّلها بمعنى القبول بها والرضوخ لعبئها بل الصبر أن يرضى المرء بوقوع المصيبة ويعتبر واقعها المفروض حالة من حالات الحياة الطبيعيّة التي يلزم التعايش معها وتطويع الإمكانيّات للعيش الهنيء في ظلّ الواقع المستجدّ. وهذا الصبر هو المهمّة الصعبة في الحياة. ولذلك أمر الله المؤمنين وحدهم من دون البشر بالتجمّل بفضيلة الصبر فقال سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصابرين﴾**. وقال سبحانه **﴿ولَنَبلوَنَّكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾**.

وفي حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتّى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة». رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. فالصبر على المصائب هو من ميزات المؤمنين الذين هم أهل الجنّة الأصيلين أي الذين يدخلون إلى الجنّة دون المرور بجهنّم أي بدون عقوبة مؤقّتة عليهم بل مباشرة برحمة من الله تعالى والله أعلم.

والصبر حتّى على المرض أجره الجنّة، عن أبي هريرة قال: «جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله لي، فقال: إن شئت دعوتُ الله فشفاكِ، وإن شئت صبرتِ ولا حسابَ عليكِ! قالت: بل أصبر ولا حساب عليّ». وعن عطّاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عبّاس: ألا أريك امرأة من أهل الجنّة؟ قلتُ: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إنّي أصرع، وإنّي أتكشّف، فادعُ الله لي، قال: إن شئت صبرتِ ولك الجنّة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، قالت: أصبر فادعُ الله لي أن لا أتكشّف فدعا لها».

ومن قراءة الآية أعلاه وحديث الرسول ﷺ وإمعان النظر في صبر الآية وفي صبر حديث المرأة التي بها لمم والمرأة التي بها صرع وتتكشّف يمكن الاستنتاج أنّ هناك نوعين من الصبر: الأوّل صبر على المصائب التي لا يمكن تفاديها، والثاني صبر على المصائب التي يمكن تفاديها. ومن رحمة ربّي على عباده أن جعل الأجر متساوياً في الحالتين بينما الشيء الذي يظنّه الإنسان العادي أن يكون الأجر متفاوتاً فيكون أكثر على المصيبة التي يمكن تفادي استمرارها كما كان في حال مصيبة مرض المرأتين في حالتي اللمم والصرع فهما ارتضتا استمرار تحمّل المرض وألمه بعد تخيير الرسول عليه الصلاة والسلام لهما بين الشفاء أو تحمّله بأجر ومغفرة من الله تعالى، وأن يكون أقلّ في المصائب المفروضة والتي لا قِبَل للمرء بمعالجتها من مثل اضطرار الجرّاح إلى قطع الساق، فهذا الأمر لا يخيّر فيه المرء مثلاً فتقبله العيش والتكيّف مع انعدام الساق أيضاً فيه أجر ومغفرة من الله على صبر المؤمن وهو من النوع الذي ورد معناه في الآية الكريمة أعلاه.

الصبر على المكاره طريق الجنّة

ومن المكاره في الدنيا عدم التوافق الزوجي، واعتبار منغّصات الزواج من المكاره لأنّ الزواج في طبيعته حالة من حالات الطمأنينة للإنسان ومسكن للمودّة والرحمة وللعيش بإحسان. وزاوية من زوايا السعادة الأربع. ومن الطبيعي أن توجد ظروف أو تنشأ حالات تجعل الزواج غير عابق بالسعادة وتشوبه الفظاظة بدل المودّة أو الغلاظة بدل الرحمة، فقد يسوء طبع الزوج أو تسوء طباع الزوجة فيتحوّل العيش الزوجي إلى تعاسة بعد هناء. وبهذا يتحوّل الزواج إلى مكروب قد تقارب حدّ المصيبة إذا تعدّت حدود المكاره كأن تصل إلى نشوز أو تطاول المرأة لسانها. في جميع حالات صبر الزوج على الزوجة أو صبر الزوجة على الزوج أجر كبير لمن يصبر على المكروه.

ففي صبر المرأة على أمور زواجها إطلاقاً، وتأدية حقّ الطاعة التي فرضها الله عليها، لزوجها بغضّ النظر عمّا إذا كانت ترى فيه مساوىء أو لاترى مساوىء، إمتلاك مفتاح من المفاتيح الأربعة لكافة أبواب الجنّة إذا جاز التعبير. عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنّة من أيّ أبواب الجنّة شئت». رواه أحمد والطبراني. ذلك أنّ الزواج وإنجاحه يتوقّف على المرأة أكثر منه على الرجل، لأنّه يتوقّف إلى حدّ بعيد على قبول المرأة بطاعة الرجل زوجها وخضوعها لقيادته للعائلة. فطاعة إنسان لإنسان أمر صعب جدّاً ولعلّ أصدق برهان على صعوبته هو عظيم الأجر الذي جعله الله تعالى ورسوله فيه ومساواته ﷺ وأداء فرض الصلاة، وصيام شهر رمضان ومقارنته بحفظ الفرج الذي لا يحلّ لأحد في الدنيا إلاّ لواحد على ميثاق من الله. جعل طاعة الزوج لزوجها بهذا المستوى من العبادة دلالة واضحة على أنّ الطاعة المفروضة أمر صعب جدّاً يحتاج إلى إيمان مطلق بالتسليم لأمر الله

وعزيمة لا تتزعزع بعمل دؤوب للقيام بفريضة الطاعة بالوجه الذي يقبله الله تعالى. هذا بالإضافة إلى مساواته أجر طاعة الزوج لزوجها بأجر الشهيد في سبيل الله ومساواته فعل الطاعة بفعل الجهاد. نقول بالوجه الذي يقبله الله تعالى حتّى يكون أداؤه كما أمر به الله، فالعمل عبادة لله أوّلاً وآخراً لا للزوج ولا يمكن للزوج المؤمن إلاّ أن يرضى في ما يرضى به الله.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً، إنّما هو التمر والماء، إلاّ أن نؤتى باللحيم». وفي رواية أخرى عنها قالت: «ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلاّ وإحداهما تمر». فهل لامرأة أن تصبر كما صبرت أمّ المؤمنين عائشة صلاة الله عليها وسلامه ورضوانه.

إنّ الصبر على الظروف ومنه المرض والأفعال جعله الله غسلاً للذنوب فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة». فالصبر مطلقاً على كلّ ما ترفضه النفس إن فرضته الظروف أو الأحداث فيه أجرٌ إن شاء الله. وحتى الصبر على المرض فإنّ فيه غسلاً للذنوب فعن جابر قال: دخل رسول الله ﷺ على أمّ السائب، فقال: «ما لك تزفزفين؟» فقالت: الحمّى لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبّي الحمّى، فإنّها تُذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد». أخرجه مسلم.

ولا يجوز التذمّر من كثرة الجهد والعمل في المنزل حتى مع قدرة الرجل على توفير خادم يساعد زوجه في أعمال المنزل فليس ذلك واجباً عليه بل متروك لاختياره وتقريره وحده. عن أبي ورد بن ثمامة قال: قال علي رضي الله عنه لابن أعبد: ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكنت من أحبّ أهله إليه؟ قلتُ: بلى قال: إنّها جرّت بالرُّحى حتى اثرت في يدها، واستقت بالقربى حتى أثّرت في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، فأتى النبي ﷺ الخدم، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً، فأتته فوجدت عنده أحداثاً،

فرجعت، فأتاها من الغد فقال: «ما كانت حاجتك؟» فسكتت. فقلت: أنا أحدّثك يا رسول الله، إنّها جرّت بالرّحى حتى أثّرت في يدها، وحملت بالقربى حتى أثّرت في نحرها، فلمّا أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك تستخدمك خادماً يقيها حرّ ما هي فيه، فقال: «إتّقي الله يا فاطمة، وأدّي فريضة ربّك، واعملي عمل أهلك، وإذا أخذت مضجعك: فسبّحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبّري أربعاً وثلاثين، فذلك مائة، هي خير لك من خادم». قالت: رضيت عن الله وعن رسوله، ولم يخدمها خادم.

والفقر ليس مبرّراً للتذمّر عند المؤمن والمؤمنة بل في معظم الأحيان يكون الصبر على الفقر طريقاً للجنّة وإذا أدرك المؤمن أنّ الرزق من الله يؤتيه من يشاء بقيت حياته في الدنيا نعيماً رغم فقره ونال الجنّة بصبره على مرارة عيشه. وإن لم يصبر تحوّلت حياته إلى جحيم وكان تذمّره طريقاً إلى جهنّم في الآخرة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إن سرّك اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، وإيّاك ومجالسة الأغنياء، ولا تستخلفي ثوباً حتى ترقعيه». أخرجه الترمذي. وزاد رزين فقال: قال عروة: فما كانت تستجدّ ثوباً حتى ترقع ثوبها ولقد جاءها يوماً من عند معاوية ثمانون ألفاً، فما أمسى وعندها درهم. فقالت جاريتها: فهلا اشتريت لنا منها بدرهم لحماً؟ فقالت رضي الله عنها: لو ذكّرتني لفعلت.

فآل بيت الرسول ﷺ سادة البشر في الدنيا والآخرة إن شاء الله، ونساؤه أفضل آل بيته وعلى رأسهم سيّدتنا وأمّ المؤمنين عائشة وابنته سيّدة نساء الجنّة فاطمة عليها وعليهم جميعاً صلاة الله وسلامه. فمَن للمرأة المسلمة أن تقتدي به خير من أمّ المؤمنين حتى قيام الساعة. إنّ أعظم أمنية للمرأة المسلمة وأسمى ما يلزمها الطموح إليه بعد الإيمان هو التشبّه والاقتداء بأمّهات المؤمنين وهذه منّة وفرصة لم يمنحها الله لأمّة غير نساء الأمّة الإسلاميّة.

تكفي قصّة السيّدة عائشة برقع ثوبها قبل أن تستحدث ثوباً آخر ليزرع الإيمان

في نفوس نسائنا. إنّ الثوب لا يقدّم ولا يؤخّر في قيمة الإنسان من ذكر أو أنثى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ويكفي بقصّة السيّدة عائشة وإنفاقها للثمانين ألفاً دون أن تبقي درهماً واحداً منها لشراء اللحم وبيتها خالٍ منه لزرع الإيمان في نفوسنا. إنّ الرزق من الله يؤتيه من يشاء وإنّ الصدقة طريق للجنّة وإنّ المؤمن والمؤمنة عندما يبذلان في سبيل الله يلزمهما البذل دون حساب خوف أن يدركهما الموت ولم يبذلا قدر ما مكّنهما الله من البذل. ويكفي في قصّة السيّدة عائشة في أنّها كانت تمضي الشهر لا يتوفّر لها أن تأكل غير التمر والماء لتزرع في نفوسنا الإيمان بأنّ العمر لا يمدّه بطرٌ ولا يُنقصه خواء معدة والقناعة بأنّ قلّة الأكل لا تورث مرضاً وكثرة الأكل ليست مانعاً للمرض وإنّ الأكل قدّره الله حاجة في الإنسان لتغذية حياته ووقوداً لحركته وإنّ القدر اليسير منه يفي بغرض الحياة.

ويكفي بقصّة سيّدتنا فاطمة باستغنائها عن الخدم بالتسبيح والحمد والتكبير برهاناً أنّ الله لا يرضى من عبده الكسل والخمول كائناً مَن كان وإنّ الله خلق الذكر والأنثى للعمل قدر طاقةٍ قدّرها الله في الإنسان، وإنّ على الإنسان وجوب تأدية حقّ هذه القدرة التي أعطاه الله إيّاها لا مَنعُها وكبتها. وإنّ العمل، مطلق عمل، يقوم به المرء مختاراً أو مكرهاً، استجابة لأمر الله بأن يؤدّي واجبه في الحياة هو عبادة، لأنّ عبادة المؤمن وسرّ هذه العبادة أو فلسفتها دائمة في كلّ عمل، وإدراك الإنسان صلته بالله تعالى وهو يؤدّي العمل أيضاً عبادة، أي قيامه بمطلق عمل بالنظام أو الطريقة التي بيّنها الشرع هو عبادة. وهذه هي فلسفة مزج المادّة بالروح في الإسلام وهو أمر تفرّد به الإسلام وحده منذ أن وُجد آدم ولم يعطَ لأمّة قطّ فخر وشرف ونعمة عبادة الله في كلّ أمر من أمور الحياة إلاّ للمسلم وحده.

الصبر مظهر يحتّمه الإيمان بالله ورسوله والوعي على مفاهيم الإسلام ورسالة المسلم التي تحتّم وضوح وتحديد المثل الأعلى في الحياة، وهو ابتغاء مرضاة الله

في كلّ عمل يقوم به المسلم وذلك بالتقيّد بالأوامر والنواهي التي تحدّد طريقة القيام بالعمل.

إن كان في التجارة أو الدراسة أو في المجابهة بالحرب أو انسحاب المداورة أو الإجارة أو المشاركة أو غيره. فواقع الحياة أنّها تحتّم على الإنسان القيام بأعبائها وهذا أيضاً يحتّم مواجهة مصاعب وعقبات ومعوقات ووقوع ما يكره الإنسان. فإذا توطّدت النفس على الاعتقاد أنّ أصل العمل في الحياة هو التقيّد بالحكم الشرعي وأنّ نتائج الأفعال مقدّرة من الله وأنّ قدرة الإنسان محدودة وضعيفة في درء المصائب والمكاره، والصبر عليها وعدم اليأس والقنوط عند وقوع مكروه، وتكييف النفس مع المصيبة، أو المكروه فيه أجرٌ كبير من الله تعالى، يستطيع بهذا الاعتقاد أن يطمئنّ إلى غده في الآخرة سواء وقعت مصيبة أو مكروه ألَمّ به أم لا. وبذلك تهون عنده المصائب ويحيا حياةً مستقرّة هنيئة دونما اعتبار إلى مروره بمصيبة أو مكروه أو معاناة وهذا الفهم هو عامل أساسي للسعادة في الحياة.

عن يعلى بن عتبة أنّ رجلاً كانت له امرأة في زمن الرسول ﷺ وكانت امرأة صالحةً وكانت إذا دخل عليها قالت: مرحباً بسيّدها وسيّد أهل بيتها وإن كان همّك لآخرتك فزادك الله همّاً وإن كان همّك الدنيا فإنّ الله عزّ وجلّ سيرزقك ويحسن إليك. فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بما تقول فقال له رسول ﷺ: «لها نصف أجر المجاهد في سبيل الله وهي عامل من عمّال الله».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتت النساءُ النبيَ وقلنَ: يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل من الجهاد في سبيل الله ما لنا من عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله قال: «مهنة إحداكنّ في بيتها تُدرك بها عمل المجاهدين في سبيل الله».

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة عورة، إذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من الله ما كانت في بيتها».

أخرجه الترمذي في كتاب الرضاع.

عن السائب مولى أمّ سلمه رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: «خير مساجد النساء عقر بيوتهنّ». أخرجه أحمد في مسنده ١٩٧/٦، ٣٠١. وابن خزيمه في صحيحه ٩٢/٣ والمنذري في الترغيب والترهيب ١٨٨/١.

عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه علي عليهم السلام عن النبي ﷺ أنّه قال: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنّة؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «الولود الودود التي إن أغضبته أو غضبت قالت: يدي في يدك لا أكتحل غمضاً حتّى ترضى عنّي».

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوّجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنتُ أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدقّ النوى لفاطمة وأغلفه وأستقي الماء وأفرز قربه وأعجن ولم أكن أحسن الخَبز فكانت تخبز لي جارات من الأنصار، وكنّ نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير — التي أقطعه رسول الله ﷺ — على رأسي وهي منّي على ثلثي فرسخ قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من أصحابه، فدعاني ثمّ قال: آخ، ليحملني خلفه قالت: فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته قالت: وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنّي قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفرٌ من أصحابه فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النوى كان أشدّ عليّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنّما أعتقني. أخرجه البخاري في كتاب النكاح: باب الغيرة. ورواه أحمد في مسنده ٣٤٧/٦. هذا كان صبر أسماء بنت أبي بكر صدّيق الوحي الإلهي في كلّ يوم وفي أيّ أمر، بنت أخلص المؤمنين بالرسول وأصفاهم قلباً. وتلك قصّة فاطمة بنت الرسول ﷺ وزوج أحبّ الناس إلى قلبه الأمين زوج

علي أكرم المؤمنين حسباً وسيّد الشجعان والشهداء وجار الرسول في الجنّة، ومن قبل قصّة عائشة زوج الرسول ﷺ سيّدة نساء الجنّة وأمّ المؤمنين. كلّ المؤمنات كنَّ يتفانينَ بخدمة أزواجهنَّ وبيوتهم والقيام بحقوق الحياة الزوجيّة وتربية الأولاد بنفسٍ راضية خاشعة مستسلمة لدورها الطبيعي في الحياة.

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ قالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ما من امرأة تسمع مقالتي إلى يوم القيامة إلاّ سرّها ذلك، الله ربّ الرجال والنساء، وآدم أبو الرجال والنساء، وحوّاء أمّ الرجال والنساء، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال فإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربّهم يرزقون وإن ماتوا وقع أجرهم على الله وإن رجعوا آجرهم الله ونحن النساء نقوم على المرضى ونداوي الجرحى فما لنا من الآخرة؟ قال رسول الله ﷺ: «يا وافدة النساء أبلغي من لقيتِ من النساء طاعة الزوج واعترافها بحقّه يعدل ذلك كلّه». الحديث بتمامه أخرجه الديلمي في مسنده رقم ٨٥٤٤.

وافدة النساء أي مبعوثتهنّ أو سفيرتهنّ عرضت على الرسول ﷺ ما يجول بخاطر النساء كجنسٍ دائم الوجود حتى قيام الساعة ولم تكن تحكي خاطرها فقط ولا خواطر المسلمات في مدينتها أو عصرها. وهي بهذا الطرح جعلتها قضيّة المرأة على الدوام كما قالت: إلى يوم القيامة. وجواب الرسول ﷺ كان ردّاً على هذا الطرح إلى يوم القيامة: «طاعة الزوج واعترافها بحقّه يعدل ذلك كلّه». الاستشهاد وإحياء الله للشهيد وإرزاقه قبل البعث أو الانتصار والرجوع معافىً إلى أهله أو جريحاً مأجورٌ يوم الحساب، أيّ حالة من تلك الحالات التي هي أرفع درجات الإيمان وأسمى مظاهر العبوديّة للخالق الجبّار والتي ينال مستحقّها أجزل الثواب في الحياة الآخرة ويحيا في أعلى مراتب الجنّة خالداً في أوفر النعيم الدائم، كلّ ذلك يعدله عند المرأة طاعة الزوج واعترافها العملي بحقّه عليها. ومع هذا الجزاء الوافر للعمل المتيسّر «قليل منكنّ مَن يفعل ذلك» ●

العائلة... قلعة

حصّنها الله ورسوله

كتاب

الزوجة مع زوجها

الفصل الثالث

- **الفحش... المرأة الفاحش**
- **النشوز... المرأة الناشز**

١ ـ الجهر بالسوء

- **الزوج والزوجة والإنفاق**
- **علاج نشوز الرجل**

الفحش... المرأة الفاحش

حرَّم الله تعالى نشوز المرأة وإتيان الفاحشة تحريماً قاطعاً وجعل عقاب ذلك جهنَّم وعذاباً شديداً في الآخرة. أمّا النشوز فهو المعصية من الزوجة لزوجها والتباعد والإعراض من الزوج عن زوجه. أمّا الفاحشة فحسب موضعها في الآية، ففي قوله تعالى: **﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنَّ أربعة منكم﴾**. معناها الزنى. وفي قوله تعالى: **﴿ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنَّ إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة وعاشروهنَّ بالمعروف فإن كرهتموهنَّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾**. معناها معصية الزوج وبذاءة اللسان والتطاول والوقاحة على الزوج. لأنّه لو كان معناها هنا الزنى وقد علمه الزوج وليس عنده شهود أربعة فله ملاعنتها لإقامة الحدّ عليها وإذا أصرّت على إنكارها فلا سبيل لإقامة الحدّ عليها ويكون للرجل طلاقها، وليس له أن يمسكها ليضارها حتى تفتدي منه بمالها وقد وجدها تزني وتيقّن منه دون وجود الشهود. فالشهود لإثبات الزنى من أجل إقامة الحدّ وليس لإثبات الزنى فقط. فإن ثبت للزوج الزنى دون شهود فليس له إمساكها حتى تختلع وتفتدي نفسها منه وهذا بإجماع العلماء. ثم إنّ الآية: **﴿ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنَّ إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة وعاشروهنَّ بالمعروف﴾**. تعني لا تمسكوهنَّ حتى

تسترجعوا بعض الأموال التي أعطيتموهنّ أي أنّ ذلك غير مباح ولا يجوز لكم أن تمسكوهنّ ضراراً أي لإلحاق الأذى بهنّ إلاّ في حالة واحدة هي أن يأتين بفاحشة مبيّنة والفاحشة المبيّنة هي المعصية الظاهرة. في هذه الحالة لا يكون العَضل ظلماً بسبب إتيانهنّ الفاحشة المبيِّنة. على أنّ علماء الأمّة ابن مسعود وابن عبّاس والضحاك وقتادة قالوا: الفاحشة المبيِّنة في هذه الآية البغض والنشوز، قالوا: فإذا نشزت حلّ له أن يأخذ مالها؛ وهذا هو مذهب مالك. وقال أبو عمر: إنّ الفاحشة قد تكون البذاءة والأذى ومنه قيل للبذيء: فاحش ومتفحّش والبذيء والبذاء هو التطاول باللسان. فالمتفحّشة أو المرأة الفاحش هي التي تتطاول باللسان وتنطق بقبيح الكلام وسيء اللفظ.

عن عمر بن الأخوص الجشمي: «أنّه سمع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع يقول: بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكّر ووعظ. ثم قال: ألا واستوصوا بالنساء خيراً. فإنّما هنّ عوان عندكم، ليس تملكون منهنّ شيئاً غير ذلك، إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيّنة، فإن فعلن فاهجروهنّ في المضاجع، واضربوهنّ ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً، ألا إنّ لكم على نسائكم حقّاً، ولنسائكم عليكم حقّاً، فحقّكم عليهنّ: أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون. ألا وحقّهنّ عليكم: أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وطعامهنّ». رواه ابن ماجه والترمذي.
عوان عندكم: بمعنى أسيرات في عهدتكم، بمعنى هنّ مستسلمات لكم لا يستطعن أن يقدِّمنَ أكثر من استسلام الأسيرات. فهنّ عاجزات لذلك عاملوهنّ بالخير. وهم على تلك الحال من وجوب الاستيصاء بهنّ بالخير ما دمن لا يأتين بالفاحشة المبيّنة التي هي المعصية وبذاءة اللسان، التطاول بالكلام واستعمال بذيئه. فمن تأتي بالفاحشة أي تتطاول باللسان أو معصية الزوج يكون استيصاؤها بالخير أن تردع بالموعظة فإن فاءت إلى رشدها كان خيراً وإلاّ هجرها زوجها في الفراش. فإن هداها الله كان خيراً وإلاّ فلزوجها أن يضربها ليؤدِّبها ويقوّم سلوكها ويفرض عليها الامتثال لحكم الله. فالضرب هو العلاج

الأخير الواجب لردعها عن النشوز والمعصية والتطاول. فإن ذكرت الله وخافت عذابه ورجعت عن معصيته فلا تطغوا في العقاب وتتمادوا في أيّ شكل من أشكاله مثل دوام الهجرة والوصول بالعقاب إلى أكثر ممّا يردع. والضرب لا يكون على الوجه ولا يكون مبرحاً.

والترتيب الذي جاء بالحديث هو نفس الترتيب الذي جاء بالآية الكريمة: **﴿واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً إنّ الله كان عليّاً كبيراً﴾**. النساء ٣٤. فالنشوز: هو العصيان وقد تكون دلالته بالقول أو بالفعل؛ فإن رفعت صوتها عليه، أو لم تجبه إذا دعاها، ولم تبادر إلى أمره إذا أمرها، أو لا تخضع له إذا خاطبها، أو لا تقوم له إذا دخل عليها غير آبهة به واستعملت قبيح الكلام وتمادت في وقاحتها. وقد جعل الله علاج نشوزها مرتّباً الأخفّ فالأشدّ ولا يجوز سبق الشديد على الخفيف والقصد من الكلّ ردع النفس المؤمنة، وليس تحطيمها ويتوقّف العقاب بتوقّف السبب. ومن يبتغ من الرجال وراء ذلك فليذكر قدرة الله عليه: **﴿إنّ الله كان عليّاً كبيراً﴾**. أي إنّ الله أقدر عليه منه عليهنّ فليقف حيث يلزم التوقّف إذا عدنَ إلى الطاعة.

وجاءت الفاحشة بهذا المعنى أي البذاءة في اللسان والاستطالة بها على مَن هو ساكن معها في ذلك البيت مرّة أخرى في الآية الكريمة: **﴿يا أيها النبي إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ وأحصوا العدّة واتقوا الله ربّكم لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ ولا يخرجن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة وتلك حدود الله ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسهُ لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾**. الطلاق ١.

قال ابن عبّاس في تفسير **﴿إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة﴾** في هذه الآية: فإذا بذأت عليهم بلسانها فقد حلّ لهم إخراجها لسوء خلقها. ومع أنّ حكم الله في المطلَّقة أن تحصي عدّتها ملازمة لبيتها لا تخرج منه ولا تُخرج منه حتى انقضاء

عدّة الطلاق أمر واجب إلاّ أنّها إذا كانت سيّئة الخلق بمعنى أنّها تتطاول بلسانها على مَن يساكنها في البيت حتى على غير زوجها مطلّقها فإنّها تُخرَج ولا تُساكَنُ.

بذاءة اللسان والوقاحة والتطاول وعلو الصوت عيب كبير في أيّ شخص رجلاً كان أو امرأة بمقاييس كلّ المجتمعات وأجناس الناس. وهو عيب أكبر ونقيصة مهينة إذا وجدت في المرأة في أيّ مجتمع إسلامي أو غير إسلامي. ولكنّه في الإسلام جريمة سمّيت بنفس اسم جريمة الزنى وإن كانت تختلف عن الزنى بفعلها. ولعلّه السبب الوحيد الذي يطلّق فيه الرجل زوجته طلاقاً غير مكروه فيه للرجل أن يطلّق. فالطلاق إطلاقاً على عمومه قال فيه عليه الصلاة والسلام: «ما أحلَّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق». أخرجه أبو داود موصولاً عن عبد الله بن عمر ومرسلاً ورواه محارب بن دثار من ثقات التابعين. وعن علي كرّم الله وجهه عن النبي ﷺ قال: «تزوّجوا ولا تطلّقوا، فإنّ الطلاق يهتز منه العرش». فالطلاق شرٌّ كبير وهو الانتصار الأكبر للشيطان ولذلك شرَّع الله أحكاماً لحماية الزواج لا يمكن معها تدميره أو للطلاق أن يقع إلاّ أن يكون أحد الفريقين قد نشز أو أنّ المرأة أتت بالفاحشة المبيِّنة. وهذه الأمور نبّه الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام المؤمن أن يكون دائم الحذر من مكائد الشيطان ومحاولاته التي لا تنتهي للإيقاع بكلّ رجل وامرأة في الحياة وفي كافة جوانبها.

نقول — والله أعلم — : إنّ نشوز المرأة أو إتيانها الفاحشة المبيِّنة وإصرارها على فعل هذا الحرام رغم الوعظ والهجر والضرب قد يكون السبب الوحيد الذي يكون فيه الطلاق من الرجل غير مكروه فيه أن يطلّق هو بسبب الاستثناء الصريح في الآية والحديث. في الآية **﴿إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة﴾** وفي الحديث «فإن أطعنكم فلا تبغوا» مفاده إن لم يطعنكم فابغوا عليهنَّ سبيلاً وهي هنا تعني لا تمعنوا بالعقاب والوصول إلى آخر العقاب الذي هو الطلاق إلاّ إذا لم يطعنكم وعندها لا يكون ذلك بغياً لجوازه شرعاً والشرع لا يمكن أن يجيز البغي. والآية: **﴿لا تخرجوهنَّ من بيوتهنَّ ولا يخرجن إلاّ أن يأتين بفاحشة**

مبيِّنة﴾ استثنى الإخراج من بيت قضاء العدّة وهو أمر ممنوع شرعاً ولكن أذن الله تعالى به في حالة مستثناة هي حالة الإتيان بالفاحشة المبيِّنة. وهذا تكرار للحكم الشرعي الذي يُسقط حقوق المرأة الناشز والمرأة الفاحش أو المتفحِّشة. حتى حقّ النفقة، ووجوب وفرضيّة إنفاق الزوج على الزوجة تسقط إذا نشزت أو فحّشت، وكذلك يحرمها النشوز والتفحُّش حقوق الكرامة، فتسقط جميع أحكام إجراءات صون كرامتها من قبل الزوج في فترة ما قبل وأثناء وما بعد عمليّة التطليق بسبب المعصية لزوجها والتطاول عليه باللسان وعلوّ صوتها على صوته والبذيء بالكلام وظهور الوقاحة في قولها وفعلها.

إنّ حكم الإسلام في التحادث والتخاطب بين البشر عامة مسلمين وغير مسلمين له قواعد تحتّم مستوىً راقياً جدّاً من الخلق الكريم والتراحم والتودّد في الألفاظ والتعابير المتداولة. والحدّ الأدنى لرقي المستوى في تعامل المسلم مع غيره من البشر واجب مفروض والترقّي عنه ورفع درجة التراحم والتودّد في الألفاظ والعبارات خلق يزيده الشرع تكريماً بجزيل الثناء والأجر الذي يسبغه الله تعالى على عباده ذوي الخلق الكريم. وفي هذا الموضوع بحث تفصيلي واسع يمكن الرجوع إليه لكلّ مسلم بأيسر الوسائل. ولكنّه من بديهيّات القول أنّ الله سبحانه وتعالى والرسول ﷺ أمر وحثَّ على مكارم الأخلاق في القول والفعل وجعله أساساً في شخصيّة المسلم. إلاّ أنّ الحكم الشرعي اعتنى عنايةً خاصة بالعلاقة بين الرجل والمرأة بالرغم من كلّ تشريعاته في هذا الأمر للعامة من تجّار وعمّال ورفاق وأقارب وجيران وغيره. فقد حرص الشارع على أن ينفرد بتفصيل تنظيم للعائلة وعلاقة الرجل بزوجه، وذلك بتشريع خاص يشدّد ويمعن في الحرص على توفير مستوى خلقي أعلى بين الزوج والزوجة والأولاد زيادة في تحصين العائلة من احتمالات التفكّك والاختلاف والانحلال.

في الآية الكريمة: **﴿ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنَّ إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة وعاشروهنَّ بالمعروف فإن كرهتموهنَّ فعسى أن**

تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾. قاعدة عريضة فيها الحدّ الأقصى والحدّ الأدنى والواجب والمندوب والمكروه من قواعد الخلق والسلوك التي ينبغي للرجل والزوج الحرص عليها وعدم تجاوزها والوقوع في الحرام. فأيّ شطط عن حدود الله وقوع في فخ الشيطان التي ينصبها لكلّ إنسان ويتربّصه بهاطوال فترة حياته ينتظره أن يقع في شباكه إذا ما خرج عن حدود الله التي أمر الله ورسوله المسلمين بالبقاء داخلها وعدم تجاوزها.

في هذه الآية تحريم على المرأة التطاول في الكلام وهذا يكون بارتفاع صوتها على صوت زوجها أو استعمال سيّء اللفظ معه. فكلاهما تطاول ووقاحة وفحش وتفحّش والعياذ بالله. وهذا يوجب العقاب الشديد للمرأة في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ففي الدنيا يعذر الله الرجل في تطليق الوقحة ويعذر في إمساكها ضراراً حتى تفتدي نفسها منه. فالشرع أجاز معاقبتها بحرمانها من حقّها المالي في مهرها المتأخّر ونفقتها الواجبة. ولا شكّ أنّ هذا العقاب لها وهذه الرخصة للرجل قصدها الشارع أن تكون زاجراً قويّاً وحائلاً أخيراً يردع المرأة عن الاستمرار في فحشها وتفحّشها ووقف وقاحتها وبذاءة لسانها. فقد أمر الله الرجل بكلّ وضوح وصراحة بوجوب معاملة الزوجة بالرحمة والمعروف وجعل مخالفة ذلك جريمة تستوجب تهديده بتذكيره الدائم بقدرة الله عليه وكم قدرة الله أكبر من قدرته على زوجه. فقال تعالى: **﴿وعاشروهنّ بالمعروف﴾** حتى لو خرج حبّهنّ من صدوركم مفروض عليكم أن تحسنوا إليهنّ وتكرموهنّ وتعاشروهنّ بالمعروف. فالكره ليس سبباً في سوء المعاملة إطلاقاً ولذلك يقول تعالى: **﴿فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾**. ويقول الرسول ﷺ: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنّما هنّ عوان عندكم». فالمرأة جعلها الشرع أمانة عند الرجل لا يجوز له التفريط بحقّها إلاّ في حالة واحدة وهي إذا نشزت أي عصت زوجها أو تفحّشت أي تطاولت باللسان بنبرة الصوت أو بذيء اللفظ.

وفي المندوب أن يصبر الرجل على نشوز امرأته طالما يستطيع ذلك ويعتبرها من المصائب والبلاء الذي يصيب الله عباده به ليمتحنهم في الشدائد. والصبر على البلاء في الدنيا جعله الله غسيلاً للذنوب فقال تعالى: **﴿وبشّر الصابرين،الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾**. وقال عليه الصلاة والسلام: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. فصبر الزوج على زوجه في حال نشوزها وتفحّشها ليس فرضاً ولكن فيه مغفرة وأجر كبير من الله تعالى إن شاء الله. كذلك صبر المرأة على ما تكره من زوجها ومحاولة معالجة إعراضه عنها وابتعاده وكره مجالستها فرض الله عليها استرضاءه فإن نجحت أرضاها الله في الدنيا ورضي عنها في الآخرة وإن لم تنجح لعيب في الرجل لا لتقصير منها رضي الله عنها كذلك وأجزل لها في ثواب الآخرة.

وللتدليل على أنّ فحش المرأة المتزوّجة وتفحّشها بنطق اللفظ السيّء بنبرة الساخط وعلوّ الصوت فوق مدى أذني الزوج، والفحش والتفحّش والفجور بمعنى واحد، أنّه جريمة الجرائم وأمّ المعاصي للمرأة وليس بعد هذا من ذنب إلاّ الكفر الصريح وأنّ تحريمه في الإسلام هو من تحريم الكبائر، الحديث الشريف: عن كثير بن مره عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فجور المرأة الفاجرة كفجور ألف فاجر وإنّ برّ المرأة المؤمنة كعمل سبعين صديقاً»●

* حديث شريف *

عن جابر، عن النبي ﷺ، قال:

«إنّ إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا حتى فرّقتُ بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت فيلتزمه». ■

رواه مسلم

النشوز... المرأة الناشز

قال الله تعالى في سورة النساء الآية ٣٤: **﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً إنّ الله كان عليّاً كبيراً﴾.**

في هذه الآية بيان حكم الله أنّ الرجل يحكم المرأة ويرعاها. وقوّام مفرد قوّامون على وزن فعّال للمبالغة ومعناه القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بكل جهده. فقيام الرجال على النساء هو على هذا الوجه، حقٌّ وواجب مفروض من الله على الرجل أن يقوم به وعلى المرأة قبوله. وهو أن يقوم الرجل بتدبير أمورها وكفايتها وحمايتها وتأديبها وإمساكها في بيتها ومنعها من الخروج، وأنّ عليها طاعته وقبول أمره في غير معصية الله. وعلّة تفضيل الرجال على النساء في أحكام الإرث بيّنه الله لما على الرجل من حقّ المهر والنفقة على المرأة. أمّا علّة الرعاية وقيام الرجل على المرأة فهو ما تميّزت به طبيعة الرجل ممّا هيّأه لأعمال لا تستطيع المرأة القيام بها من مثل التبصّر بالأمور وسعة الإدراك والشعور الطبيعي بالمسؤوليّة العامّة تجاه عائلته ومجتمعه، وشدّة بأسه وقوّة احتماله وقيامه بالقتال للذود عن معتقداته ودينه وبلاده وعرضه، ومباشرته

الرعاية العامة للناس وهو العمل السياسي وتحمّله مشقّة العمل لكسب قوت عياله من زوجةٍ وأطفال. وكثير غير هذه الأعمال ممّا يحتاجه أمر تدبير أمور الحياة وتذليل مشاقها. وقيل لأنّه غلب على طبع الرجل الحرارة واليبوسة فتكون فيه شدّة وبأس، بينما طبع النساء غلبت عليه الرطوبة والبرودة فيكون فيه معنى اللين والضعف بينما الرعاية والتربية والتوجيه والنهوض بأعباء الحياة إنّما يحتاج إلى شدَّةٍ وبأس ولا تنهض الأمم بلين وضعف. وأيضاً بما كان عليهم من واجب الإنفاق الدائم على الزوجة بقول الله تعالى: **﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾** للمهر ونفقة العيش.

جاء في القرطبي في تفسير الآية: **﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾**. مقصوده الأمرُ بطاعة الزوج والقيام بحقّه في ماله وفي نفسها في حال غيبة الزوج. قانتات قائمات بما يجب عليهنّ من حقوق أزواجهنّ بالطاعة لهم، حافظات للغيب بما استحفظهنّ الله إيّاه من أداء الأمانات إلى أزواجهنّ أو بحفظهِنّ الله أي بحفظهِنّ أمر الزوج ودينه في غيابه. وفي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرّتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» قال: وتلا هذه الآية: **﴿الرجال قوّامون على النساء﴾** إلى آخر الآية. وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرّته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته». أخرجه أبو داود.

﴿واللاتي تخافون نشوزهنّ﴾ تخافون هنا بمعنى تعلمون وتتيقّنون، كذا قاله ابن عبّاس. فتخافون ليست بمعنى تشكّون في أنّها ستنشز بل التي قامت بفعل النشاز أو التي تتيقّنون أنّها صمّمت على النشوز أي المعصية. النشوز هو العصيان والتعالي عمّا أوجب الله عليهنّ من طاعة الأزواج. وقال ابن دريد: نشزت المرأة ونشست ونشصت بمعنىً واحد وقال أبو منصور اللغوي: ومعنى نشصت السيّئة للعشرة. حيث أنّ النشوز أي معصية المرأة للرجل إذا استفحل

يؤدّي حتماً إلى هدم السعادة الزوجيّة ويؤدّي إلى البغض والكراهية بين الأزواج وتحويل الزواج إلى مأساة لا يكون معها حلٌّ أو علاج إلاّ بالطلاق، لهذا أنعم الله على العباد بعدّة حلول لمعالجة النشوز من المرأة أوّلها أن توعظ فقال: **﴿فعظوهنّ﴾** أي بكتاب الله وحكم الله وذكِّروهنّ بما أوجبه الله عليهنّ من حسن الصحبة وجميل العشرة للزوج، والاعتراف بالدرجة التي له عليها. وبقول رسول الله ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». وقال: «أيما امرأة باتت هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تُصبح». وفي رواية «حتى تراجع وتضع يدها في يده». فدون اعتبار لسبب هجرها لفراش زوجها، إذا لم يكن في حرام حرّمه الله، لا يجوز إطلاقاً أن يستمرّ تفاعل انفعال الزوجة إلى طلوع الصبح، فالفرض والواجب عليها حتى تُعذر يوم القيامة على ابتعادها عن فراش زوجها طوال ليلةٍ أن تبذل جهدها في مصالحته. فإمّا أن يرضى فتُؤجر أو لا يرضى فتُعذر ويسقط إثمها وتؤجر بنعمةٍ من الله.

روى الطبراني في حديث جاء بآخره قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إنّي رسول النساء إليك، وما منهنّ امرأة علمت أو لم تعلم، إلاّ وهي تهوى مخرجي إليك. الله ربّ الرجال والنساء وإلههنّ، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أُجروا، وإن استشهدوا كانوا أحياءً عند ربّهم يرزقون، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ قال ﷺ: «طاعة أزواجهنّ، والمعرفة بحقوقهم وقليل منكنّ مَن يفعله».

وعن أَنَس بن مالك، في قصّة سجدة الإبل له ﷺ، يرفعه: قال ﷺ: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقّه عليها، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد، ثم استقبلته فلحسته ما أدّت حقّه». معنى تنبجس تتفجّر وتنبع.

عن أبي هريرة، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، قالت: «**أنا فلانة بنت فلان**، قال: قد عرفتك، فما حاجتك؟ قالت: حاجتي إلى ابن عمّي **فلان العابد**،

قال: قد عرفته. قالت: يخطبني، فأخبرني ما حقّ الزوج على الزوجة؟ فإن كان شيئاً أطيقه تزوّجته، قال: من حقّه، أن لو سال دماً وقيحاً فلحسته بلسانها ماأدّت حقّه، لو كان ينبغي لبشرٍ أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها، لما فضّله الله عليها. قالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوّج ما بقيت الدنيا». هذه المرأة قد يكون من شدّة تقواها خافت أن تتزوّج فلا تؤدّي حقّ زوجها كاملاً فتدخل بتقصيرها جهنّم، أو أنّها استعظمت الأمر فخشيت الوقوع في الحرام وهو معصية الرجل فأبت الزواج.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لأبي سعيد الخدري عندما جاء بابنته إلى النبي ﷺ تستوضحه بنفس المسألة وأجابها بما يشبه هذا الحديث وردّت بمثل ما ردّت به المرأة في الحديث السابق «لا تنكحوهنّ إلاّ بإذنهنّ».

وعن ابن أبي أوفى، قال: لمّا قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ ما هذا؟ قال: يا رسول الله، قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، فأردت أن أفعل ذلك بك، قال: «فلا تفعل، فإنّي لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفسي بيده، لا تؤدّي المرأة حقّ ربّها حتى تؤدّي حقّ زوجها». رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له.

وروى الحاكم المرفوع منه، من حديث معاذ، ولفظه: قال: «لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقّه عليها، ولا تجد امرأةٌ حلاوة الإيمان حتى تؤدّي حقّ زوجها، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب لم تمنعه نفسها». قتب للبعير. وعن عائشة رضي الله عنها: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها: ولو أنّ رجلاً أمر امرأته أن تنتقل من جبلٍ أحمر إلى جبلٍ أسود، أو من جبلٍ أسود إلى جبلٍ أحمر لكان لها أن تفعل».

وعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة؟» قلنا: بلى

يا رسول الله، قال: «كلّ ودود ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتى ترضى». رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح.

وعن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ، قال: «لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحداً، ولا تعزل فراشه، ولا تضرّ به، فإذا كان هو أظلم، فلتأته حتى ترضيه، فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها، وأفلجت حجّتها، ولا إثم عليها. وإن هو لم يرضَ فقد أبلغت عند الله عذرها». رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد. أفلج أظهر حجّتها وقواها.

وعن ابن عبّاس: «أنّ امرأة من خثعم، أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أخبرني ما حقّ الزوج على الزوجة؟ فإنّي امرأةٌ أيّم، فإن استطعت وإلاّ جلست أيّماً، قال: «فإنّ حقّ الزوج على زوجته: إن سألها نفسها وهي على ظهر قتبٍ أن لا تمنعه نفسها. ومن حقّ الزوج على الزوجة أن لا تصوم تطوّعاً إلاّ بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها، ولا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع»، قالت: لا جرم لا أتزوّج أبداً. رواه الطبراني.

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إثنان لا تجاوز صلاتهم رؤوسهما.. الحديث.. وفيه: وامرأة عصت زوجها حتى ترجع». رواه الطبراني بإسناد جيّد والحاكم.

وعنه أيضاً قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره، لعنها كلّ ملك في السماء، وكلّ شيء مرّت عليه غير الإنس والجنّ حتى ترجع» رواه الطبراني في الأوسط.

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، ولا

تصعد لهم إلى السماء حسنة.. الحديث.. وفيه: والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى». رواه الطبراني في الأوسط.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. وفي رواية للبخاري ومسلم: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلاّ كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها». عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ، قال: «لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه».

جميع هذه الأحاديث لا تحتاج إلى توضيح أو مشقّة في فهم ما بيّنه الرسول ﷺ عن الله سبحانه وتعالى من حقوق الزوج على الزوجة وما يعتبر التقصير بها نشوزاً ومعصية من المعاصي الكبيرة في الشرع. فالزوج وحقوقه أعظم حقّ على المرأة من أيّ إنسان. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ، أيّ الناس أعظم حقّاً على المرأة؟ قال: زوجها، قلتُ: فأيّ الناس أعظم حقّاً على الرجل؟ قال: أمّه». رواه البزار والحاكم وإسناد البزار حسن.

حتى الخروج إلى المسجد لا تفعله المرأة المؤمنة دون إذن زوجها كما صيام النافلة لا تصومه المرأة المؤمنة دون إذن زوجها. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذنت أحدَكم امرأتُه إلى المسجد فلا يمنعها» أخرجه الثلاثة وأبو داود، ومفهوم الحديث أنّه يلزمها إذن زوجها للخروج إلى المسجد.

الجهر بالسوء

يطيب للنفس المتألّمة الدعاء بالشرّ على مَن يُظنّ أو يُعلم أنّه سبب الألم. وفي معظم حالات الطلاق أو خلاف الزوج والزوجة يميل كلّ من الزوجين إلى تقوية موقفه وتثبيت حجّته بالدعاء على نفسه إن كان يقول شططاً ويسبُّ ويشتم المفتري. وقد يُمعن في تماديه فيجهر بذكر مساوىء زوجه ويزيد بالتعريض فيضيف أشياء غير حقيقيّة ويكون في اتهامه كذب عن قصد أو غير مقصود ممّا استوجبه سياق بذل الاتهامات لتقوية موقفه. فيقع في ارتكاب الحرام الذي لم يكن يرغب فيه ولا يقصده ويستحقّ الإثم والعقاب عليه في الآخرة.

تحوّطاً ومنعاً لوقوع المسلم في حرام زلل اللسان ومن أجل حصر المشكل في أضيق حدوده أي في حدوده الأساسيّة، شرّع الله سبحانه وتعالى ضبط اللسان والنفس ومنعها عن الدعاء بالشرّ لأيّ سببٍ حتى على السارق يسرق أشياءك. وإن فعل المسروق مالَه فإنّ دعاءه يكون تخفيفاً على السارق عن عقوبة السرقة في الآخرة لأنّ الدعاء عقوبة في الدنيا لأنّه محتمل الإجابة من الله تعالى. فإذا وقعت الإجابة أم لم تقع من الله تعالى في الحياة الدنيا يخفّف عن عذاب المدعو عليه في الآخرة.

قال الله تعالى: **﴿لا يحبُّ الله الجهرَ بالسوء من القول إلاّ مَن ظُلم وكان الله سميعاً عليماً، إن تُبدوا خيراً أو تُخفوه أو تعفوا عن سوءٍ فإنّ الله كان عفوّاً قديراً﴾** [١٤٨ / ١٤٩ النساء]. وقد جاء في القرطبي في تفسيرها عن الحسن رضي الله عنه قال: هو الرجل يظلم الرجل فلا يدعو عليه، ولكن ليقل: اللهمّ أعنّي عليه، أللهمّ استخرج حقّي، اللهمّ حلْ بيني وبين ما يريد من ظلمي، فهذا دعاء في المدافعة وهو أقلّ منازل السوء. انتهى. عليه يكون للمظلوم أن ينتصر من ظالمه ولكن مع اقتصاد، إن كان مؤمناً ولا يقابل القذف، سيّء الكلام، بمثله.

وقد روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قال: سُرِقَ لها شيء فجعلت تدعو عليه، أي على السارق فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبّخي عنه». أي لا تخفّفي عنه العقوبة بدعائك عليه. وقال عليه الصلاة والسلام: «خذوا على أيدي سفهائكم». والسفيه هو سيّء القول أو من يجهر بسوء القول وهو من يجب على المؤمنين منعه بالنصح.

يقول تعالى: **﴿إن تُبدوا خيراً أو تُخفوه أو تعفوا عن سوء﴾** حبّب إلى العفو ورغّب. والعفو من صفة الله تعالى مع القدرة على الانتقام. روى ابن المبارك قال: حدّثني مَن سمع الحسن يقول: إذا جثت الأمم بين يدي ربّ العالمين يوم القيامة نودي ليقم مَن أجرُه على الله فلا يقوم إلاّ من عفا في الدنيا. يصدّق هذا الفهم قوله تعالى: **﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾**. انتهى. فالمعاشرة تظهر جيّد الطباع وسيّئها وهذه المعاشرة الزوجيّة تستوجب التصرّف بكلّ عفويّة، واطّلاع المعاشر على أسرار ودقائق نفس الآخر أمر طبيعي بحكم المساكنة والمخالطة والممازجة ممّا يجعل جميع ما يعلم العشير من عشيره سرّاً لا يجوز الجهر به لأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «المجالس بالأمانات» فهذه المعلومات أمانة عند العشير. المعنى أنّ الله لا يحبّ الجهر بالسوء أي القول السيّء، لأنّ التمادي على الخلاف والشحناء والمباغضة هي قواعد الشرّ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام في البغضاء «إنّها الحالقة» يعني حالقة الدين لا حالقة الشعر. وفي هذا تنبيه إلى ما يمكن أن تؤدّي البغضاء إليه من ارتكاب عمل محرّم فيخرج فاعله عن حظيرة الدين ويكون في ذلك هلاكه في الآخرة.

وسوء الخلق شرٌّ مستطير لأنّه بداية طريق جهنّم القصير لما يتوالى عنه من قول وفعل يوصل إلى التفحُّش وبهذا يقول الرسول ﷺ: «سوء الخلق شؤم». لأنّه مجلبة للشرّ والفقر والتعاسة وبه تعمّ الشحناء بين الناس وتنتشر العداوة.

وفي القرآن أنّ الشيطان يوقع بين الناس بتوتير العلاقة لإيجاد البغضاء والشحناء بينهم. وكلّما قويت علاقة اثنين والتحمت أمور حياتهما كما في حال حياة

الأزواج والشركاء والجيران والأهل ازداد جهد الشيطان لتفكيك هذه الأواصر وإحلال العداوة محلّها. فنشرالعداوة والبغضاء بين الناس هو تمهيد لسيطرة الشيطان وهو بمثابة إخصاب الأرض بالماء والسماد للزرع. وأهون السبل لبدء التباعد والمشاحنة هو سيّء الكلام. ولهذا أوصى الله سبحانه وتعالى عباده بحسن اللفظ وأمرهم به مبيّناً أنّ الشيطان يأمرهم بالعكس. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء ٥٣: **﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم إنّ الشيطان كان للإنسان عدوّاً مبيناً﴾**. فالقول الحسن هو عكس سيّء القول. ووصف سيّء القول بأنّه شؤم في الحديث الشريف وقول القرآن بأنّ الشيطان يحاول الإيقاع بين الناس وإيجاد التباغض والشحناء بينهم بتحويلهم من القول الحسن إلى سيّئه يجعل سوء القول حراماً. وكون التباغض والعداوة فعلاً محرّماً وكلّ وسيلة تؤدّي إليه محرّمة وسوء اللفظ والقول أوسع الأبواب لدخول البغضاء والعداوة يكون أيضاً سوء الخلق وسيّء اللفظ فعلاً محرَّماً.

ولإحكام إغلاق هذا الباب بوجه الشيطان يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: **﴿إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم﴾**.[٣٤ فصِّلت].

عن أبي ثعلبة الخُشَني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي في الآخرة محاسنكم أخلاقاً. وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم عنّي في الآخرة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدّقون». رواه أحمد ورواته رواة الصحيح والطبراني وابن حبان في صحيحه.

وعن علي عليه السلام قال: النساء أربع: القرئع والوعوع وغلّ لا ينزع وجامعة تجمع. القرئع: السمحة. الوعوع: الصخّابة. غلّ لا ينزع: المرأة السوء للرجل منها أولاد لا يدري كيف يتخلّص. الجامعة: التي تجمع الشمل وتلمّ الشعث.

* حديث شريف *

عن ابن عمرو بن العاص قال: لمّا فتح النبي ﷺ مكة قام خطيباً، فقال:
«لا يجوز لامرأة أمرٌ في مالها إذا ملك زوجها عصمتها». ■

أخرجه أبو داود والنسائي

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:
«إن الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» ■

الزوج والزوجة والإنفاق

الزواج لا يقوم إلاّ برعاية الرجل لزوجه، والزواج لا يستمر إلاّ بالمعاشرة بالمعروف وطاعة الزوجة لزوجها. والمعاشرة بالمعروف من الرجل تكون بتقبّل النقائص التي قد يعلمها في زوجه ويغضُّ النظر عنها إذا لم يصل الأمر بالزوجة إلى المعصية والتطاول، أي إلى النشوز والفاحشة المبيّنة. وما دون ذلك فإن المعاشرة بالمعروف التي أمره الله بها تكون بإحسان الرفقة والتعامل مع زوجه التي وصفها الرسول بما يفيد أنها في عهدته أسيرة أي لا حول لها ولا قوة. ومن شروط هذه الرعاية والمعاشرة بالمعروف هو إطعامها وكساؤها وإسكانها ووطؤها. وليس له أن يمتنع عن أي شيء من أمور المعاشرة بالمعروف التي أمره الله بها إلا أن تنشز زوجه أو تأتي بالفاحشة المبيّنة وهو التطاول باللسان أو ما هو أكثر منه من فعال وقحة. فله في حال نشوزها أي معصيته بأمر كأن خرجت من بيتها دون إذنه أو استقبلت في بيتها من أوصاها بعدم استقباله حتى ولو من النساء والمحارم أو تصدّقت بغير إذنه من ماله وما شاكل من الأمور التي تجب فيها طاعة الزوج، أو في حال تفحّشها: أن يمتنع عن وطئها بعد أن يعظها لترجع عن معصيتها له أو حتى تخضع له بلين القول. ويستمر في حالات استمرار نشوزها ووقاحتها بإطعامها وكسائها وإسكانها أي بالنفقة عليها حتى يطلّقها وتفي عدتها وبعد أن تنقضي عدتها يخرجها من مسكنه ويتوقف

وجوب النفقة منه عليها.

فالنفقة في الإسلام على الرجل وحده وهي جزء من مفهوم الآية الكريمة: **﴿الرجال قوّامون على النساء﴾**. التي هي الرعاية والسيادة والحماية. والنفقة هذه قد بيّنها وشَرَطَها رسول الله ﷺ في حجة الوداع، عن عمرو بن الأخوص الجشمي: «الحديث.. وفيه: «ألا إنّ لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهنّ: أن لا يوطئن فرشكم مَن تكرهون. ألا وحقهنّ عليكم: أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وطعامهنّ». رواه ابن ماجه والترمذي. وبارك الله في الرجال يطيعون النبي في قوله: «أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وطعامهنّ» ولم يقل وعليكم كسوتهنّ وطعامهنّ الذي هو الفرض أساساً، وإنما قال أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وطعامهنّ. وكأنه يقول أدّوا حقهنّ في الكسوة والطعام بكرمٍ وحسن خلق ونفس طيبة راضية بفرض النفقة.

ومع أنّ الإنفاق هو فرض واجب إلا أن الله ورسوله جعل فيه ثواباً كبيراً للرجل حتى يخفّف من ثقيل عبئه عليه. والحديث: «أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وطعامهنّ» يدلُّ على أن القيام بفرض النفقة على الزوجة هو بحدِّ ذاته حسنة أي صدقة تسجّل لكم بإنفاقه. هي نفقة مفروضة لا مهرب منها وإذا قصّر بها الرجل تستطيع المرأة أن تختلع منه بها أو تلجأ للسلطان فيجبره عليها. ومع هذا فقد جعل الله في أدائها والقيام بها أجراً كبيراً.

تبدأ نفقة الرجل على الزوجة بالمهر. حديث ميمون عن أبيه عن النبي ﷺ: «أيما رجل تزوج امرأة على ما قلّ من المهر أو كثر، وليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها، فمات ولم يؤدِ إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زانٍ... الحديث» رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

وعن جابرٍ عن النبي ﷺ قال: «أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله». وهذا يدلّ على أن النفقة على أهله أي على زوجته وأطفالها منه، أفضل الحسنات التي يأتيها المرء في حياته. وهو عمل مقدّم على بقية الأعمال في الحياة

لأنه يقدّم في الآخرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدّقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك». رواه مسلم. أي أن الإنفاق على الأهل، الزوج أو الزوج مع الأطفال إذا وجدوا، في وجوبه مقدّم على الإنفاق في سبيل الله أي في الجهاد والمجهود الحربي الذي هو أسمى أعمال المسلم في الحياة وغاية غايات المؤمن في الحياة أن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. النفقة على الزوج مقدّمة على النفقة في الجهاد بمعنى أن تنفق على الجهاد بعد الإنفاق على أهلك أي بما يفضل عن نفقة الأهل. وما يفضل عن الجهاد يكون أفضل الإنفاق بتحرير رقبة مؤمنة إذا وجدت، وبعدها التصدّق على الفقراء والمساكين.

عن المقدام بن معد يكرب، قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة» رواه أحمد بإسناد جيد.

عن العرباض بن سارية، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أُجِر» رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط.

عن سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ﷺ قال له: «إنك لم تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ أُجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك». رواه البخاري ومسلم في حديث طويل.

أمّا حدود النفقة أو مستواها وحدود الصدقة، فقد حدّد الشرع أدنى حدود الإنفاق وأدنى مستواه كما حدّد الصدقة بأقصى حدودها. ففي حدود النفقة تأمين حاجة الزوجة من الطعام وذلك أن يطعمها الرجل مما يطعم به نفسه أي لا يكون بينهما مفاضلة في الطعام. وللمرأة أن تأكل مرة أو أكثر في اليوم ولها أن تشبع أو لا تشبع وعدم الشبع غير الجوع. والرسول عليه الصلاة والسلام

جعل الشبع من الأمور المكروهة وحضَّ على عدم الشبع. وليس في طعام الزوجة تحديد للنوع من الأطعمة فقد كانت نساء النبي رضوان الله وصلاته وسلامه عليهنَّ يقتَتنَ على التمر اليوم والشهر دون توفّر غيره من الطعام. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً، إنما هو التمر والماء، إلاّ أن نؤتى باللحيم». أخرجه الشيخان والترمذي. وفي رواية «ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا وإحداهما تمر». وعن أنس قال: مشيت إلى رسول الله ﷺ بخبز وشعير وإهالة سنخة، ولقد سمعته يقول: «ما أمسى عند آل محمد صاع تمر ولا صاع حب»، وإن عنده يومئذ لتسع نسوة. أخرجه البخاري والترمذي والنسائي. الإهالة: ما أذيب من الشحم. والسنخ: المتغيّر الرائحة.

وعن حكيم بن معاوية، عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، ما حقّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طُعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبّح، ولا تهجر إلاّ في البيت». أخرجه أبو داود.

عن سعد بن أبي وقاص، قال: «قالت امرأة: يا رسول الله، إنّا كلٌّ على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا، فما يحلّ لنا من أموالهم؟ قال: الرطب تأكلنه وتهدينه». أخرجه أبو داود.

وعن عائشة قالت: «قالت هند امرأة أبي سفيان: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، ليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف». أخرجه الخمسة إلاّ الترمذي.

هذه الأحاديث تحدّد الحد الأدنى من النفقة وهو حدّ الكفاية للقيام بأمور الحياة وتحدّد مستوى الطعام بما يَطعَمُ منه الرجل. كذلك أمر الكسوة والسكن فهو مما يكتسي وفيما يسكن. وليس تجديد الكساء بواجب بل الكساء يبقى صالحاً ما بقي صالحاً إلا إذا بال أو تمزق. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إنْ سَرَّكِ اللحوقُ بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، وإياك

ومجالسة الأغنياء، ولا تستخلفي ثوباً حتى ترقعيه». أخرجه الترمذي. وزاد رزين فقال: قال عروة: فما كانت عائشة تستجدُّ ثوباً حتى ترقع ثوبها. فليس للمرأة أن ترهق الرجل في استبدال كسائها بل للرجل أن يكرمها بزيادة في كسائها ولها في طاعتها لله ورسوله أن تقنع بكسوتها وتتعفّف عن الطلب في الطعام والملبس وكل شيء، فوق مستوى قضاء الغرض والإيفاء بالحاجة.

لا يحلّ للمرأة أن تنفق من مال زوجها على أي شيء إلا بإذنه، عن أبي أمامة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبة عام حجة الوداع: «لا تُنفق امرأةٌ شيئاً من بيت زوجها إلا بإذن زوجها، قيل: يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا». رواه الترمذي وقال حديث حسن. أي أنه أولى الأموال بعدم إنفاقه إلا بإذن زوجها. وعن ابن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجوز لامرأة عطيّة إلا بإذن زوجها» أخرجه أبو داود.

إذا أعسر الزوج ولم يكن للزوجة مال يكفيها وما ارتضت الصبر فلها أن تختلع لأنه يكون قد فسد شرط من شروط الرعاية وقيامة الرجل بأمر زوجه. أمّا إذا كان عندها مال فلها أن تنفق من مالها وقد رغّبها الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك وحثها وجعل لها في ذلك أجرين. عن زينب الثقفية وكانت تحت عبد الله بن مسعود أي زوجته قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدّقنَ يا معشر النساء ولو من حليكن، قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود . أي زوجها . فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله، فإن كان ذلك يجزيء عني، وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال عبد الله: بل ائته أنت، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتها مثل حاجتي. وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة، فخرج علينا بلال، فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزيء الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن، قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله ﷺ: من هما؟ فقال: امرأة من الأنصار

وزينب، فقال رسول الله ﷺ: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله بن مسعود، فقال: لهما أجر القرابة، وأجر الصدقة» رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

نفقة الرجل على زوجه فيها أجر الصدقة كما أخبر عنها الرسول ﷺ ولكن في نفقة الزوجة على الرجل إذا أعسر أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة، ترغيباً وتفضيلاً للمرأة تنفق من مالها على عائلتها بدل أن تختلع وتهدم زواجها وتفرّق أو تفترق عن أولادها وعندها مال يفي أو يساعد في أود العيش. عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كلّ واحدة تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتها، فشقّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها، فأعجبني شأنها فذكرتُ الذي صَنَعَت لرسول الله ﷺ، فقال: إنّ الله قد أوجب لها بهما الجنّة، أو أعتقها بهما من النار». رواه مسلم. فهذه الأمّ التي كسبت ثلاث تمرات بسؤالها قد امتلكتها وأصبحت مالها فقسّمته . وهو كلّ ثروتها . عليها وعلى ابنتيها تمرة لكلّ واحدة. ولكنّ إحدى ابنتيها لم تكتفِ بتمرة واحدة فطلبت من أمّها حصّة من تمرتها فشقّت لها نصفها وأطعمتها إيّاه. فالإنفاق من الأم على ابنتيها هو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام «إنّ الله قد أوجب لها بهما الجنّة، أو أعتقها بهما من النار». أي بالعمل الذي تقوم به من السعي لإطعام ولديها وليس بسبب التمرة والقصّة ذاتها.

ومع أنّ للمرأة أجراً مضاعفاً من إنفاق مالها على عائلتها إلاّ أنّه ليس لها أن تتصرّف بمالها في غير ذلك من أوجه الإنفاق إلاّ بموافقة زوجها، فعن ابن عمرو بن العاص قال: «لمّا فتح النبي ﷺ مكّة قام خطيباً، فقال: «لا يجوز لامرأة أمرٌ في مالها إذا ملك زوجها عصمتها». أخرجه أبو داود والنسائي. وهذا لا يعني أنّ للزوج أن يتصرّف بمالها فمال المرأة للمرأة يبقى أمّا إذا أرادت التصرّف فيه فليس لها ذلك دون موافقة زوجها على أوجه صرفه. وهذا الحكم توجبه أيضاً مستلزمات رعاية الرجل وإدارته شؤون أهله من زوج وولد. فتحصيل الرزق

وإنفاقه وحفظه من أهمّ مسؤوليّات الرعاية التي أوجبها الله على الرجل. فإنفاق المال جزء من الخطّة العامّة التي يضعها الرجل لتوجيه حياة أهله فلا ينبغي لسلامة الطريق أن يكون هناك رأيان وتصوّران لتلك الخطّة. وحيث أنّ رعاية العائلة قد جعلها الله فرضاً على الرجل فتكون إدارة الأمور الماليّة له. ولكن حيث أنّ ملك رقبة المال مباحة للزوجة كما للزوج فقد جعل التصرّف بمال الرجل للرجل وحده والتصرّف بمال الزوجة لها شرط موافقة الرجل على ذلك التصرّف حتى لا يؤدّي تصرّفها للإساءة بما وضعه من خطط لعائلته. ولا يعقل أن يكون للمرأة التصرّف بمال قد تؤذي به خطّة الرجل وتسبّب في خسارته أو إتلاف مدخوله أو إيذائه في رزقه ويكون عليه وحده مسؤوليّة النفقة على أهله. فمن كمال الأحكام التي امتازت بها الشريعة الإسلاميّة على باقي الشرائع والأديان هو هذا الإحكام والترابط المطلق بين أحكام الشريعة وهو ما يحيّر عقل كلّ دارس لها ويزيد في إيمان كلّ من يؤمن بالله واليوم الآخر.

فالنفقة في الشرع شرط أساسي في الواجب والحق الزوجي وقد شَرَطه الله تعالى بقوله: ﴿**الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**﴾. فإذا طرأ ما يمنع الرجل من الإنفاق كإعساره أو مرضٍ يُقعده فللزوجة أن تختلع لأنّه ركنٌ من أركان رعاية الرجل لزوجه.

وقد حثَّ الله سبحانه وتعالى المرأة على الإنفاق حتى في حال السعة من فضله على الرجل، فقال تعالى: ﴿**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خيرٌ وأُحضرت الأنفسُ الشّحّ وإن تحسنوا وتتّقوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ [١٢٨ النساء].

ففي هذه الآية حثٌّ للمرأة على القبول بالتنازل عن أيّ حق فقسمتها في ليلة مبيت الرجل عندها إذا كان متزوّجاً بغيرها أو بنفقة إذا رأت أنّ زوجها يميل إلى تطليقها بسبب عبئها عليه من قسمة ليلتها لها أو نفقتها. فحثّها الله تعالى أن

تتدارك طلاقها بأيّ نوع من أنواع الإصلاح فإن كانت بتلبية رغبة زوجها بترك حقّها بليلتها مرّة في الأسبوع أو مرّتين فعليها أن تسترضيه بذلك، وإن كان بالمشاركة بالإنفاق وهي قادرة على ذلك فلتنفق ولتحذر شُحَّ الأنفس الذي قد يثنيها عن ذلك ولا يكون سبيلاً آخر لدرء الطلاق وهو ما يبغضه الله ويحثُّ المرأة والرجل على تلافيه بأيّ وسيلة وإن بمساهمة الزوجة بأمر النفقة.

ليس للزوج أن يتصرّف بمال زوجته إلاّ بإذنها وليس لها أن تتصرّف به إلاّ بإطلاعه وموافقته كذلك لا يحقّ للزوجة التصرّف بمال زوجها إلاّ بإذنه والرسول عليه الصلاة والسلام يجعلها مسؤولة عن المال الذي يضعه زوجها بين يديها وعن كيفيّة التصرّف فيه. والمال ليس هو النقد بل كلّ ما يُملك هو مال فالكرسي مال والعقار مال والإبريق مال والنقد مال وهكذا كلّ شيء يُملك مال. قال ﷺ: «المرأة راعية على مال زوجها وهي مسؤولة عن رعيّتها». والرعاية موضوع أساسي في الحياة وقد حدّد الشرع مفهومه ومسؤوليّته.●

علاج نشوز الرجل

قال الله تعالى: **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جُناحَ عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خيرٌ وأُحضرت الأنفسُ الشُّحّ وإن تحسنوا وتتّقوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾** [١٢٨ النساء].

النشوز: التباعد والإعراض، ألاّ يكلّمها ولا يأنس بها، هذا هو نشوز الزوج. أمّا نشوز المرأة معصيتها لزوجها وارتكاب الفاحشة من المرأة هو الزنى أو بذاءة اللسان وتطاولها على زوجها حسب موقعها في الآية. أمور جميعها حُرِّمت على المرأة ولها عذابٌ عظيم على فعلها. أمّا نشوز الرجل فهو عدم الرغبة بزوجه وتباعده عنها وإعراضه كأن لا يكلّمها أو يرتاح لمجالستها. قال الزجاج: المعنى وإن امرأة خافت من بعلها دوام النشوز. وفي معناها قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هي المرأة تكون عند الرجل فتنبو عيناه عنها من دمامتها أو فقرها أو كبرها أو سوء خلقها وتكره فراقه، فإن وضعت له من مهرها شيئاً حلَّ له أن يأخذ وإن جعلت له من أيّامها فلا حرج. وقال مقاتل ابن حيّان: هو الرجل تكون تحته المرأة الكبيرة فيتزوّج عليها الشابّة؛ فيقول لهذه الكبيرة: أعطيك من مالي على أن أقسم لهذه الشابة أكثر ممّا أقسم لك من الليل والنهار، فترضى الأخرى بما اصطلحا عليه.

مفهوم الآية حثٌّ من الله سبحانه للمرأة التي ترى زوجها يتباعد عنها ولا

يكلّمها ولا يأنس بمجالستها أن تُباحثه في ما يسترضيه قبل أن يطلّقها. فإن كان استرضاؤه لإبقائها زوجة له بأن تتخلّى عن قسمتها من النوم في فراشها فلتفعل وإن كان استرضاؤه في التخلّي عن مهرها فلتفعل وإن كان استرضاؤه في قبولها بعدم نفقته عليها إذا كانت قادرة فلتفعل، ولتقم بكلّ أمر يمكنها القيام به لتمنع طلاقها. فأيّ نوع من أنواع الصلح يتصالحان عليه خير إن شاء الله وأفضل من الطلاق في كلّ الأحوال. ويذكّر الله سبحانه وتعالى بشحّ الأنفس أي بخلها ويحذّر من الشحّ بمعرض الترغيب بالإحسان وتقوى الله التي لا يدخل الشحّ فيها. فالحضّ للزوج والزوجة أن لا يبخلا إذا كانا قادرين أو لا يبخل القادر على البذل من أجل الإصلاح.

وهذا كلّه يخلص إلى أنّه على الزوجين أن لا يسمحا أن يكون الجنس والمال سبباً في الطلاق. فالرجل يملّ زوجته بمضي السنين ويطمح إلى امرأة أخرى وليس بالضرورة أن يطمح إلى تطليق امرأته. فعلى امرأته أن ترضى بذلك. وقد يرغب الرجل في قضاء وقتٍ أطول وليالٍ أكثر مع زوجته الجديدة فمن الصلح الذي أمر الله به أن تتنازل عن بعض لياليها أو كلّها. وقد يعسر الرجل فلا يستطيع الإنفاق عليها أو عليهما فعلى المستطيعة أن تتخلّى عن حقّها في النفقة لكي لا تكون عبئاً على زوجها فيضطرُّ إلى طلاقها. فأمور نشوز الرجل محصورة تقريباً ويمكن للزوجة الحاذقة الدوران حول الأمور التي يمكن أن تؤدّي إلى نشوز زوجها فتعالجها وتسدّ طريق الطلاق منها.

وليذكّر المؤمن أنّ ما يجزى به في الجنّة من نعمة الجماع في الجنّة وقوّته يضاهي مرّات ومرّات ما يفوته من المرأة التي كبرت عنده وهو صابرٌ عليها. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يعطى المؤمن في الجنّة قوّة كذا وكذا من الجماع»، قيل: يا رسول الله، أويطيق ذلك؟ قال: «يعطى قوّة مائة». أخرجه الترمذي. وليُذكّر المؤمن بنساء أهل الجنّة وأنّ الرغبة الحقيقيّة في النساء يجب أن تكون فيهنَّ، فلتكن الحياة الدنيا في تقوى الله في كلّ شيء ولا يكون فيها شيء غاية

بحدّ ذاته، عن أنس، يرفعه: «ولو أنّ امرأة من أهل الجنّة طلعت إلى أهل الأرض لأضاءت الدنيا وما فيها، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولَنَصيفُها. يعني الخمار. خيرٌ من الدنيا وما فيها». أخرجه الترمذي.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّة لمجتمعاً للحور العين، يغنّينَ بأصواتٍ لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلنَ: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنّا له». أخرجه الترمذي.

فالحياة الدنيا وما فيها من ملذّات موقوتة زائلة فانية والحياة الجنّة نعيم مقيم لا يزول ولا يفنى. فتقوى الله في الملذّات ومنها النساء جزء من تقوى الله في الحياة أي في ما يقوم به الإنسان من أعمال يدخل بها برحمة ربّه جنّات النعيم. فالصلح أقرب إلى تقوى الله وحفظ العشير.

حديث: عن جابر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يرفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق، حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتّى يصحو». [مجمع الزوائد ٤/٣١٣].

الحديث ذكر ثلاثة أناس قاموا بمعاصٍ مختلفة في مواقع مختلفة ولكن إذا أمعنا النظر بالحديث وجدنا الآبق والعاصية والسكران قاموا بمعصية واحدة من جنس واحد فاستوجبوا حكماً شرعيّاً واحداً. فإنّها وإن كانت معاصٍ مختلفة ولكن في علّة تحريم كلّ معصية منها علّة واحدة مشتركة ممّا دعا إلى حصرهم في حديثٍ شريف واحد وتحريمهم بلفظٍ وصيغة شرعيّة واحدة. نقول إنّ المعصية واحدة ومن جنسٍ واحد من وجهتين: الأولى أنّ الشرع يحفظ لكلّ صاحب حقّ حقّه ويجعل استلاب ذلك الحقّ عملاً محرّماً يستوجب فاعله العقاب. والحقّ قد يكون مادّياً وقد يكون معنويّاً وقد يكون طاعة وقد يكون لله وقد يكون لغير الله وقد يكون بعين وقد يكون بمعاوضة. والحقّ المسلوب في أفعال

الثلاثة المذكورين هو حقّ الوصاية والولاية وحقّ الملك والإنفاق. العبد الآبق وصايته لصاحب رقبته فلا يحقّ له أن يتمرّد على سلطته ولا يحقّ له معصيته في أمر والأبق أمرّ وأشرّ من المعصية هو هروب كلّي بالجسد. والمرأة الساخط عليها زوجها امرأة عاصية لأمر زوجها خارجة من نطاق طاعته وقد جعل الله الوصاية عليها للرجل وجعل أمره نافذاً فيها وحرَّم عليها الخروج من طاعته وفرض عليها استرضاءه وإرضاءه وإدخال السرور إلى قلبه. ومعصيته وإسخاطه أمرّ وأشرّ من عدم استرضائه وإرضائه وإدخال السرور إلى قلبه فهو هروب بالعقل والقلب من صاحب حقّ أعطاه إيّاه الله. والسكران هو الذي يغيّر قدرة عقله على التحكّم في أفعاله بما أمره الله به. فالسلطان والسيادة للشرع والعقل محلّ استيعاب الشرع فإن عطَّل الإنسان بفعلٍ اختياريّ دور العقل في إقامة حكم الشرع فقد عطَّل حكم الشرع الذي هو محور حياة كلّ فردٍ مسلم، لذلك فالأمر ليس بشرب محرَّم فقط بل بتعطيل القدرة على الانصياع لأوامر الله سبحانه والانتهاء عمّا نهى عنه وهو أمرّ أمرّ وأشرّ من شرب محرَّم. فالمعصية المشتركة هي التحلّل من رباط الوصاية والولاء وجاء التحريم الجامع من هذا القبيل. ونجد أن تحريم التحرُّر من سيادة ولي الأمر مكرَّراً في كثير من الحالات التفصيليّة فإنكار الإبن لسيادة أبيه أو أمّه عليه محرَّم، وإنكار العامل لسيادة مرؤوسه محرَّم وعدم طاعة الأجير لمستأجره محرَّم، وتحرُّر الزوجة من رباط الطاعة لزوجها محرَّم، وهكذا الناس في المجتمع لكلّ منهم من تجب عليهم طاعتهم وتكون معصيتهم محرَّمة وطاعتهم فرضاً. فإذا أعطى الله حقّاً أو سلطاناً لأحدٍ من موقع معيّن كسلطة قائد الحرب فإنّها حقّ من الله وما يستوجب لإتمام المهمّة حقٌّ من الله أيضاً فمن عصى قائد الحرب في مهمّته فقد تمرّد على سلطةِ أمر الله بطاعتها ولو كان ذات العمل غير محرَّم كأن يأمر القائد بركوب الدرّاجات الهوائيّة بدل الدرّاجات الحراريّة فيقوم أحدٌ باستعمال الدرّاجة الحراريّة بدل الهوائيّة على اعتبار أنّ الحراريّة مباحة الاستعمال بدل الهوائيّة. فطاعة الله هنا تتعلّق بطاعة قائد الحرب بما اختاره من المباح ويصبح استعمال غيره من المباح فعلاً محرَّماً. هذا

من وجهة أولى، أمّا من الوجهة الثانية فيتعلّق بحقّ الملك والإنفاق. العبد ملك سيّده اشتراه بماله أو امتلكه بالغنيمة أو الهبة، طبعاً هذا أمر كان ولم يعد موجوداً في مجتمعات اليوم وقد لا يعود إلى التواجد أبداً فهو ليس أمراً مفروضاً ولكن وُجد التشريع له لأنّه أمرٌ من أمور المعاملة بالمثل فلم يبطله الله لأنّ عدوّ المسلمين الكفّار على مختلف أجناسهم وأديانهم كانوا يمارسون استرقاق الأسرى العسكريين وعائلاتهم التي يحملونها معهم فهو تشريعٌ ينظّم واقعاً وهو ليس حالة شرعيّة يلزم وجودها. فالعبد لا يملك رقبة نفسه بل يملكها عنه إنسان آخر وله أن يبيعه كما يبيع الحصان دون مشاورته، فهروبه من صاحب الأمر فيه هو سرقة لملك ومال ومتاع والسرقة محرَّمة إذا كان الإنسان سارقاً أو إذا أرسل من يسرق عنه. فيحرَّم على العبد أن يهرب من سيّده لأنّه بذلك يمنع صاحب ملك من التصرُّف بماله وهو حرام، والتصرَّف بمال الغير دون موافقة صاحب المال هو حرام، وتضييع مال الغير هو سرقة واختلاس. وبالنسبة للزوجة فإنّ الله سبحانه أقام هيكل العائلة على أساس أنّ الإنفاق على الرجل والحماية والدفاع عن الزوجة وكسوتها وإطعامها وتأمين المنزل عليه يقابله من المرأة الطاعة والإرضاء وإدخال السرور إلى قلبه. فإن عصت المرأة زوجها وأسخطته أي أغضبته ولم تسترضه تكون قد خانت ونقضت أموراً كثيرة منها المتعلّق بحديثنا: خانت واجب الإنفاق الذي أمر الله به الزوج. فواجب الإنفاق إذا قام به الرجل صار له حقٌّ من الله هو حقُّ الإرضاء فإن قام هو بواجبه ولم تقم الزوجة بواجبها فقد خانت حقَّ الإنفاق عليها الذي أعطاها إيّاه الله فهو كالسرقة والخيانة في المال وهدره في غير ما أباحه الله. والسكران استأمنه الله على مالٍ وأمره أن يصرفه في وجوهٍ متعدِّدة وأباح له التصرّف فيه في وجوه غير مفروضة ومنعه وحرَّم عليه إنفاقه في أمورٍ معيَّنة. ولكنّ السكران ينفقه على شراء محرَّم وهذا المال أعطاه الله له على شرط وعهد أن لا ينفقه على محرَّم، فإن أنفقه المرء على محرَّم فقد خان شرط عطاء الله له وخان حقّه في التصرّف بالمال الذي اؤتمن عليه. فهو خيانة حقّ الله في المال، وهو سرقة لذات المال لأنّ ذات المال ملكٌ لله وللمرء إنفاقها في

أوجه مباحة وسلطة إنفاقه في غير هذه الأوجه محرّمة، وإخراج للمال من سلطة إلى سلطة أي من سلطة الله إلى سلطة الشيطان. فهو كالسرقة بل سرقة بعينها وهي سرقة من الله وإعطاؤها للشيطان لأنّ الشيطان يمتلكها بمجرّد إنفاقها في محرّم ●

العائلة... قلعة

حصّنها الله ورسوله

كتاب

الزوجة مع زوجها

الفصل الرابع

- **الزوجة التي تكون من أهل الجنّة**
  - ١ ـ الجهلُ أقصر طرق جهنّم
  - ٢ ـ المرأة الودود تقفز إلى الجنّة
  - ٣ ـ دخول الجنّة بدون حساب
- **الزوجة الملعونة**
  - ١ ـ لعنة السماء والأرض على....!
  - ٢ ـ لعن المرأة تمتنّع على زوجها
  - ٣ ـ المرأة حطب جهنّم بكثرة الشكوى والللعن والكفر بالعشير
  - ٤ ـ المترجّلة من النساء
  - ٥ ـ جهنّم للمرأة الناشز والفاحش
- **الإحداد**

الزوجة التي تكون من أهل الجنة

يقول الله تعالى في محكم تنزيله يخاطب إبليس ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربّك وكيلا**﴾. الإسراء ٦٥. هذه هي قاعدة الحكم على الإنسان إن كان مصيره الجنة أو النار، وهذه الآية قسمت الجنس البشري بين الله تعالى وإبليس. من اختار أن يكون عبداً لله فلا سلطان لإبليس عليه، فما هو الستار الذي يسدله الله على عباده ليحجب عنهم الشيطان وما هو الجدار الذي يبنيه العبد ليمنع الشيطان من النفاذ إليه؟. السر يكمن في معنى العبودية لله، فهي الستار وهي الجدار. العبدُ هو الذي لا يملك حولاً ولا قوةً لنفسه، ففي الأصل أن الإنسان مخلوق كسائر المخلوقات دون حول أو قوة، ولكن الله استثناه فأكومه بنعمة العقل أي القدرة على الاختيار بالفهم الصحيح أو الخاطىء والقدرة على الاختيار بالقول والعمل بالخير أو الشر.

فالإنسان الذي يتوقّف عند كل عمل ليسأل الله ورسوله كيف يقوم به هو الذي اعتمد حكم الله سيداً في كل عمل وهو الذي قرّر الحياة بنعيم عبودية الله. هذا الإنسان، رجل أو امرأة أعاد قدرة الاختيار التي منحه الله إياها إلى صاحبها أي الله ورضي أن لا يستعملها لإن استعمالها غير وارد مع قراره بالتسليم لحكم

الله. وهذا التخلي عن استعمال القدرة على اختيار نظام القول والفعل هو الدخول في عالم «عباد الله». صحيح أن الكل — المؤمنين والكفار — عباد الله واقعياً إلا أن وصف «عبادي» في الآية تعني الناس الذين اختاروا طاعتي ولا تعني الناس الذين خلقتهم وأرزقهم وأتوفاهم وأبعثهم وأحاسبهم. فهؤلاء الذين اختاروا طاعتي وأصبحوا خاصتي من الناس ليس لك عليهم سلطان. والجدار السميك بينهم وبين الشيطان هو حدث تلقائي ينتج طبيعياً عن قرار التقيّد بحكم الله، فهو ليس عملاً مقصوداً بذاته. إبليس يأمر بمعصية الله بالإيحاء والإغراء والتكاسل والجبن إلى ما هنالك، ولكن قرار الطاعة لا يلتفت إلى هذه الأشياء أو الأصح أنه ينبذها، فليس في عالم الطاعة لله إغراء بمعصية، أو تكاسل عن فرض، أو جبن عن فعل؛ وهكذا. فجميع وسائل إبليس ليست موجودة في عالم طاعة الله. من هنا لا يستطيع إبليس حتى التواجد أصلاً بين الذين يصفهم الله «عبادي» فكيف بالقدرة على المحاولة. ومنذ مجيء الإسلام لم يعرف مؤمن عالمٌ بدينه مشكلة مع إبليس، وكل المسلمين الذين يعانون مشاكل معه أي يقيمون علاقة معه أي أنه عنده إمكانية استعمال وسائله معهم لا يعيشون حياة الطاعة التي أمرهم بها الإسلام. طاعة الله تستوجب العلم بحكم الله إن كان أمراً أو نهياً قبل التصريح بالقول أو مباشرة الفعل. والعلم هنا ليس مقصوده الإحاطة بأحكام الله بل معرفة الحكم المتعلّق بالعمل الذي يرغب الإنسان به. مثلاً ينجس المرء بحدث، أولاً ما هو النجس وما هو الحدث الذي يكون نجساً يستوجب التطهر منه هذا علم بفعل التطهر. مثلاً يعمل الإنسان ليرزق المال، أولاً ما هو المال الذي يمكن أن يملك وما هو المال الذي يُمنع تملكه، بأي الوسائل أباح الشرع امتلاك المال وبأي الوسائل حرّم الشرع امتلاك المال وما هو حقّ الله في المال المملوك؟ هذا علم بفعل التملك. مثلاً ترغب الفتاة بالتزوج؛ ما هو حقّ زوجها عليها، كيف تستقبله، كيف تحادثه، كيف تتصرف في غيابه، كيف يستبيحها، حدود طاعته، هذا علم في الزواج. فليس من الضروري والمهم أن يعلم المسلم نظام المشاركة في الإسلام، أي

الشركات، إذا لم يكن وارداً عنده أن يعمل شريكاً مع آخر. وليس مهماً أو ضرورياً أن يعلم المسلم حكم نفقة المطلقة إذا لم يكن ينوي الطلاق. فالواجب يحتّم معرفة الحكم في كيفية القيام بالعمل إذا عزم على العمل، فالإسلام مفاهيم فكرية للعمل بها وليس نظريات فكرية للتفاخر بها. والإنسان عندما يعي حكم الله في العمل الذي يقوم به، يبني لنفسه عالماً ليس لإبليس فيه خبز ولا ماء، ولهذا لا يقربه إبليس. تماماً كالإنسان لا يمكن أن يتواجد صدفة في صحراء قاحلة لا ماء ولا زرع فيها لأنه سرعان ما يموت. هذا النوع من البشر هو الذي يدخل في ظلال كلمة «عبادي» ويُحجب عنهم سلطان إبليس وستارة الله عليه هي رحمة الله التي تمنع قرب الحرام منه أو قربه من الحرام وهي نعمة لا تسبغ إلّا على من قال الله لروحه **﴿فادخلي في عبادي﴾**.

هذا التحصّن: هو في الحقيقة حياة في عالم ليس للشيطان إمكانية للحياة فيه وواجب على كلّ امرىء رجلٍ كان أو امرأة، إيجاد الحالة المعيشية التي لا يتعايش فيها الشيطان وهو فرضٌ لا يتأتى بذاته بل بالتقيد بحكم الله، وهو ما يُدخل الرجل أو المرأة في الجنة.

وهذا واضح في نص الآية: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾** فالسلطان معناه النفوذ والتأثير وهو السيطرة. فكما خلق الله في الحديد خاصية القطع وفي الملح خاصية الذوبان كذلك خلق في الشيطان خاصية التأثير على الإنسان. وكما سحب الله خاصية القطع من السكين عند محاولة ذبح النبي إسماعيل وبذلك امتنع ذبحه، وكما سحب الله خاصية الإحراق من النار عند محاولة حرق النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبذلك امتنع حرقه، كذلك سحب الله خاصية التأثير من إبليس على من ارتضى من الناس سلطان الله عليه والدخول في عالم عبادة الله. **﴿وكفى بربّك وكيلاً﴾**، أي أن الله رب إبليس والبشر وكل شيء هو الحامي والحارس والقيّم على التأكد من أن تأثير إبليس لا يصل إلى المسلم الذي يعيش في عالم عبادة الله أي التقيّد بحكم الله،

بل بمدى تقيّد الفرد بحكم الله عند مباشرة الفعل، إذ كلما قلّت الأفعال قلّ احتمال الجهل بالحكم وقلّت احتمالات المعصية وبالتالي كبر احتمال الوصول إلى الجنة. فقلّة الأفعال تقصّر الطريق إلى الجنة وكثرة الأفعال تطيل الطريق. ولمّا كان واقع طبيعة المرأة يقصّر مسؤولياتها الحياتية على رعاية أولادها ومعاشرة زوجها بالمعروف الذي أبانه الله، كانت طريق الجنة أقصر ما يكون للمرأة الزوجة، وإذا سمعنا قول الرسول ﷺ إلى عمّة حصين بن محصن رضي الله عنه يستفسر منها عن حال زوجها معها ليطمئنّ على آخرتها، وينصحها بإرضاء زوجها ويقول لها «فإنّه جنّتك ونارك» (رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيّدين والحاكم وقال صحيح الإسناد) أدركنا أنّ المرأة، الزوجة المطيعة لزوجها وربّها، تصل الجنّة بأقصر الطرق على الإطلاق. والرجل بحكم مسؤوليّاته لمواجهة مشاكل الحياة عليه التعامل مع وقائع متجدّدة ومتعدّدة طوال حياته. وإذا عرفنا أنّ الأئمّة مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل وجعفر الصادق رضي الله عنهم أجمعين بلغت مسائل بعضهم مائة وعشرين ألف مسألة تصدّى لعلاجها، عرفنا حجم صعوبة وصول الرجل إلى الجنّة وطول طريقه إليها لكثرة وتنوّع ما عليه الاشتغال به في الحياة. بينما المرأة تدخل الجنّة بفعل أربع. قال ﷺ: «إذا صلّت امرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنّة من أيّ أبواب الجنّة شئت». رواه أحمد والطبراني.

طبعاً لا يفهم من هذا الحديث أنّ المرأة التي تشرب الخمر تدخل الجنّة ولا أنّها تدخل الجنّة إن كشفت عورتها ولم تزنِ أو أنّها صلّت ولبست لباس الرجال. فأحاديث الرسول ﷺ يظلّلها حديث تعريف الإيمان وشرط الشهادة بتأدية حقّها. وحقّ الشهادة: الإيمان بكلّ ما جاء بالإسلام أي بالقرآن والسنّة والعمل به. لذلك يكون هذا الحديث بياناً لأعمال المرأة الأساسيّة بالحياة وتحديداً لرسالتها في الحياة. وهذا البيان الواضح لدورها الأساسي في الحياة هو الذي يبيّن مدى سهولة دخول المرأة الجنّة. وهو فضلٌ كبير من الله على جنس النساء لو

تعلمه النساء. وهو ما تدمع له عين المؤمن عندما يرى قرب الجنّة من المرأة وتعامي المرأة وتجافيها عن الدخول إليها، بينما ينظر إلى مكانه وكم عليه من السعي وتحمُّل أعباء الطريق للوصول إلى الجنّة والدخول فيها. شرط الإيمان شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله وشرط الشهادتين ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً**﴾[٦٥ النساء]. وفي الإيمان قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتحلّي ولا الدين بالتمنّي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

ومع هذا التبسيط للأمر على المرأة ومع أنّ الله كاد أن يجعل الجنّة محتّمة للمرأة إلاّ أنّ الرسول ﷺ يقول: «أقلّ ساكني الجنّة النساء» ويقول: «أكثركنّ في النار». في مراقبة النساء قد نجد معظمهنّ يُقِمنَ الصلاة ويصمن الشهر ويمتنعن عن الزنى، ولكن الشكّ يحوم حول الأكثريّة في طاعة أزواجهنّ. ثم إنّ كون طاعة الزوج هي العامل الرئيسي والمؤثّر في تقليل عدد النساء والمؤهّلات للدخول إلى الجنّة هو أنّ الرجال يدخلون الجنّة وهم أكثريّة سكّانها بالرغم من طول الطريق عليهم ولكنّهم غير مأمورين بطاعة الزوجة. بعمليّة حسابيّة بسيطة نستنتج أنّ طاعة الزوج عند المرأة هي الامتحان العسير لها. فالصلاة والصوم وعدم الزنى فرائض على الرجل والمرأة سواء بسواء، طاعة الزوج على المرأة كالجهاد على الرجل. طاعة الزوج محكّ إيمان المرأة والجهاد محكّ إيمان الرجل وأجرهما متعادلان. فالكثرة من الرجال تُقبل على الجهاد ولا تقع في فخّ خطيئة التردُّد. بينما كثرة النساء تتناسى أو تتغاضى عن وجوب طاعة الزوج، وقد تتكاسل عن إرضائه وطاعته، وقد تجهل ذلك الوجوب وتعامله بتكيُّف مزاجها وانفلاش أو انحسار عاطفتها ومحبّتها، أو تعامله بحسب انفعالاتها وإفرازاتها الجسديّة. فيقعنَ لأيّ سبب كان بفخ خطيئة المعصية وأكثريّة النساء تميل إلى تبرير معصية الزوج وتتوهّم أنّ الله يقبل عذرها في المعصية، فيقع أكثرهنّ في

الحرام الذي يستوجب النار. لأنّ الحساب في يوم الدين لا يوجد فيه تبرير لفعل الحرام بل السؤال هل فعلت المعصية أم لا، وليس لماذا فعلتُ المعصية؟ مصداق ذلك قول الله تعالى: **﴿هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون﴾**. [١٤٧ الأعراف].

الجهل.... أقصر طرق جهنّم

عدم الوعي بالحرام حين فعله هو أكثر الأسباب انتشاراً بين الناس وأتفه الأسباب التي يدخل الإنسان بها النار. فالجهل بحكم الله عند مباشرة الفعل هو أقصر الطرق إلى جهنّم، لأنّ الجهل فخُّ الشيطان الكبير وصفة من صفات الحيوان بل جزء من طبيعته. فالذي يجهل يصفه الله بأنّه من الدواب بل من شرِّ الدواب مصداق قوله تعالى: **﴿إنّ شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾**. الأنفال ٥٥. والكفّار موصوفون في عدّة مواضع بالجهل. ثم إنّ الجهل عكس ما تميّز به وما فُطر عليه الإنسان الذي فطره الله على التعلّم والحفظ والتذكُّر والتفكُّر والتدبُّر والمقارنة والموازنة والقياس والاستنتاج. فالجهل طمسٌ لما لقّنه الله لآدم عليه السلام وطمس للإسلام وتعطيلٌ لحكم الله. فالجهل فعلٌ حرام بالأصل وهو محرَّم بذاته فكيف يكون عذراً لفعل حرام. والجهل جريمة نكراء لأنّه فعل استهانة بجدّية الحياة وحتميّة الحساب بعد الموت، وهو فعل استهانة ولا مبالاة بحكم الله، وهو ما يوازي الاستهزاء بقول الله تعالى وهو يؤدّي في أحسن حالاته إلى المعصية وفي كثير من الأحيان إلى الكفر والشرك.

والجهل بأحكام الله هو جهلٌ بدين الله وهو نمط الحياة في عالم إبليس التي لا يحيا فيها إلاّ عباد الشيطان. وكما أنّ المؤمن يطيع الله بعلمه في أحكامه فالجاهل يطيع الشيطان في جهله. وكيف يقبل الله عذر الجهل بحكمه وهو يصف القرآن بقوله: **﴿إن هو إلاّ ذكرٌ للعالمين﴾**.[٨٨ الزمر]. وفي القرآن وردت كلمة الجهل بمعنى الكفّار والكفر والأمر بالكفر. في سورة الأنعام آية ١١١ يقول الله تعالى في القرآن الكريم: **﴿ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾**. أي يكفرون وفي الزمر ٦٤ يقول سبحانه وتعالى: **﴿قل**

أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾. فالجاهل في هذه الآية يأمر بعبادة غير الله أي بطاعة من يأمر بغير أمر الله. في الآية السابقة الذين يجهلون هم الكافرون أمّا في هذه الآية فإنّ الجاهلين هم الذين ينوبون عن الشيطان بدوره فإبليس يأمر بعبادة وطاعة غير الله والجاهلون يأمرون بعبادة وطاعة غير الله. وغنيّ عن القول إنّ طاعة غير الله من مثل طاعة نفسٍ أو هوىً أو عقل أو إنسان في أيّ أمر إنّما هي طاعة للطاغوت أي الشيطان نفسه ولو تمثّل في محبّة أو كراهية أو قناعة أو سلطان. فالجاهلون في هذه الآية رسل إبليس في الواقع والحقيقة وليس بالمجاز أو استعارة الوصف. وفي سورة النمل ٥٥ يقول الله في كتابه الكريم: **﴿أئنّكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قومٌ تجهلون﴾**. فالجهل كفرٌ وأقلُّ أحكامه القتل على فعلةٍ من فعاله وهو اللواط. لهذا لا يمكن لإنسان يؤمن بالله واليوم الآخر وقد أدرك القرآن وسنّة الرسول ﷺ ويقبل بوصف الجاهل بل كلّ مؤمن يعلم حكم الله بالعمل الذي يباشره ينفي عنه صفة الجهل ويدمغه الله بوصف المؤمن. فالجهل والإيمان ضدّان لا يجتمعان أبداً لأنّ الجهل عالم الشيطان، والمعرفة بحكم الله والتقيّد به فعل إيمان وهو عالم عباد الله، أهل الجنّة. والجاهلون كفّار والمؤمنون لا يقبلون الجهل ولهذا ليس للشيطان عليهم سبيل.

المرأة الودود تقفز إلى الجنّة

هذا البحث في الجهل يؤدّي إلى النار، والإيمان أي العمل بحسب الحكم الشرعي يؤدّي إلى الجنّة وهو عام في الذكر والأنثى من البشر. ولكنّ المرأة لا تحتاج للعمل المتعدّد المتنوّع للدخول في جنّة الله. فعالمها قليلةٌ مهمّاته، خفيفةٌ مسؤوليّاته بإنعام منه تعالى قلّصه وصغّره في عبئه وليس في أهمّيته، تسهيلاً وتهويناً منه تعالى للمرأة المؤمنة لتدخل جنّته بأيسر السبل وأقصر الطرق، ويكاد المرء يحسّ من التهوين الذي يسّره الله على المرأة أنّه أَذِن للمرأة أن تدخل الجنّة قفزاً. في الحديث الشريف عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: كلّ ودودٍ ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتى ترضى». الزوجة التي تطيّب خاطر زوجها إذا أساء إليها وتسرّي عنه همومَ الحياة التي تُغضب الرجل دون أن يكون لها يدٌ في ذلك، تلك المرأة التي تعمل على ترويح الغضب وتنفيسه من صدر زوجها إذا كانت سبب الغضب أم كان غيرها السبب، هذه هي المرأة التي تدخل الجنّة، ومن بابٍ أولى أن تكون صفة المرأة التي تدخل الجنّة تلك التي تطيع زوجها ولا تعصيه لأنّ الطاعة أهمّ وأكثر وجوباً من الترويح عن نفس الزوج ومن بابٍ أولى حفظه في غيبته ومن بابٍ أولى عدم سبّه وشتمه.

والدليل المتكرّر أنّ المرأة التي تدخل الجنّة لا تدخلها إلاّ برضى زوجها عنها في الحياة هو قول الرسول ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنّة». طبعاً هذا الحديث يفترض بالمسلمة تأدية حقّ الله بالعبادة وحفْظ العورة وغيرها من الفروض الشرعيّة. وفي وصفه ﷺ أو في تعداد أوصاف المرأة التي هي أصلح النساء وخيرتهنّ في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: قيل يا رسول

الله أيّ النساء خير؟ قال: «التي تسرُّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره». فصفة الزوجة التي تُدخل المسرّة على قلب زوجها من صفات النساء اللاتي يَدخلنَ الجنّة وهو عمل يلزم المرأة القيام به تجاه زوجها كطاعته وحفظ كرامته وسمعته وماله في غيبته وعدم مخالفته في سُبُل إنفاق مالها.

في حديث الرسول ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: كلُّ ودود ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحلُ بغمضٍ حتى ترضى». في هذا الحديث إشارة إلى المرأة التي تتفوّق على البقيّة من النسوة في الجنة. فيه وصفٌ للمرأة التي امتلك عليها الإيمان لبَّ قلبها وعقلها. الإيمان وطاعة الله فرضت عليها طاعة زوجها وأن تحسن استقباله إذا دخل المنزل فتبتسم وترحّب به أجمل الترحيب. والإيمان فرض عليها خفض صوتها بالحديث معه ومنع علوّ صوتها على صوته وفرض استعمال لين القول ومنع استعمال سيّئه. وفرض كذلك حفظ الزوج في غيبته أي لا تتحدّث عنه بسيّء ولا تجلس في مجلس يتحدّث فيه عنه بسيّء ولا تصاحب من لا يرضاه من النساء سرّاً أو علناً ولا تزور مَن لا يرضاه مِن صديقاتها وأقاربها ومحارمها ولا تُدخِل البيت من يكره. ولا تُنفق من ماله أو مالها إلاّ بعلمه وموافقته. فإن فعلت هذا وما هو أدنى من هذا وصلّت وصامت وصانت فرجها دخلت الجنّة. ولكنّ الودَّ والإرضاء والتفريح وإدخال السرور والبهجة إلى قلب الزوج عملٌ لا يقوم به إلاّ من ملك الله عليه عقله وملأ قلبه بالإيمان. فإذا كان عمل المرأة الرئيسي والأوّل والأهمّ في الحياة هو طاعة زوجها وبه تدخل الجنّة فإنّ الإمعان في طاعته والمحبّة في طاعته والتفنّن في طاعته يؤدّي إلى العمل لإدخال السرور إلى قلبه، ومتى وصلت المرأة إلى هذا الحدّ من الشعور بالمسؤوليّة تجاه زوجها، مسؤوليّة إدخال السرور إلى قلبه وانتزاع القلق والاضطراب والحزن والغضب والكدر والنغص من قلبه، فإنّها بذلك تصل إلى

حدّ الكمال في إيمان ولهذا دمغها الرسول ﷺ بأنّها أي المرأة الودود عكس المرأة المتجافية بأنّها من أهل الجنّة وسكّانها. وأنّه لا خوف عليها في الآخرة فقد جاء في علم الله المسطور أنّها حصلت على ضمانتها بدخول الجنّة.

إمعان النظر بقوله ﷺ «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة» وعدم قوله مثلاً: ألا أخبركم بنسائكم اللائي يدخلن الجنّة فيه لغزٌ كبير جداً والله أعلم. ولأن الجنّة أكبر قصّة في الوجود للإنسان، فإنّنا سنحاول معاً إمعان النظر في فهم ما يمكن أن يشير إليه هذا الحديث من خلال صيغته الكلاميّة ومن خلال ربطه بحديثٍ آخر ورد في بحثنا قد يلقي عليه ضوء الوضوح.

عليه الصلاة والسلام يقول: «بنسائكم في الجنّة» وهو وصفٌ لأمر واقع وليس لأمر بمكن الوقوع. فهناك نساء وهناك جنّة وهناك «نسائكم في الجنّة» فهو وصفٌ للنساء الزوجات اللاتي عاشرتموهنّ في الدنيا. وتصوير الحديث: هل أخبركم عن زوجاتكم في الجنّة أي عن زوجاتكم في الدنيا اللواتي يكنّ لكم في الجنّة زوجات. وحديث الوصف للواقع هو التحدّث عن حقيقة مطلقة ثابتة لا ينكرها أحد. كأن يقول واحد للآخر عند رؤية طائرة: هذه طائرة. أو عند رؤية بناية: هذه بناية وهكذا. فالواقع المحسوس لا يتطرّق إليه الشكّ ولكنّ الجنّة ليست واقعاً محسوساً عند الناس أللهم إلاّ عند المؤمنين الذين يصدّقون تصديقاً جازماً مطلقاً بكلّ ما جاء في القرآن والحديث من وصف للمغيبات. لأنّ الإيمان بالأصل أي بمن أخبر وهو الله تعالى إيمان مطلق جازم والتصديق بقوله وبرسوله ﷺ نهائي وقاطع. تماماً كالتصديق بقول الله تعالى: **﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾**. فهل يُنكر مؤمنٌ ذلك. فالحديث الشريف بلفظه الوصفي ينفي نفياً قاطعاً جازماً إمكانيّة أو احتمال عدم دخول الزوجة التي تعمل على اقتلاع الغضب والزعل والحزن والهمّ والاكتئاب والغمّ والإحباط أو ما يشابه من حالات النقمة والنرفزة المختنقة من صدر زوجها. بل أكثر من ذلك وأقوى. إنّه ﷺ يصف وجودها الأبدي

قبل أن يصف حالها المؤقّتة في الدنيا. لأنّ عمر الإنسان في الحياة الدنيا قصير جدّاً ليس بالنسبة لطول الخلود لأنّه لا يمكن مقارنة المحدود بالخالد بل هو قصير بواقعه وبأنّه مؤقّت وهو مجرّد مرحلة، كحالة الموت مهما طال زمنها فإنّها مجرّد مرحلة. فحياة الخلود في الجنّة أو في النار هي التي يجب أن تكون محور تفكير وأعمال الإنسان في الحياة لأنّ هذا التفكير وهذه الأعمال هي التي تقرّر، برحمة الله ، المصير الأبدي.

شيء آخر يدلّ عليه استفهام رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة» ولماذا لم يقل ألا أخبركم عن النساء في الجنّة. نميل إلى فهم إشارته ﷺ إلى أنّ المرأة التي تتزوّج في الحياة وتدخل الجنّة بطاعتها لزوجها إنّما تكون في الجنّة زوجة لهذا الرجل عينه وليس أنثى طليقة تفعل ما تشاء. ولا يقال إنّ ذلك ظلم لأن خاصيات الإنسان في الجنة هي خاصيات أهل الجنة وليست خاصيات أهل الأرض فليس في السماء تعب أو نصب بل قطوفها دانية والخدم كثير بين أيدي أهلها، وقد خلقه الله كاللؤلؤ والمرجان وخاصيات التعب والغضب والحاجة والجوعة والإفراز والملل والعتب والكره والتملك والبخل والتكبر وغير ذلك كثير، كلها قد نزعها الله من الإنسان ليحيا حياة الهناء والسعادة فقط. فأن تكون المرأة ذات زوج في ذلك العالم أمر غاية الإكرام للمرأة وهو حظّ عظيم خصّها الله فيه لأن الرجال في الجنة الذين تلحق بهم زوجاتهم قلّة فعدد الزوجات اللواتي يدخلن الجنة قليل كما أخبرنا بذلك عليه الصلاة والسلام. وموضوع إكرامه تعالى للمرأة التي يخصّها بزوجها في الجنة فيه سرٌ لا يمكن أن ندركه لأننا لم نطّلع على واقع الحياة في الجنة. ولكن دور الرجل في الحياة كان معها دور راع أي حام ومسؤول وقد أدّى دوره في الحياة بنجاح حتى استطاع ، برحمة ربه ، أن يُدخلها معه في الجنة. نقول استطاع لأنّ منع المرأة من الشطط في الحياة والوقوع في معصية زوجها من ضمن مسؤولية الرجل في الحياة. وهذا المنع إذا نجح هو الذي يعطي الفرصة للزوجة لتدخل الجنة. فللزوج دور كبير في دخول المرأة

الجنة في حال استطاع التأثير على زوجته، ولا نقول إنه السبب الوحيد ولا في غالب الأحيان، ولا شك أنه يمكن للزوجة أن تدخل الجنة بينما زوجها في النار ولكننا نعتقد أن ذلك حالات قليلة وليست الكثرة منها. فإذا دخل الرجل النار فغالباً ما تدخل معه النار، نعود إلى إكرام الله للمرأة التي تدخل الجنة، وهي لا تدخلها إلا بطاعة زوجها، فإنها قد خصّها الله براع في الجنة. وهنا نتحيّر: هل هذا الإكرام منه تعالى هو فقط للمرأة التي وصفها الرسول ﷺ بقوله: «كلّ ودود ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى». هل هي المرأة التي وصلت إلى هذا الكمال في إيمانها بأن حرصت أن تُدخل السرور إلى قلب زوجها وتنسيه متاعب يومه ومنغِّصات سعيه في مناكب الدنيا، هل وحدها تلك الزوجة: التي تجعل التودّد لزوجها طريقة للتعامل معه، واسترضاؤه إذا غضب منها وترويح غضبه المتجمّع من غيرها، هي التي كتبها الله من أهل الجنة بحساب أو دون حساب، أوَحدها الزوجة بهذا الرقي في الإيمان والإخلاص في التعبّد لله تُؤجر بتكريم الله وتلتقي زوجها أيضاً في الآخرة، أم أن هذا العطاء الزائد والتخصيص منه تعالى يشمل كل امرأة تدخل الجنة؟ الله أعلم في ذلك ولا شك.، ولكننا من قراءة الحديث مرة أخرى وهو عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ: «كل ودود ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتى ترضى». إن الحديث وصف لمخلوق حي كائن في الجنة لا محالة. وتحديدٌ لما سيكونه في الجنة. وتفصيل مواصفات لعمل يقوم به هذا المخلوق في حياته. لهذا فالله يشرح صدري إلى الفهم أن التقاء الزوجة بزوجها في الجنة غاية تكريم الله للزوجة التي تدخل الجنة بفعل طاعتها وإرضاء زوجها والتودّد إليه في كل حال. والله أعلم بحكمة وفضل ذلك على سائر عطاياه وإحسانه إلى خلقه لأنه لا يعلم واقع الجنة إلا من خلقها كما لا يعلم واقع الحياة إلا الذي خلقها وهو الله تعالى. والسؤال المحيّر كم مرة سمعنا أو عرفنا أو نُقل إلينا أن هناك في بيت ما من عائلة ما أو تحت رجلٍ ما يوجد امرأة زوجة

بهذه الصفة التي تتواجد بنفحة إيمان مطلق، الواقع أن هذه الصفات نادرة جداً في النساء.

وما يوضح أن الزوجة بهذه القدرة على التحكم بنفسها أنها تدخل الجنة بغير حساب وأنها بذلك تتساوى مع الشهيد في دخوله الجنة بغير حساب الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أجروا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم. فما لنا من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: أبلغي من لقيت من النساء: إن طاعة الزوج، والإعتراف بحقه، يعدل ذلك، وقليلٌ منكنّ من يفعله». فهل بعد هذا التوضيح والتنوير لمصير المرأة الزوجة المطيعة بحاجة إلى محاولة فهم قوله ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة». فالمرأة المطيعة والتي تستطيع أن تسترضي زوجها أجرها أجر الشهيد تدخل الجنة إن شاء الله وبرحمته دون حساب.

إن الزوجة الصالحة تدخل الجنة بمعية زوجها ورفقته. فإن من نعم الله على عبده الصالح أن يبقي له أحباءه المقرّبين إذا كانوا من أهل الجنّة بجواره ورفقته ومعيَّته. فكما يجتمع الصالحون في الدنيا يجتمعون في الآخرة إذا كانوا من السلالة ذاتها. والمرأة أقرب من الأب والابن لأنها من ضلع الرجل الزوج وليست من ضلع الأب. لهذا تلتحق المرأة الصالحة بزوجها في الآخرة وليس بأبيها أو أخيها أو أمها بل بزوجها. وفي آيات كثيرة يبيّن الله سبحانه أن من نعم الله على عباده الصالحين أن يدخلهم الجنة برفقة أزواجهم إن كنَّ من الصالحات والمعنى أن يستمر اجتماعهم في الجنة. وإن هذه النعمة من الله هي أيضاً للزوجة الصالحة. ونحن لا نفهم كيف أن هذه نعمة من الله سبحانه ومِنّة يذكرنا بها بالعديد من الآيات لأن حال الجنة مما لا تطاله عقولنا ولا يقع عليه حسُّنا ولا علم لنا بشيء إلا بما يخبرنا به سبحانه وتعالى. في سورة الرعد ٢٣

يقول سبحانه: **﴿جنات عدنٍ يدخلونها ومن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرِّيَّاتهم والملائكةُ يدخلون عليهم من كل باب﴾**. وفي سورة الزخرف ٦٩ و٧٠ يقول تعالى: **﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾**. ومن هذه الآيات نفهم أيضاً أن المرأة إذا دخلت الجنة فإنها لا بدّ أن تدخل الجنة مع زوجها إذا كان أيضاً من أهل الجنة ولا تكون في الجنة وحدها إلا إذا كان زوجها من أهل النار وإخبار الله أنها في الجنة مع زوجها أنّ المرأة في الجنة كما هي في الأرض تلتزم زوجاً رجلاً واحداً. دعاء الرجل اللهم اكرمني في الدنيا بزوجةٍ صالحة وأنعم عليّ في الآخرة بصحبة زوجتي. دعاء المرأة اللهم أكرمني في الدنيا بزوج أدخل بطاعتك فيه الجنة وأنعم عليّ في الآخرة بصحبة زوجي.

ثمرة البحث في هذا الموضوع أن قاعدة أعمال المرأة التي تتّخذ قرار دخول الجنة بطاعة زوجها وربها هو حديث الرسول ﷺ الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ، أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، قلت: فأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال: أمه». رواه البزار والحاكم. وإسناد البزار حسن. فطاعة المرأة لزوجها وليس لأحد من أب وأم أو من دونهما واجب الطاعة على المرأة فيما يخالف أمر زوجها أو حتى دون إذن زوجها. فليس للمرأة طاعة والدها أو والدتها أو أخيها أو أختها أو صديقتها أو جارتها ودون ذلك من غير إطلاع زوجها وموافقته. وإذا أردنا تعداد الأمور التي تلزم المرأة التقيّد بها من قبيل وضع الخطوط العريضة وإعطاء الأمثلة وليس من التجرؤ على حصرها. وهذه الأمور متعلّقة بحالة واحدة كونها زوجة ولا يغني عن واجبها الإلتزام بحكم الله في أمور الحياة الأخرى، لتحقيق غاية الزواج والنجاح فيه نقول:

- أن تقتنع بزوجها وتعي تآمر الشيطان الدائم للإيقاع بينها وبين زوجها.
- أن لا تؤدي حقّ ربها حتى تؤدي حقّ زوجها.

- أن تقوم وتهرع لاستقباله ببشاشة وسرور ظاهر عندما يدخل بيتها.
- أن لا تمنعه نفسها لأي سبب لم يحدّده الشرع.
- أن لا تأذن في بيت زوجها لأحد لا يرغب فيه زوجها أو دون إذنه.
- أن لا تخرج أبداً من بيتها وهو كاره لخروجها.
- لا تطيع فيه أحداً في ذمّه أو الكيد له.
- لا تضره بقول أو عمل.
- لا تصوم نافلة إلا بموافقته.
- أن تنتقل معه إلى المكان الذي يختاره للسكن.
- أن لا تعصيه جهراً أو خفية في أمر تعلمه منه.
- أن تشكر له سعيه في رعايتها.
- أن تقنع برزقه.
- أن لا تكون ملحاحة في طلباتها.
- أن لا تلعن.
- ألا تكثر الشكوى.
- ألا تجحد العشرة وتكفر بالعشير.
- ألا تصرخ في وجهه ولا تسبه ولا تشتمه.
- ألا تضره في ماله فلا تنفقه إلا بإذنه.
- ألا تتصرف بمالها إلا باطلاعه وموافقته.
- ألا تنسى حقّ الله في العبادة وتتقي الله في أولادها بالعدل بينهم بالقول والمعاملة.
- أن لا تصاحب من يكره زوجها صحبتها لهم.
- أن تسترضي زوجها إذا علمت منه غضباً منها أو من أمرٍ آخر.
- أن تعمل على إدخال السرور إلى قلبه إذا علمت منه حزناً.
- أن تخدمه بمعروف، بحبور وسرور.
- أن تقنع بطعامه وكسوته.

- أن تعرف قدر حقه عليها وتقنع بما فضّله الله عليها وتطيعه بتقوى الله.
- أن تحفظه في غيبته في نفسها وماله وبيته وولده.
- أن تحفظ سرَّه في حضوره وفي غيبته.
- أن تخفي عيبته ولا تستغيبه ولا تذمه في السرِّ أو العلن.
- أن لا تنام ليلتها وزوجها غاضب عليها دون أن تحاول بإخلاص استرضاءه.
- أن تُظهر التودّد الدائم له.
- أن تتعلَّم ما يسرّه وما يكرهه.
- أن يكون زوجها وهناءِ عيشه محور حياتها وتدبيرها.
- أن تفرح لفرحه وتكتئب لكآبته.
- أن لا تفرح في حزنه وتحزن في فرحه.
- العناية بمأكله وملبسه ومضجعه.
- أن تدبر أمور عيشه وتنظيف مسكنه.
- أن ترعاه وولده في النهار والليل.
- أن يكون أعظم الناس عندها حقاً وإكراماً.
- أن تُـؤثِـرَ هـواه عـلى هـواهـا ورضـاه عـلى رضـاهـا●

الزوجة الملعونة

إنّ الإسلام هو دين الله الحق والنبي محمد ﷺ رسول الله إلى البشر أجمعين. والإسلام أكبر نعمة في الحياة لمن يوفقه الله إلى الإهتداء إليه والعمل به. ومع هذا نرى المؤمنين قلّة في الحياة والكفار هم أكثرية الجنس البشري. فالمعصية لله الواحد الجبار عامة بين الناس أكثر من طاعته. وإعجاز القرآن الكريم والسنّة النبوية بيّنا في نواحٍ عديدة لا مجال لحصرها، التحذير العام من مطلق معصية والتحذير الخاص مَن كل معصية بحدّ ذاتها. وبعد أن أوضحا قواعد اجتماع الرجل والمرأة في الحياة معاً في معاشرة زوجية وبيّنا واجبات كلٍّ تجاه الآخر وحقوق كلٍّ من الآخر، اعتنى الشارع ، وهو أدرى بطبيعة الرجل والمرأة . بتكرار التنبيه والتحذير والتبيين للمرأة. ولأنه سبحانه خلق المرأة وفيها عِوَج، جاء الرسول يكرّر عليها التحريم والتخويف من عذاب الله ويذكّرها بواجباتها تكّراراً وتكراراً رحمة من الله بها ورأفة وترفّقاً وإمعاناً بالحرص عليها من أن تقع في المعصية، فتستوجب غضب الله وعذاب جهنّم. فبعد أن كرّر بيان واجباتها قام بتكرار ذكر الحالات التي تستوجب عليها غضب الله وسخطه ولعنة الملائكة التي هي غضب الله على فعلٍ محرَّم.

إنّ الله سبحانه وتعالى يتخلّى عن المرأة . والعياذ بالله . إذا لم تشكر لزوجها وتعترف بجميل صنعه حتّى لو لم تعصه في أمر. عن عبد الله بن عمر، عن

رسول الله ﷺ، قال: «لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه». رواه النسائي والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد. في العلم اليقيني أنّ الإنسان لا يدخل الجنّة بعمله مهما تعبّد وتقرّب وحرص على التقيّد بالحكم الشرعي. لأنّ أيّ تعبُّدٍ لا يمكن أن يؤدّي حقّ الله بالشكر على نعمةٍ واحدةٍ من نعمه التي لا تعدُّ. فالإنسان لا يدخل الجنّة إلاّ بنظرة العطف والرحمة من الله تبارك وتعالى. فإذا أعلن الله سبحانه أنّه لن ينظر إلى من يفعل كذا، معناه أنّ فعل ذلك حرام، وفاعله لا يمكن أن يدخل الجنّة. فإذا كانت الزوجة لا تدخل الجنّة لأنّها لم تشكر لزوجها في حياته معها، ولم تُشعره أنّها مدينة له بفضله وحسنه إليها. وهي بعدم إظهار الامتنان لزوجها تحرم نفسها من رحمة الله أي من أن ينظر الله إليها برحمةٍ منه، فكيف يكون حال المرأة التي تنام وزوجها عليها غاضب أو هو عليها ساخط ولم تسترضه؟ وكيف حال الزوجة تُغضب وتُسخط زوجها؟ وكيف حال الزوجة تُدخل بيتها وتوطيء فرشها من لا يرضاه زوجها؟ وكيف حال الزوجة تُخرج من بيتها شيئاً بغير إذن زوجها؟ وكيف حال الزوجة تَخرج من غير إذن زوجها؟ وكيف حال الزوجة تخرج رغم منع زوجها لها من الخروج؟ وكيف حال الزوجة يسألها الزوج نفسها فتأبى أو تفعل متذمّرة متنافرة متباعدة؟ وكيف حال المرأة يأمرها زوجها بالاحتشام في لباسها فتخرج كاسية عارية؟ وكيف حال المرأة تخون أمانة الله بنشر سرِّ العشرة والكفر بها؟ وكيف حال الزوجة تُكثر اللعن والشكوى؟ بل كيف تستطيع الزوجة أن تقصِّر في تأدية واجبها والقيام بحقِّ زوجها عليها. وهذا التقصير الذي هو دون المعصية بكثير، يؤدّي إلى رفض الله سبحانه وتعالى لقبول صلاة وطاعات وعبادة هذه الزوجة المقصِّرة مع زوجها، والرسول ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لا تؤدّي المرأة حقَّ ربّها حتّى تؤدّي حقَّ زوجها». رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له. هذا في المرأة المقصِّرة وليست العاصية، يمحو الله صلاتها وصدقتها. فكيف تدخل امرأة جنّة ربّها إذا لم تكتب لها صلاة. إنّ رحمة الله ممتنعة عن أيّ إنسان دون صلاة. فالصلاة عماد الدين وركنه الأساسي ومن لا

صلاة له لا دين له. في الشرع من يصرّ على عدم إقامة الصلاة يُقتل لأنّها إثبات للكفر. فكيف تستطيع مؤمنة أن تحيا في الدنيا وتحيا في الموت وتحيا في البعث وهي تُدرك أنّها لم تكتب لها صلاتها ولا حسنة قدّمتها في دنياها؟

في تفصيل المعاصي التي تقوم بها الزوجة وتتجاوز بها حدود عدم إظهار الشكر لزوجها. وحدود التقصير في تأدية حقّ زوجها، وهما أمران تستحقّ عليهما النار لأنّ الأولى تمنع رحمة الله والثانية تمحو صلاتها. في المعاصي التي لا تصل حدَّ الزنى نبيّن حالات خاصة للتذكير وإن كان سبق ذكرها.

لعنة السماء والأرض على.....!

في خروج المرأة من بيتها دون إذن زوجها حرام كبير وإثم فظيع. عن ابن عبّاس في حديث قصّة المرأة الخثعميّة جاء بآخره عن رسول الله ﷺ، قال: «ولا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع». رواه الطبراني. هذا إذا خرجت دون أن تتمكّن من استئذانه لعدم تواجده مثلاً كأن يكون في عمله فتخرج وتعود قبل أن يرجع، دون أن يؤدّي ذلك بالضرورة إلى تقصير بواجباتها اليوميّة من طبخ وتنظيف. وقد يكون في المنزل فتخرج دون استئذانه لطغيانها عليه مثلاً ويسكت حتى لا يصل إلى طلاقها. وقد يكون خروجها لأمرٍ طارىء من مثل حاجتها لزيارة شقيقتها المريضة أو أمّها أو شراء حاجة ما فتعذر نفسها وتخرج بدون استئذان زوجها. ولكن أيّ أمر أو حاجة ليس عذراً للمرأة تخرج به من بيتها دون استئذان زوجها. حكم الله أنّ المرأة في بيتها لا تخرج مطلقاً لأيّ سببٍ ولو مات أبوها أو ماتت أمّها وهو أقصى أسباب الأمر الطارىء والملحّ إلاّ بإذن زوجها. فإن فعلت وسارت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب تنهمر عليها كيفما سارت وأينما سارت أو دخلت أو جلست، ولازمتها اللعنات من ملائكة السماء والرحمة والعذاب حتى تعود إلى منزلها. هذا إن لم تستأذن زوجها في الخروج وإذا لم يكن أعطاها إذناً عاماً بالخروج للأمور العاديّة دون حاجة لإذن خاص في كلّ أمر. فكيف إذا استأذنته ورفض أن يأذن لها بالخروج ولكنّها أصرّت وخرجت؟ عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ المرأة إذا خرجت من بيتها، وزوجها كاره، لعنها كلّ ملك في السماء وكلّ شيء مرّت عليه، غير الإنس والجنّ حتى ترجع». رواه الطبراني في الأوسط، ورواته ثقات الاسويد بن عبد العزيز. لأنّ إذن الخروج من المنزل هو

بمثابة إعطاء الثقة للزوجة أو تعبير عنها أي الثقة المطلقة بأنّ الزوجة أهلٌ لأن تتصرّف وحدها كما لو أنّ زوجها معها. أمّا الخروج بدون إذن الزوج فمعناه أنّ الزوجة تريد أن تكون وحدها لتفعل ما يرضيها هي وليس ما يرضي زوجها. لأنّها عندما تكون مع زوجها تفعل ما يرضيه أو لا تفعل ما يغضبه وإن خرجت بأمانه وثقته التزمت بقاعدة إرضائه وعدم معصيته أو استغابته أو إضراره في غيبته أو خيانته في ماله وعرضه. ولكن إذا خرجت من دون معرفته أو إذنه أو كرهاً عنه فقد بلغت بها المعصية وبلغ بها الفسوق حدَّ التخلّي عن أهمّ قاعدة لسلامة الزواج وديمومته. ولا يستبعد ويكاد يكون من المحتّم أن يؤدّي هذا الانفلات إلى الإضرار بالزوج في معيشته وخيانته في ماله أو عرضه.

إنّ خروج المرأة من منزلها من دون إذن زوجها يعني أنّ المرأة قد وقعت في فخّ الخطيئة، فخّ الشيطان، ومَن سقط هذه السقطة السحيقة يمكن أن يفعل كلّ ما يأمره به الشيطان، بل من المؤكّد في معظم الأحيان أن يفعل كلّ ما يأمره به الشيطان. واستغابة الزوج والإضرار به في ماله وعرضه تصبح من المسلّمات.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديُّوث الذي يقر الخبث في أهله». رواه أحمد والنسائي والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد. انتهى. الديوث هو ولي الأمر الذي لا يهمه من يدخل على زوجته أو على من هم في رعايته من بنت أو أخت أو غيرهما. أي الرجل الذي لا يكترث بزنى من هم في رعايته أي من يوافق على فعل الزنى تفعله زوجته أو من هي في رعايته. أو هو الرجل الذي يشك بأن الذي يدخل على أهله إنما يدخل بقصد الزنى فيسكت عن ذلك أو هو الذي يقرّ اختلاء زوجه أو من في رعايته بأحد الغرباء وهو لا يعلم ما يجري بينهم ويشك فيهما بالزنى. ونقول في الدخول على أهله لأن الشرع منع خروج المرأة من بيتها لأي أمر إلا بعد أن يوافق الزوج على خروجها والطبيعي أن الزوج يسمح بالخروج بعد أن يعلم

السبب والقصد من الخروج. بهذا الإجراء الشرعي لا يتيسر للمرأة الخروج من المنزل بقصد الزنى لأن كذبها بسبب الخروج سرعان ما ينكشف. فلا يبقى للمرأة التي تريد الزنى خارج المنزل في حال عدم كون زوجها ديُّوثاً إلا تعطيل هذا الإجراء الشرعي حتى يتيسر خروجها ودخولها بيتها دون موافقة زوجها. فأحد مقاصد تحريم خروج المرأة من بيتها إلا بموافقة زوجها هو تعقيد الظروف الواقعية لمن لا يحرم الزنى من اتباع الشيطان اللعين. فتسهيل اتصال المرأة بالأجنبي دون مبرّر أو رقابة هو تسهيل بالنهاية للإختلاء وإيجاد المناخ الملائم لمعصية الزنى بالانتشار. لهذا حرص الشرع الحنيف على بناء جدار بين المرأة والملأ من الناس وهو الخروج من بيتها بالحكم الشرعي الذي يحتّم عليها بتقواها لله عز وجل والخضوع لأحكامه وقوة الحاكم أن لا تخرج إلا بموافقة زوجها وإلا كانت ناشزة عاصية لله العلي العظيم.

إذا خرجت المرأة من بيت زوجها دون إذنه أو رغم عدم سماحه لها بذلك ولكنه لم يشك بها إطلاقاً من حيث العفّة وكان يثق بأنّها لا تنساق إلى ارتكاب معصية من معاصي الله، كانت المرأة عاصية لله ورسوله واستحقّت لعنة ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب وكل ملك آخر نعلم له إسماً أو لا نعلم وكل شيء تمر عليه من أي مادة أو جنس كان غير الإنس والجن. وكفى بالله وكيلا على ذلك.

أمّا إذا خرجت المرأة رغماً عن زوجها ويشك الزوج بضعفها أمام المعصية ويشك باحتمال سقوطها في المعصية ولو مرة واحدة ويسكت على خروجها مع شكه بها مجرد شك، فإن عليه اتخاذ الإجراء المناسب لردعها فوراً فإن لم ترتدع فيطلب التحكيم في محاولة لإنقاذ الزواج وعدم الخضوع للشيطان بطلاقها فوراً. فإن لم تستجب لحكم الله وبقي يشك في أمر خروجها فقد ينطبق عليه صفة «الديُّوث» إذا لم يبادر إلى تطليقها، والله أعلم.

إنّ الرجل عندما يطلّق امرأته إذا خرجت من بيته بدون إذنه ليس لأنها خرجت

وكفى بل لأنه يخاف على نفسه في الآخرة من عقوبة «الديُّوث» التي تحرِّم عليه الجنة. فزنى المرأة التي تخرج من بيتها بغير إذن زوجها وهو مسؤول عنها في الدنيا والآخرة لا يبرئه حرص على عدم هدم العائلة والتفريط بالعشرة. فإن الأمر يكون قد خرج من يده ومن هذا النطاق إلى نطاق عقوبة الآخرة عليه وعلى زوجته أو على زوجته وحدها وإنقاذ نفسه. لأن المسألة دخلت في نطاق المشاركة بالمعصية أو الخروج منها منفرداً. تحوطاً لهذا ولأسباب غيرها منع الله خروج المرأة من دون إذن زوجها وجعله جريمة تضجُّ منها السماء والأرض بلعن المرأة التي ترتكب هذا المحرّم. وهو كبيرة من الكبائر إذ يقول إبن عباس رضي الله عنهما في توضيح صفة الكبيرة والكبائر في الشرع في القرطبي تفسير سورة النساء آية ٣١: «الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب». والكبائر ليس لها كفارة في الدنيا مهما بلغت النوافل. والصدقات لا تمحو كبيرة فالكفارة تمحو السيئة وليس الكبيرة. ولا تُمحى الكبيرة إلا بتوبة مقبولة من الله أو يغفرها كرماً منه ورحمة يوم الحساب أو إقامة الحد الشرعي في الحياة الدنيا. والله أعلم.

في حال عدم الإستئذان تنصبُّ على المرأة لعنات ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب أمّا في حال الخروج رغماً عن نهي الزوج فإن كل ملك في السماء يشترك في لعنها. في الحديث الأول يبيّن أن ثلاثة أنواع من الملائكة توحدت مهمتها في لعن من تخرج بغير استئذان زوجها. في الحديث الثاني يقول: «كل ملك في السماء» فهل في السماء أكثر من ثلاثة أنواع من الملائكة أم كلمة «كل ملك» جمعاً لهم، الله أعلم. ولكنَّ الحديث يَبقى معناه أن ملائكة السماء كلها تتحد في مهمة لعن التي خرجت من بيتها رغماً عن زوجها. وأضاف إلى لعنة ملائكة السماء لعنة «وكل شيء مرّت عليه». أي كل حجر ومعدن وماء ونبات وهواء ومخلوق غير الإنس والجن. فهل بعد هذا البيان التفصيلي لحرمة الخروج من المنزل دون موافقة الزوج يمكن لامرأة تؤمن بالله

واليوم الآخر أن تخرج من بيتها دون إذن زوجها! قد تقول بعض النساء إن الإيمان بالله واليوم الآخر أمر وحرية المرأة بالخروج أمر آخر. والإسلام يقول نعم هما أمران مختلفان في عقيدة الشيطان لا في عقيدة التوحيد والإيمان، لأن عقيدة الإسلام توجب التقيد بجميع أحكام الله والإمتناع عن حرماته. وحده الشيطان قال: لا، أؤمن ببعض ولا أؤمن ببعض، والمرأة التي تقول بهذا باعت نفسها للشيطان وصدّقت قوله وعملت بعمله، وهي المرأة التي ينطبق عليها حديث الرسول ﷺ: «النساء حبائل الشيطان». فالإيمان ليس هوى ولا خيار فيه بين الفرض والحرام. الإسلام تسليم مطلق لأمر الله والمرأة إمّا أن تكون امرأة مطيعة فهي من أهل الجنّة برحمة ربها أو أنها امرأة ناشزة عاصية من حبائل الشيطان فهي تُحشر معه في المغضوبين يوم الدين وتُلقى معه في الجحيم. فالدنيا بلاء لإثبات من عمل صالحاً ومن عمل محرماً والمصير إلى جنة أو نار وليس هناك بين بين. والمرأة التي تخرج من بيتها بدون إذن زوجها إنما تقوم بفعل العاهرات من دون فعل الزنى.

لعن المرأة تمتنع على زوجها

الزواج معاشرة الجسد للجسد وامتزاج الروح بالروح والعقل بالعقل وهي علاقة ميّزها الله عن سائر علاقات البشر وميّزها وخصّها لأن فيها بقاء النوع البشري والتناسل. ولهذا فقد أوجد فيها خاصية لا توازيها خاصية أخرى في التمتع والتلذذ بنعم الله. فالجماع متعة أنعم الله بها على عباده في الحياة، ولهذا جعل لها تشريعاً خاصاً ينظمها ويحميها وجعل لها قواعد تحدّ من طغيانها واستيلائها على إرادة الإنسان، حتى لا تجره إلى الشر وفعل الحرام فتكون شراً عليه بدل أن تكون نعمة له. ولمّا كان في الزواج معاشرة جسدية بين الرجل والمرأة فقد جاء التشريع ينظمه بكل دقة وتفصيل دون مواربة ولا حياء لأنه على التقيّد الدقيق بأحكامه ينتج فعل محرّم أو مباح وبه يصل إلى الجنة أو النار.

ومن تنظيم أمر الجماع بين الزوجين وتوافقاً مع طبيعة الرجل والمرأة حرّم الله على المرأة الإمتناع على زوجها. فإذا سألها زوجها نفسها ليس لها أن ترفض إطلاقاً لأي سبب كان، ولا يقبل لها أي عذر. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. وفي حديث آخر قال ﷺ: «أيما امرأة باتت هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تراجع وتضع يدها في يده». وأيضاً يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها زوجها». رواه البخاري ومسلم. إنّ عدد الذين يدخلون الجنة يوم الحساب أقلّ بكثير من الذين يُرمون في جهنم. ونسبة أهل الجنة إلى أهل النار كما يقول علماؤنا وكتب التفسير والله أعلم لا تزيد عن واحد بالألف. أي واحد في الجنة يدخلها مقابل ألف يقذف في

واليوم الآخر أن تخرج من بيتها دون إذن زوجها! قد تقول بعض النساء إن الإيمان بالله واليوم الآخر أمر وحرية المرأة بالخروج أمر آخر. والإسلام يقول نعم هما أمران مختلفان في عقيدة الشيطان لا في عقيدة التوحيد والإيمان، لأن عقيدة الإسلام توجب التقيد بجميع أحكام الله والإمتناع عن حرماته. وحده الشيطان قال: لا، أؤمن ببعض ولا أؤمن ببعض، والمرأة التي تقول بهذا باعت نفسها للشيطان وصدّقت قوله وعملت بعمله، وهي المرأة التي ينطبق عليها حديث الرسول ﷺ: «النساء حبائل الشيطان». فالإيمان ليس هوى ولا خيار فيه بين الفرض والحرام. الإسلام تسليم مطلق لأمر الله والمرأة إمّا أن تكون امرأة مطيعة فهي من أهل الجنّة برحمة ربها أو أنها امرأة ناشزة عاصية من حبائل الشيطان فهي تُحشر معه في المغضوبين يوم الدين وتُلقى معه في الجحيم. فالدنيا بلاء لإثبات من عمل صالحاً ومن عمل محرماً والمصير إلى جنة أو نار وليس هناك بين بين. والمرأة التي تخرج من بيتها بدون إذن زوجها إنما تقوم بفعل العاهرات من دون فعل الزنى.

لعن المرأة تمتنع على زوجها

الزواج معاشرة الجسد للجسد وامتزاج الروح بالروح والعقل بالعقل وهي علاقة ميّزها الله عن سائر علاقات البشر وميّزها وخصّها لأن فيها بقاء النوع البشري والتناسل. ولهذا فقد أوجد فيها خاصية لا توازيها خاصية أخرى في التمتع والتلذذ بنعم الله. فالجماع متعة أنعم الله بها على عباده في الحياة، ولهذا جعل لها تشريعاً خاصاً ينظمها ويحميها وجعل لها قواعد تحدّ من طغيانها واستيلائها على إرادة الإنسان، حتى لا تجره إلى الشر وفعل الحرام فتكون شراً عليه بدل أن تكون نعمة له. ولمّا كان في الزواج معاشرة جسدية بين الرجل والمرأة فقد جاء التشريع ينظمه بكل دقة وتفصيل دون مواربة ولا حياء لأنه على التقيّد الدقيق بأحكامه ينتج فعل محرّم أو مباح وبه يصل إلى الجنة أو النار.

ومن تنظيم أمر الجماع بين الزوجين وتوافقاً مع طبيعة الرجل والمرأة حرّم الله على المرأة الإمتناع على زوجها. فإذا سألها زوجها نفسها ليس لها أن ترفض إطلاقاً لأي سبب كان، ولا يقبل لها أي عذر. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. وفي حديث آخر قال ﷺ: «أيما امرأة باتت هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تراجع وتضع يدها في يده». وأيضاً يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها زوجها». رواه البخاري ومسلم. إنّ عدد الذين يدخلون الجنة يوم الحساب أقلّ بكثير من الذين يُرمون في جهنم. ونسبة أهل الجنة إلى أهل النار كما يقول علماؤنا وكتب التفسير والله أعلم لا تزيد عن واحد بالألف. أي واحد في الجنة يدخلها مقابل ألف يقذف في

النار. وعدد النساء اللواتي يدخلن الجنة أقل بكثير من عدد الرجال كما ثبت في حديث الرسول ﷺ: «إنّ أقلّ ساكني الجنة النساء». وأكثر الأسباب التي تمنع دخول النساء الجنة وأعمُّها هو استباحتها لحرمات زوجها وتفريطها بحقه. وقد لا يكون سبب ذلك الكفر أو الضلال أو الجرأة على الله بفعل محرّم، بل قد يكون لغلبة نزوتها على دينها، أو قد يكون لطغيان انفعالها على إرادتها، أو قد يكون استخفافاً بتقدير حرمة التفريط بحق الزوج، أو قد يكون أنها اعتادت على معصيته فلا تعود تراها معصية، أو قد يكون جهلاً بواجبها الزوجي. جميع هذه الأسباب وعشرات غيرها قد يقبلها عقل الجاهل أو يجعل لها الشيطان تبريراً، مرفوضة وتكون سبباً في دخول المرأة الساذجة البسيطة إلى جهنم. وهذا ما حذّر منه الرسول عليه الصلاة والسلام جمهور النساء منه في عدة أحاديث، فهلّا تداركت المرأة استشراف الشيطان لها وتفقّهت في دينها بما يلزمها في حياتها مع زوجها وتربية أطفالها؟ لأنه لا سبيل إلى عدم ارتكاب الحرام إلا معرفة الحلال من الحرام. ولا سبيل إلى درء سيطرة الشيطان إلا فهم الحكم الشرعي والتقيّد به. فالشيطان لا يستطيع استشراف أو غواية إلا من جَهِلَ حكم الله، ولأن المرأة عادة تميل إلى عدم التفقه في دينها تكاسلاً وتواكلاً فهي أكثر ضعفاً أمام الشيطان من الرجل، خاصة وأن في طبعها ليونة. وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان». أي نفخ فيها ليغوي بها أو لتكون وسيلة للإغواء، ولا تمتنع امرأة على الشيطان إلا بفهمها لدينها. فكيف تمنع امرأة نفسها عن زوجها وتكون من أهل الجنة والرسول ﷺ يقول من حديث معاذ رواه الحاكم المرفوع منه، ولفظه: «قال: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقّه عليها، ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حقّ زوجها، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب».

المرأة حطب جهنم

بكثرة الشكوى واللعن والكفر بالعشير

من المخاطر الكثيرة التي تقع فيها المرأة هو الإنزلاق النفسي أي سرعة الإنفعال والتفاعل مع حوادث ومنغّصات تواجه الإنسان طبيعياً في الحياة. فالإنسان في حياته لا يستطيع الإستمرار بثبات على تقوى الله دون انحراف في ميوله أو انجراف بعاطفته، إلا إذا ثبت على إيمانه والفهم الشرعي للأمور وتقبُّلِ المكاره والمنغّصات ومواجهتها بما بيّنه الشرع، على أنه أمر طبيعي، ولا قدرة لإنسان على ردِّه أو تلافيه. فالمكاره كثيرة ويومية وتكاد تكون آنية ومتكررة ودائمة، فالشرع يأمر بمعالجتها إن أمكن وإلا فالتعايش معها بصبر ويكون للصابر عليها أجر كبير إن شاء الله. وبهذا لا تعود المكاره مشاكل للمؤمن بل تتحوّل إلى نعمة ومرضاة من الله لأن في الصبر عليها مزيد من الأجر له.

هذه المعالجة الشرعية والصحيحة لمكاره الحياة تغيب عن أذهان معظم النساء ولأنهنَّ أسرع وأكثر انفعالاً فهنَّ أكثر انسياقاً في تضخيم الحدث المنغِّص وجعله مشكلة تعجز طبيعة المرأة عن استيعابها وهضمها أو معالجتها. وهذا ناتج عن عدم وضوح الرؤيا لواقع الحياة ومشاكلها ووجوب التعايش معها. وهذا كله ينتج عن عدم إعمال العقل وإمعان النظر في الصورة الشرعية للحياة التي على المؤمن أن يتصوّرها ويعيشها ويعمل لحمايتها ونشرها بين الناس. هذا البعد عن فهم صورة الحياة التي أرادها الله لعباده هو عند النساء أفشى مما عند الرجال، وهذا سبب رئيسي في كثرة تذمّر النساء وكثرة شكواهنَّ من الحياة ومكارهها، وهو أيضاً سبب رئيسي يجرها إلى «الكفر» بالعشرة الزوجية وكثرة اللعن.

إنّ التذمر والتبرّم من واجبات الارتباط الإجتماعي الذي هو الزواج والسبُّ

والشتم للتنفيس عن الضغوطات النفسية يساوي في حرمته وجريمته وعقوبته تحريم «الكفر بالعشرة». عن جابر رضي الله عنه، قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكّرهم، ثم أتت النساء فوعظهنَّ وذكرهنَّ، وقال عليه الصلاة والسلام: «تصدقنَّ فإن أكثركنَّ حطب جهنم». فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدينِ فقالت: لَمَ يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لأنكنَّ تُكثِرن الشكاة، وتكفرن بالعَشير». فجعلنَ يتصدقنَ من حليهن، ويلقين في ثوب بلال.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفِّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾. النساء ٣١. وقد جاء في القرطبي عن ابن عباس في تفسير الكبائر قال: الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. انتهى. في الحديث الوارد أن المرأة التي تُكثر الشكوى أي التذمُّر والتبرُّم من أمور تنغّصها في حياتها مع زوجها مهما كانت كبيرة أو صغيرة، وتكفر بالعشير أي تجحد فضل زوجها ولا تراعي القواعد التي أرساها الله ورسوله في تنظيم حياتها بمعاشرة زوجها. أو أنها تضع قواعد أو تتصرف بحسب قواعد توافقها وتجاري هواها، هذه المرأة لا يختم الرسول ﷺ حديثه بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ليكون حكمه حكم الكبيرة أي من الكبائر المحرمة في الإسلام، بل قال: «أكثركنَّ حطب جهنّم». فالعياذ بالله عدد حبات الرمل على الأرض من هذه الفعلة ومن هذا المستقبل. فقد أبان الحكم الشرعي في الحديث أن مصير المرأة التي تكثر الشكوى وتكفر بالعشير هو استعمالها حطب جهنم. فهل يعني هذا أنه أي كثرة الشكوى والكفر بالعشير جريمة أكبر من جريمة الكبائر في الإسلام أي أكبر من الزنى واللواط وشرب الخمر والربا وقتل المؤمن و... أم أنه جرم من الكبائر في الإسلام، الله أعلم. ولكن لفظة «الكفر» والعقاب «حطب جهنم» يدل أنه أكبر من كبيرة أو أنه جزء من الكفر

وباب من أبوابه.

عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى مصلى، فمرّ على النساء، فقال: «يا معشر النساء تصدقنَ فإني رأيتكنَّ أكثر أهل النار. فقلن: وبمَ يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن بالعشير... الحديث». متفقٌ عليه. والمعنى رأيتكنَّ على سبيل الكشف، أو طريق الوحي.

إن عظيم عقاب هدم قواعد العشرة الزوجية يوازي حجم جريمة هدم بنيان قلعة الإسلام... العائلة. ولهذا نرى الرسول عليه الصلاة والسلام يكرّر التهديد والتخويف والله سبحانه وتعالى يغلظ العقاب ليكون زجراً ومنعاً لأي امرأة بقي فيها شيء يسير من الإيمان بالله وقرآنه ورسوله واليوم الآخر والحساب والجنة والنار، فترتدع وتعود إلى رشدها فور سماعها هذا التهديد الفظيع من الرسول عليه الصلاة والسلام. ولتعلم النساء المسلمات أن الله قد جعل المرأة التي تتّقي غضب الله بطاعتها لزوجها جعلها من النسوة القلّة نسبياً اللاتي يدخلهنَّ الله في جنته. ولتذكر النساء في كل لحظة من حياتها أن الشيطان يترقبها حتى يرى منها ساعة ضعف فيغويها لتكفر بالعشير لأن أكبر إنجازاته في الحياة ليست إفشاء الزنى والربا والموبقات وكل المحرمات بل الهدم.. هدم العائلة... هدم قلعة الله الحصينة على الأرض. فالمرأة خط الدفاع الأول في هزم الشيطان بوساوسه وإيحاءاته وبتكرار لعنه دائماً والتعوّذ بالله منه والثبات بوجه المكاره تقرُّباً من الله وطمعاً في جنته والتذكّر أن الجنة حُفَّت بالمكاره تثبيتاً للنفس إن شاء الله وحفظاً للعائلة... قلعة للإسلام. ولا يمنع انتصار الشيطان على النفس إلا الرضوخ المطلق لحكم الله والقرار العقائدي بالتقيّد بالحكم الشرعي وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى للشيطان الرجيم: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾. فالشيطان لا يغوي إلا منحرف النفس والإيمان ولا ينفذ إلى نفس المتواضع لله ولا يسيطر إلا على النفس المتعالية عن الخضوع لحكم الله، وأوسع الأبواب له جهل المؤمن وقيامه بعمل دون علم بحكمه. فالكفر هو

التعالي والتكبّر على الخضوع لأوامر الله والكفر بالعشير هو التعالي والتكبّر عن التقيّد بنظام الله وسنة رسوله الذي ينظّم معاشرة الرجل والمرأة وتدبير أمور العائلة. ومن هنا الكفر بالعشير هو كفر بحكم الله وهو كفر فعلي بأحكام الله وباب من أبواب الكفر، وعقابه في آلاخرة كعقاب الكفر.

المترجّلة من النساء

المترجّلة من النساء هي التي تتشبّه بالرجال في أي شيء: في حياتهم، كأن تقص شعرها مثلهم، وفي أحوالهم، كأن تجلس أو تمشي أو تلبس مثلهم، في أخلاقهم، وعاداتهم فلا تحتشم من مخالطتهم ولا تعتزل مجالسهم ويعلو صوتها حتى لو سبّحت عالياً فإنه تشبّهٌ بهم، وتتنطح في المجادلة معهم. وأفعالهم من مثل امتشاق السيف وركوب الفرس وما شاكل ذلك من الأفعال التي يختصّ بها الرجل وفي أيّامنا من مثل ركوب الدرّاجة ولبس القبّعة وربطة العنق والبنطلون والجاكيت وغيرها.

عن ابن أبي مليكة، قال: «قيل لعائشة: هل تلبس المرأة نعل الرجل؟ فقالت: قد لعن رسول الله ﷺ المترجّلة من النساء». أخرجه أبو داود. عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة، وأمنت الملائكة: رجل جعله الله ذكراً فأنّث نفسه وتشبّه بالنساء، وامرأة جعلها الله أنثى فتذكّرت وتشبّهت بالرجال..» الحديث رواه الطبراني.

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنّة، العاق لوالديه، والدّيوث، ورجلَة النساء». رواه النسائي والبزار. الدّيوث هو الذي يعلم الفاحشة من أهله ويقرّهم عليها.

وفي الطبراني: «إنّ امرأة مرّت على رسول الله ﷺ متقلّدة قوساً فقال: لعن الله المتشبّهات من النساء بالرجال والمتشبّهين من الرجال بالنساء».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل». رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

وعن عمار بن ياسر، عن رسول الله ﷺ، قال: ثلاثة لا يدخلون الجنّة أبداً:

الدّيوث والرجلة من النساء، ومدمن الخمر، قالوا: يا رسول الله، أمّا مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الدّيوث؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله، قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: التي تتشبّه بالرجال». رواه الطبراني.

والتشبُّه بالرجال عام هيأةً، خلقاً أو فعلاً. وهو مطلق دون تقييد أو تفريق. فانتعال النعل أي الحذاء أو التمنطق بحزام من أصغر أشياء التشبّه حرّمه الرسول ﷺ كما حرّم الثوب وهيأة الرأس والوجه والأيدي والجرأة بالاختلاط والتنطّح بالحديث والجهر بصوتها في مجالس الرجال. كلّ هذا وكلّ ما هو مشهور أنّه من هيّأة الرجل تتشبّه به المرأة أي تتهيّأ بمثله إن كان قولاً أو فعلاً أو لبساً تشمله اللعنة في الدنيا والآخرة وتحرّم الجنّة على المرأة التي تتهيّأ بشيء منه. فهو الوقوع في حضن الشيطان ولعلّه التحوُّل إلى صورة من الصور التي يمشي فيها الشيطان بين الناس فيراهم ويروه. واذكري أيّتها المسلمة حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «إنّ المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان». خاصة إذا تهندمت بأيّ من هندام الرجال.

جهنّم للمرأة الناشز والفاحش

النشوز في الإسلام هو الخروج عن الصراط المستقيم، وهو الخروج عن طاعة الله. ولمّا كانت معصية الله عند المرأة هي في خروجها عن طاعة زوجها فقد اعتبرت المرأة المستعصية على زوجها بالوصف المطلق للمعصية وهو الخروج عن الصراط المستقيم والخروج عن طاعة الله.

الفحش والتفحّش هو الإمعان بفعل محرّم إلى أقصى حدود المعصية. الربح شرطٌ مقبول في البيع والشراء بالإسلام. ونسبته المقبولة هي ما يتعارف التجّار والمجتمع عليه ولا تحديد له لأنّه مرتبط بالأزمنة والظروف ولكن إذا ضاعف أحد الباعة نسبة الربح المتعارف عليها عدّة مرّات لجهل الشاري أو حاجته الملحّة يكون البائع غبن الشاري. وهذا الغبن هو بسبب نسبة الربح الفاحش التي تقاضاها، فهذا الربح يصبح معصية.

وعلاقة الرجل بالمرأة جنسيّاً بالإسلام محدَّدة بالزواج فقط وأيّ علاقة جنسيّة أو اتصال جسدي خارج الزواج معصية، القبلة معصية، والملامسة معصية ولكنّ الزنى منتهى طريق المعصية فهو فعلٌ فاحش أيضاً.

أمر الله الزوجة بطاعة زوجها، أمرها أن لا تخرج إلاّ بإذنه ولا تلبس ما لا يرضاه ولا تمتنع عليه ولا تعطي من ماله إلاّ بإذنه ولا تخونه ولا تُفشي سرّه ولا تتآمر عليه ولا تتجسّس ولا تحدِّث بأخباره ولا تُدخل البيت أحداً إلاّ بإذنه ولا تُنفق من مالها إلاّ بإذنه ولا تعمل إلاّ بإذنه. وأمرها بالطاعة على عمومها إلاّ في معصية. وأمرها بحسن المعاشرة وحسن الخلق وحسن التخاطب مع زوجها. فخروج المرأة من البيت من دون استئذان زوجها معصية لله ولكنّها معصية وإن كانت من الكبائر بحسب تعريف الكبيرة في الإسلام إلاّ أنّها ليست معصية تمنعها من استئذانه في صرف ماله مثلاً أو السير في الأمور الأخرى بطاعته ممّا

يحمله على التصبُّر على معصيتها بالخروج دون إذنه، ويترك عقابها لله فلا يطلّقها لهذه المعصية ويرجو من صبره عليها وإمساكها أجراً من الله. أمّا إذا كانت المرأة تشتم وتصرخ ويعلو صوتها على صوت زوجها، سيّئة الخلق سريعة التوتّر تجرؤ على مخالفة زوجها ومعارضته سرّاً وجهراً. فإنّ استمرار المعاشرة يصبح شبه مستحيل وفي هذا هدمٌ للهيكل الاجتماعي. لأنّها معصية المعاصي أي رأس المعاصي. فالطاعة عماد التعايش واستبدال الطاعة بالمعصية يهدم جميع الطاعات الأخرى أو يمنعها. لذلك ولأنّ بذاءة لسان الزوجة وعلوّ صوتها وتطاولها بالكلام مع زوجها أحطّ مستويات المعصية أسماه الله تعالى بنفس اسم آخر المعاصي وأعظمها وهو الفحش والتفحُّش وسمّى الزوجة التي تفعله الفاحش والمتفحّشة. والمرجّح أنّ حديث «الكفر بالعشير» يتعلّق بالتفحّش فالمرأة الفاحش تهدم قلعة الإسلام: العائلة كما يهدم الكافر صوامع الله: المسجد.

وإذا كانت المرأة التي تتحدّث بأخبار زوجها أو تخرج من بيته من دون إذنه أو تُدخل بيته أحداً بدون إذنه أو تنفق ماله بدون إذنه، وتفعل أقلّ من هذا أو أكثر منه في معصية زوجها لعنها الله وأمر الملائكة بلعنها ومنع صلاتها ودعاءها أن يرتفع فوق أذنيها ومنع كلّ مخلوق وشيء أن يسمع صلاتها وتلاوتها من أجل أنّها اقترفت معصية ليست عماداً للحياة بل لأنّها معصية قد تمنع التعايش أو تبطل الهناء وتمنع الزواج من سكينته وهدّدها جزاء وفاقاً للمعصية بالنار والعذاب فلا بدّ أن يكون فعل أمّ المعاصي ورأسها: الفحش والتفحُّش والنشوز جريمة أكبر بكثير من فعل المعصية المطلقة أو حتى من فعل الكبيرة ولهذا قد يكون الفحش والنشوز هو «الكفر بالعشير» وعقابه أكبر من عبورٍ في جهنّم والعياذ بالله منه، هو «أكثركنّ حطب جهنّم».

إنّ مستوى تحريم الفحش والنشوز في الإسلام هو بمستوى تحريم الزنى، وقد يكون أشدّ لهذا يَلزم كلّ زوجة مسلمة أن تتصوّر دائماً معصيتها وتتطاولها أنّه

جرم لا يُغتفر وأنّ طاعتها وخجلها من الوقاحة والتعفُّف عن التطاول هو طاعة لله وتواضع له وخضوع. فكما أمر الله الإبن بالتواضع لوالديه وخفض الصوت أمامهما وطاعتهما بحسن الخلق والعشرة. حرّم الله الجنّة على الولد العاق وهو الذي يعلو صوته على صوت والديه ويتطاول عليهما ببذيء الكلام أو الضرب، كذلك حرّمها على الزوجة الفاحش التي تتطاول بلسانها على زوجها ويعلو صوتها على صوته وتبادره أو تنابذه بذيء الكلام وتتواقح وتجرؤ عليه وحرّمها على المرأة الناشز التي تعصي زوجها.

عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا: لمَ يا رسول الله؟ قال: لكفرهنّ. قالوا: أيكفرنَ بالله؟ قال: يكفرنَ العشير، ويكفرنَ الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهنّ الدهر، ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط».

يقول الله تعالى: ﴿**وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال**﴾. الرعد ١٤. عن ابن عبّاس في تفسيرها بتفسير القرطبي يقول: «أي أصوات الكافرين محجوبة عن الله فلا يسمع دعاءهم» انتهى. دعاء وصلاة المرأة الناشز والفاحش والعاصية محجوبة عن الله ولا يسمع دعاءهم وبهذا ساوى الله بين الكفر ومعصية الزوجة لزوجها وتعامل سبحانه مع الحالتين بمنع وصول الاستغفار إليه. وساوى سبحانه في العقاب والتهديد به. فجعل المرأة العاصية حطباً لجهنّم تماماً كما جعل الكافر وقوداً لجهنّم.

عن عبد الحميد قال: حدّثني شهر قال: سمعت أسماء بنت يزيد الأنصاريّة تحدّث أنّ رسول الله ﷺ مرّ في المسجد يوماً وعصبة من النساء قعود فألوى بيده إليهنّ بالسلام وقال: «إياكنّ وكفر المنعمين إيّاكنّ وكفر المنعمين. قالت إحداهنّ يا رسول الله أعوذ بالله يا نبي الله من كفران نِعَم الله قال: «بلى إنّ إحداكنّ تطول أيمتها ويطول تعنّسها ثم يزوّجها الله تعالى البَعل، ويفيدها الولد وقرّة العين، ثم تغضب الغضبة فتقسم بالله ما رأيت منه ساعةً خيراً قط فذلك

من كفران المنعمين». أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في المسند.

عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «المرأة المؤمنة كالغراب الأعصم في الغربان وإنّ النار خلقت للسفهاء، وإنّ النساء من السفهاء إلاّ صاحبة القسط والسراج». هذا في كنز العمّال ٢٦٤/٨، ونفس الحديث في مجمع الزوائد ٢٧٤/٤ فيه: «إلاّ التي أطاعت بعلها». الغراب الأعصم فيه قولان الأبيض اليدين أو الأبيض الجناحين، والقسط هو نصف صاع والمراد به في الحديث الإناء الذي توضّيء زوجها فيه، والسراج فقال بقيّة بن الوليد: هي التي تقوم على رأس زوجها بالسراج توضّئه بالماء. قد يكون عملاً شاقاً على بعض النساء وهو من الأعمال التي يصعب القيام بها على النفس إلاّ إذا وطّدت النفس أمرها على التسليم الجازم بمسؤوليّة الزواج وواجباتها تجاه زوجها في خدمته وإرضائه طاعة لأمر الله وهو أمرٌ ليس شائعاً بين النساء والعياذ بالله، ولذلك شبّه الرسول المرأة المؤمنة بالغراب النادر بين الغربان أي بين جنسها من النساء لأنّ معظمهنّ يسترخين في طاعة أزواجهنّ ويماطلن أو يُسوِّفنَ أو يقصِّرنَ في مرضاة أزواجهنّ ويكون مصيرهنّ بذلك التقصير إلى جهنّم لأنّ المسوِّفة ملعونة - عن علاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة قال: «لعن رسول الله ﷺ المسوِّفة والمفسِّلة، فأمّا المسوِّفة فالتي إذا أرادها زوجها قالت سوف وسوف والآن». المفسِّلة التي إذا أرادها زوجها قالت: إنّي حائض وليست بحائض. فالمسوِّفة التي تتباطأ عن طاعة زوجها والمفسِّلة التي تمتنع عن زوجها. التسويف من السفه أيضاً والمسوِّفة من السفهاء أهل النار. فسبحان الله كيف أكمل هذا الدين وأحكم قواعده حتّى لا يزلّ مؤمن ولا يفسق إلاّ عن بيّنة تكون حجّةً عليه يوم الناس جميعاً يحاسبون فرداً فرداً ●

الإحداد

الإحداد في الإسلام وحكمه دليل فوق كلّ دليل على عظيم حقّ الرجل على المرأة وبرهان ساطع على ما قدّره الله في خلقه من ذكرٍ وأنثى من اختصاصات ومسؤوليّات. فمهمّة الرجل في رعاية زوجه مهمّة لا تعدلها مهمّة في الحياة ولا يفوقها درجة عند الله إلاّ الجهاد في سبيله وبرّ الوالدين. ولذلك أقرّ الشرع أنّ وفاة الرجل خسارة لا تعادلها خسارة أخرى في الحياة عند الزوجة المسلمة. ولهذا كان إظهار الحزن والتقيّد بمظاهر الحزن على المصيبة التي لا تعدلها مصيبة عند الزوجة فرضاً واجباً لم يفرضه الله لأحد غير الزوج، بل حرمه في حال وفاة الأب أو الأم أو الولد أو الأخ. فمن فرض الإحداد على الزوج يتبيّن عظيم قدر الزوج عند الزوجة المسلمة وعظيم الحقّ الذي أوجبه الله عليها له في مماته فكيف في حياته. وهو يدلّ على عظيم الاحترام الذي يجب أن تظهره الزوجة لزوجها بعد ذهابه وكأنّ الله أراد به إظهار وإشهار احترام الزوجة لزوجها المتوفّى ليكون للناس برهاناً وحجّة على أنّها كانت تقدّره وتحترمه وتطيعه في حياته وهي تثبت ذلك بعد مماته ومفارقته للدنيا ولها، وبعد زوال حضوره وسلطانه المادي عليها. كأنّه مناسبة للتفاخر بين النساء ولسان حالها يقول: لا أنقصكم مجداً ولست أقلّ منكم حقّاً في الجنّة أدخلها برحمةٍ من ربّي بما أطعت في حياتي أمر زوجي وأرضيته وأكرمته في مماته بإحدادي عليه

كما أمر به الله ورسوله ﷺ.

الإحداد معناه كما جاء في تفسير القرطبي: ترك المرأة الزينة كلّها من اللباس والطيب والحليّ والكحل والخضاب بالحنّاء ما دامت في عدّتها وليس دهن المرأة رأسها بالزيت والشيرج من الطيب. وفي الإحداد قال عليه الصلاة والسلام كما جاء في البخاري ومسلم عن أمّ عطيّة: «لا تَحُدُّ امرأة على ميت فوق ثلاثٍ إلاّ على زوج أربعة أشهر وعشراً، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلاّ ثوب عصب، ولا تكتحل، ولا تمسّ طيباً إلاّ إذا طَهُرَت نُبذَةً من قسطٍ أو أظفار». الثوب المصبوغ: هو الثوب من أكثر من لون واحد. ثوب عصب: يراد به الأبيض الذي لم يأته صباغ. نبذة: الشيء اليسير. القسط والأظفار: نوعان من البخّور. وفي حديث أم حبيبة: «لا يحلّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر تحدّ فوق ثلاث إلاّ على زوج أربعة أشهر وعشراً» الحديث. لأنّ الزينة داعية إلى الأزواج وقد حرّم الله على الرجل والمرأة التحدّث في أمر الزواج مع المرأة المعتدّة ولا يجوز حتى الكلام معها بما هو رَفَثٌ وذكرى جماع أو تحريض عليه. لأنّ في الإحداد مظاهر لا بدّ منها حتى يكون إحداداً ومنها الامتناع عن الحديث في أمر الزواج أو الخطبة وإنّها فترة محرّم فيها بروز الخُطّاب إليها.

ومعنى الحديث أنّها لا تلبس الثياب المصبّغة والمعصفرة إلاّ ما كان أسود أو أبيض وتترك كلّ أنواع التطيّب والتجميل والزينة القديم منها والحديث. فكلّ صبغ كان زينة لا تمسّهُ الحادّ. وقال القاضي عبد الوهّاب: كلّ ما كان من الألوان تتزيّن به النساء لأزواجهنّ فلتمتنع عنه الحادّ. وعن مالك: لا تلبس حليّاً ولو كان حديداً. والآية الكريمة في سورة البقرة ٢٣٤ **﴿والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً يتربّصنَ بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغنَ أجلهنّ فلا جناح عليكم في ما فعلنَ في أنفسهنّ بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾**. قوله تعالى **﴿يتربّصن﴾** التربّص: التأنّي والتصبّر عن النكاح وترك الخروج عن مسكن النكاح وذلك بألاّ تفارقه ليلاً. وليس فيها ما يدلّ على

الإحداد، وإنّما قال: **﴿يتربّصن﴾** ولكنّ السنّة بيّنت جميع ذلك والأحاديث عن النبي ﷺ متظاهرة بأنّ التربّص في الوفاة إنّما هو بإحداد، وهو الامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ الجميل والطيب ونحوه. وهذا قول جمهور العلماء. وثبت أنّ النبي ﷺ قال للفُرَيعَة بنت مالك بن سنان وكان متوفّى عنها: «أمكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً. وهذا حديث ثابت أخرجه مالك عن سعيد بن اسحق عن كعب بن عجره.

عن أمّ سلمه رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تلبس المتوفّى عنها زوجها المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي، ولا تكتحل، ولا تمتشط بشيء، إلاّ بالسدر تُغلّف به رأسها» أخرجه الأربعة إلاّ الترمذي. الثياب الممشقة: ما صبغ بالمشق . مفهوم الحديث أنّ المرأة في إحدادها على زوجها إنّما منعت من المباهج في الحياة التي تختصّ فيها المرأة عادةً وما يدخل عليها السرور والفرح من لبس وتزيّن وحلي وتجمّل.

وفي الصحيحين من حديث زينب بنت أبي سلمه أنّها دخلت على أمّ حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفّي أبوها أبو سفيان فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره في اليوم الثالث فدهنت منه جارية ثم مسّت بعارضيها ثم قالت: والله ما لي بالطيب حاجة غير أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحدُّ على ميت فوق ثلاث إلاّ على زوج أربعة أشهر وعشراً». أخرجه البخاري في كتاب الجنائز: باب إحداد المرأة على غير زوجها، ومسلم: كتاب الطلاق: باب وجوب الإحداد في عدّة الوفاة. خلوق: طيب يتّخذ من الزعفران وغيره، من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة. العارض: صفحة الخدّ.

قالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفّي أخوها، فدعت بالطيب فمسّت منه ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة. غير أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت

فوق ثلاث إلاّ على زوج أربعة أشهر وعشراً».

من هذا التشريع للإحداد في الإسلام دلالة قاطعة على أنّ مكانة الزوج عند الزوجة لا تعدلها مكانة أحد عند أحد فليست هناك علاقة ثنائيّة بين أيّ اثنين يؤدّي انتهاؤها إلى ما يؤدّي إليها انتهاؤها بين الزوجين فعلاقة الزوج بزوجها أقوى بكثير وأهمّ بكثير من علاقتها بأبيها وأمّها وأخيها وأختها ومن هم أدنى منهم. فإذا مات أبوها لا تحدّ أكثر من ثلاثة أيّام وهكذا مع أمّها وأخيها وأختها. ولزوجها أن يمنعها من الخروج من بيتها لتوديع ميّتها من أمّ أو أب أو أخ أو أخت وليس لها أن تخرج من بيتها حتى في حال وفاة أيّ منهم أو بطلب أيّ منهم لرؤيتها قبل مفارقة الحياة إذا لم يسمح لها زوجها بمغادرة المنزل. فالزوج أحقّ الناس على المرأة ولا يشترك معه أحد في هذا الحق لا أب ولا أم ولا أخ ولا أخت. وليس هو أوّل والأب ثانياً والأم ثالثاً والأخ رابعاً وهكذا. فحقّ الزوج له وحده على زوجته فلا ينوب عنه أحد في الإذن لزوجته إذا منعها هو. وأحكام الإسلام في الزواج كلّها تبيّن ذلك وحكم الإحداد ووجوبه على الزوجة أوضح دليل على أنّ علاقة الزوجة بزوجها أهمّ وأقوى من علاقتها بأيّ فردٍ آخر أباً كان أو أمّاً والأصحّ أنّه لا يمكن المقارنة بين الإثنين لا من قريب ولا من بعيد. ولكن للرجل المؤمن راعي زوجته بالرحمة والمودّة أن يحفظ لزوجته مظاهر المحبّة والتراحم بينها وبين ذويها ويسمح بإشباع عواطفها من أخوةٍ وبنوّةٍ وإبقائها على صلة الرحم مع عائلتها فإنّ ذلك من حسن المعاشرة الزوجيّة ومن دواعي استمرار الصحبة الحياتيّة مع زوجه بهناء ورضى ●

العائلة... قلعة

حصّنها الله ورسوله

كتاب

الزوجة مع زوجها

الفصل الخامس

صفات نساء الجنّة

نساء عِشن الهُدى

صفات نساء الجنّة

الله الذي خلق البشر بما هم عليه من خصائص وقدرات في الحياة الدنيا ليمتحن كلٍّ واحدٍ منهم فيمَ قضى حياته واستعمل قدراته قبل أن يُميته، يعيد خلقه من جديد بخصائص وقدرات محدّدة الغاية ليس فيها قابليّة الانحراف. غاية الحياة الدنيا كان امتحان البشر في استعمال قدرتهم بينما غاية البعث هو السخاء في جزاء المؤمن والمعاقبة بتعذيب الكافر والمنافق وعاصي الله ورسوله. فغاية القدرات في إنسان الحياة الدنيا غير غاية القدرات في الحياة الآخرة، ولهذا فإنّ الحياة الأبديّة يكون فيها للفرد خصائص تشابه خصائص أهل الدنيا مثل التلذّذ بالطعام وحبّ النساء ويكون فيها للفرد خصائص لا تشابه خصائص أهل الدنيا لعدم الحاجة إليها في الحياة الأبديّة، مثل النعاس والألم والجوع والحاجة للذهاب إلى الغائط. كما يُجرِّده حين يبعثه من كافة العواطف والرغبات التي كان الشيطان يتحكّم بها مثل حبّ المال، سوء الخلق، الحقد، الخوف، الطمع، الحسد وما شاكل.

صفات إنسان الأرض هي التي تصبغه في الدنيا وتصبغ أعماله وهي بالتالي التي تؤدّي به في الآخرة إلى الجنّة أو الجحيم. فإذا كانت صفة الإنسان أنّه ظالم لغيره في الدنيا فهو في الظلمات في الحياة الآخرة لأنّ الرسول ﷺ يقول: «الظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة». وإذا كان من صفاته اغتصاب أموال المسلمين بالحيلة أو

الغشّ أو السطوة فهو من أهل النار لأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «مَن اقتطع حقَّ امريءٍ مسلم بيمينه فقد أوجبَ الله لهُ النارَ، وحرَّم عليه الجنّة». ومن كان ممّن يستبيح الدماء لغير الأسباب التي حدّدها الشرع ويقتل لأسباب يعتقد هو أنّها عادلة، حاكماً كان أو من عامة الناس، فهو قاتلٌ خالدٌ في النار لقول الله تعالى: **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّمُ خالداً فيها وغضبَ اللهُ عليه ولَعَنَهُ وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾** [٩٣ النساء]. ومن عقَّ والديه والعقوق في الشرع هو تخلّي الأولاد عن والديهم في حالة الضعف والشيخوخة والعجز أو العصيان أو التطاول باللسان وعلوّ الصوت وجارح اللفظ وبذيئه والمجادلة المضنية والمقاضاة القضائيّة هو العقوق الذي يستحقُّ النار ويمنع الجنّة لأنّ في الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنّ الرسول ﷺ بعد أن تحدّث عن ريح الجنّة قال: «واللهِ لا يجدُ ريحَها عاقٌ ولا قاطعُ رَحِم».

وهكذا أمثلة كثيرة عمن يستحقُّ النار وكلّهم بأعمال أدّوها في الدنيا وصفات اتّصفوا بها بين الناس أو حفظتها الملائكة عنهم إن كانت سرّيّة خاصة بهم. فالمرء يُعرف بما هو عليه في الدنيا إن كان من أهل الجنّة أو أهل النار. فإذا عمل بعمل أهل الجنّة في الأرض كان برحمة الله من الداخلين إلى الجنّة، وإن عمل بعمل أهل النار في الأرض كان من الداخلين إلى الجحيم في الآخرة. وحيث إنّ موضوع البحث في صفات النساء اللواتي يكنَّ من أهل الجنّة فإنّ التعرّف إلى صفات النساء من البشر والحوريّات العينِ في الجنّة يساعد كلّ امرأة تتلمّس مصيرها في الآخرة إذا كانت من نساء أهل الجنّة. وبمقارنة صفاتها تستطيع إحداث التغيير اللازم في تصرّفاتها لتتّصفَ بالصفات التي تضمن برحمة ربّها الحياة الأبديّة بالجنّة.

الحقيقة الأولى في هذا البحث أنّ المرأة التي تتزوّج في الدنيا من رجلٍ واحدٍ تدخل الجنّة إذا افترقت عنه بموتها أو موته وزوجها عنها راضٍ، فلا تدخلُ الجنّة ناشز أو متفحّشة وقد سبق بحث هذا.

الحقيقة الثانية أنّ المرأة المتزوّجة إذا دخلت الجنّة فإنّها تلتحق بزوجها وليس لها الخيرة في استبداله. أمّا إذا كانت متزوّجة بأكثر من رجل فلها أن تختار أفضلهم معاملةً لها في الدنيا. فقد روى الطبراني عن سيّدتنا أمّ المؤمنين أمُّ سَلَمَة زوج النبي ﷺ ما يلي: قالت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزَّ وجلّ **﴿فيهنّ خيراتٌ حسان﴾** [٧٠ الرحمن] قال: «خيّراتُ الأخلاقِ حسانُ الوجوه»، قالت: فأخبرني عن معنى قول الله سبحانه تعالى: **﴿وعندهم قاصرات الطرف عينٌ، كأنهنّ بيضٌ مكنون﴾** [٤٨و٤٩ الصافّات] قال: «رقّتُهُنّ كرقّةِ الجلدِ الذي في داخل البيضةِ ممّا يلي القشرَ»، قالت: يا رسولَ الله.. أنِساءُ الدنيا أفضل أم الحورُ العينُ؟ قال: «نساءُ الدنيا أفضلُ من الحورِ العينِ كفضلِ الظِّهارَةِ على البِطانَةِ»، قالت: يا رسول الله: وبمَ هذا؟ قال: «بصلاتِهِنَّ وصيامِهِنَّ وعبادتِهِنَّ الله عزَّ وجلَّ، ألبسَ الله سبحانه وتعالى وجوهَهُنَّ النورَ، وأجسادَهُنَّ الحرير، بيضُ الألوانِ، خُضْرُ الثيابِ، صُفرُ الحُلِيِّ، مجاجِرُهُنَّ الدُّرُّ، وأمشاطُهُنَّ الذَّهَبُ، وهنَّ يرفَعنَ بأصواتٍ لم تسمع الخلائقُ بِمثلِها، يقلن: ... ألا ونحنُ الخالداتُ فلا نموتُ، ألا ونحنُ الناعماتُ فلا نبأسُ أبداً، ألا ونحن المقيماتُ فلا نَظعَنُ أبداً، ألا ونحنُ الراضياتُ فلا نسخطُ أبداً، طوبى لمن كنّا له وكان لنا». قالت المرأة منّا قد تتزوّج أكثر من زوج واحدٍ في الدنيا، ثمّ تموتُ وتدخلُ الجنّة، فمن يكونُ زوجُها في الجنّةِ ممّن تزوّجتهُم في الدنيا؟ قال: «يا أمَّ سَلَمَة، إنها تُخيَّرُ فتختارُ أحسَنَهُم خُلقاً، فتقولُ: أي ربّي إنّ هذا كان أحسَنَهُم معي خُلُقاً في دارِ الدنيا فزوِّجنيه. يا أمَّ سَلَمَة، لقد ذَهَبَ حُسنُ الخُلُقِ بخيرِ الدنيا والآخرة».

مفهوم سؤال أمّ المؤمنين أمُّ سَلَمة عن مصير التي تزوّجت بأكثر من رجل في الدنيا وجواب الرسول ﷺ يدلُّ أنّ التي لا تتزوّج غير رجلٍ واحدٍ في الدنيا وتتوفّى وهو عنها راضٍ يبعثها الله من أهل الجنّة أيضاً زوجةً له. فكما على الأرض تحتاج المرأة إلى قيّم عليها كذلك في الجنّة الرجال قوّامون على النساء. وهذا دليلٌ آخر يضاف إلى الأدلّة السابقة التي وردت في هذا البحث أنّ الزوجة

الصالحة في الدنيا هي الزوجة في الجنّة إلى جانب زوجات الرجل الكثيرات من الحور والعين. وهو يدلّ أيضاً أنّ شعور الغيرة والحسد والضغينة منزوع من قلوب أهل الجنّة نساءً ورجالاً، لأنّه إن كان غناءهنّ في استقبال أزواجهنّ فيه «ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً» فهذا يعني نزع الغلّ كلّيّة من صدور أهل الجنّة. الغلّ من العواطف التي ابتلى الله بها عباده أهل الأرض ليمتحنهم بها وليس في الجنّة ابتلاء فلا حاجة له. مصداق ذلك قول الله تعالى: **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ تجري من تحتهم الأنهار﴾** [٤٣ الأعراف]. فجميع أهل الجنّة يعيشون إخواناً دون تنافر أو تنابذ أو تنافس أو تكابر وهم جميعهم متحابّون متوادّون الواحد أرحم بالآخر من تراحم الأب وابنه وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سررٍ متقابلين﴾**[٤٧ الحجر]. ويقول: **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً﴾**[٩٦ مريم].

الزوجة في الجنّة تصدح بصوتها فتقول: «أنا الناعمة فلا أبأس أبداً» أي الرقيقة التي لا تؤذي فلا تُردُّ لها الأذيّة وعلى ذلك فهي لا تحزن فيسبّب حزنها كآبة للآخرين أي لزوجها ولمن يراها من نساء زوجها. فهي تعاهد أن لا تكون مصدراً لأيّ إزعاج لأيّ كائن وخاصة لزوجها لأنّها تقول هذا كلّما استقبلت زوجها وكلّما عاد إليها في الجنّة.

والناعمة تأتي بمعنى المتنعّمة، أي أنّني كثيرة النعم، أو أُسبغَ عليّ الكثير من النعم فتنادي بافتخار أنّها الناعمة أي المحظيّة. ولما كان هذا الجهر بالتفاخر حين وصول زوجها إلى قصرها فإنّ ذلك يدلّ على أنّ تفاخرها بعظيم النِعَم عليها أنّ أساس تلك النعم كلّها هو زوجها وليس أيّ شيء آخر. والدليلُ أنَّ زوجها هو عُصبةُ النعم كلّها عليها في الجنّة عهدها اللاحق بقولها: (أنا الناعمة) فلا أبأس أبداً. أي لا أشقى أبداً وأنت تعود إليّ ولأنّي لا أشقى فإنّي أعدك بإسعادك كلّما رجعتَ إليّ. (أنا الناعمة فلا أبأس أبداً). مفهوم واضح أنّني أنا الراضية

القانعة بقسمة ربّي ولا أطمع بأكثر فيكون طمعي سبباً في تعكير جوٍّ حياتي واضطراب علاقتي بمن حولي. فهي تُطمئن زوجها حين يصل عائداً إليها وهي تعلم أنّه كان عند غيرها، أنّها لا تكنُّ غيرةً ولا ضغينة لفراقه لها وتدعوه للدخول إليها باطمئنان واستبشار فهي تُطمئنه عن حالها ليدخل عليها دون التوهُّم من اللحظة الأولى أو التخوُّف من ردّة فعلها. والله أعلم.

«ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً»، عهدٌ آخر من نسوة أهل الجنّة لأزواجهنّ أن لا يفارقنَ أو يبرحنَ مكانهنّ حين غياب أزواجهنّ بل يبقين في بيوتهنّ ينتظرنَ عودة أزواجهنّ مهما طال الزمن. الزمن هناك لا يعدُّ بسنين أهل الأرض فهناك خلود والزمن من غير نوع كما أنّ النور من غير نوع، وقد يمتدُّ غياب الرجل بحسابنا مئات وآلاف السِّنين ومع هذا فعهدُ الزوجة الدائم والمتجدّد أنّها لا تظعنُ أبداً أي لا تفارق ولا تبارح. وهذا يدلُّ أنّها لا تبارح إلاّ بإذن زوجها ولو غاب ما غاب من تعداد السنين التي نفهمها. وهو يدلُّ على الطاعة المطلقة للزوج في الجنّة، فللرجل قد تكون زوجةٌ واحدة من أهل الأرض، وقد لا تكون له زوجة من نساء أهل الأرض ولكن له آلاف من الزوجات. عن عبد الله بنِ الأوفى أنّ رسول الله ﷺ، قال: «إنّ الرجل من أهل الجنّة ليُزوَّجُ خمسمائةِ حوراء، وأربعةَ آلافِ بكرٍ، وثمانية آلافِ ثيِّبٍ، يعانقُ كلَّ واحدةٍ مِنهُنَّ مقدارَ عمره في الدنيا». فالغلّ والغيرة والمعصية منزوعة من صدور نساء أهل الأرض في الجنّة ومن النساء اللاتي خُلقنَ للجنّة. وتجديد العهد للزوج عند كلِّ إياب أنّنا لا نغادر مكاننا بانتظارك إلاّ بإذنك دليل على عظيم شأن هذه الطاعة في الجنّة. تماماً كما جعلها الله في الأرض فرضاً من أهمّ الفروض على الزوجة ومخالفةً من أشدِّ المعاصي وأكبرها التي تقوم بها المرأة المتزوّجة تستحقُّ عليها لعنة كلِّ ملك في السماء وكل معدن ونبات ومخلوق وجماد غير الإنس والجنّ.

يبدأ شدوها بالقول «نحن الخالدات فلا نموت» فيه التذكير بنعمة الله عليها أنّها خالدة بالحياة في الجنّة وخالدة بالجمال والحسن الذي عليها لأنّ في الجنّة لا شيء

يبلى والحسن والجمال لا يذبل. وكأنّها تذكّر أنّ نعمة الله عليها خلود الحسن والجمال عليها لا خلودها الشخصي وكفى. والتذكير بخلود حسنها وجمالها هو لتذكير زوجها بدوام حالها وطيبها، وفيه تودُّدٌ وتحبُّب وتذكير بما يمكن أن يسرّه ويلذّه منها. كلُّ هذا التذكير ووصف ما فيها على لسانها يجري برقّةٍ وحياء وءيحاء وءيماء لأنّ التصريح يجرح الكرامة ويكون فيه تبذّل والله جعل أهل الجنّة أكرم مخلوقاته فأبى عليهم ما يخدش كرامتهم. فلله الحمد حتى يرضى.

كلّما خرج الرجل من قصره أو قصوره في الجنّة وعاد إليها تجري بينه وبين زوجه المجاملة التالية. روى البيهقي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ في الجنّةِ لسوقاً كثبانَ مِسكٍ يخرجون إليها ويجتمعون إليها، فيبعثُ اللهُ عزَّ وجلَّ ريحاً فيدخِلُها بيوتَهم، فيقولُ لهم أهلوهُم إذا رجَعوا إليهم: قد ازدَدتُم حسناً بعدنا! فيقولون لأهلِهِم: قد ازددتُم أنتنَّ أيضاً حُسناً بعدنا».

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: «يقولُ أهلُ الجنّةِ: انطلقوا إلى السوقِ، فينطلقونَ إلى كثبانِ المِسكِ، فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا: إنّا لنجد لَكُنَّ ريحاً ما كانت لَكُنَّ! فيقلنَ: ولقد رَجَعتُم بريحٍ ما كانت لكم إذ خرجتُم من عندنا».

الحديثان يدلّان أنّ الأزواج في الجنّة يتجاملون ويتمادحون ويتسابقون على ذلك. في الحديث الأوّل الزوجة تسبق زوجها بإطرائه على بهيٍّ طلعته التي يعودُ بها إليها وكثير الحسن الذي أُضفيَ عليه في أثناء خروجه. وكأنّها تقول له: لقد اشتقت إليك إلى درجة أنّي أراك أجمل بكثير ممّا كنتُ أتخيّلك. فالجمال لا يُرى بمقياس العين ولكن يُرى بمقياس الحبّ والرضى. فهذا الإطراء ليس تعبيراً أنّ الرجل يخرج جميلاً ويعود أجمل، بل تعبير ووصف دقيق لنفسيّة الزوجة والزوج في الجنّة، فهما يزدادان حبّاً لبعضهما والزوجة تزداد تعلّقاً بزوجها بعد كلّ مغادرة له ويزداد إكباره في نفسها. وفي الحديث أيضاً تواضعٌ بكلّ رقّة واستحياء من الزوجة فهي تقول: «قد ازدَدتُم حسناً بعدنا». ولا تقف عند ازددتم حسناً

ليكون إطراءً فقط بل تُضيف: «بعدنا». وفي هذا لعمري عذوبة في التواضع. فهي تقول أنّ بُعدك عنّا يزيدك حسناً، وكأنّه عتاب في غاية الرقّة لغيابه عنها وهو تساؤل ضمني: ألسنا جديرين بك؟ ألأنّك أجمل منّا؟ إذا تركتمونا تجدون خيراً منّا؟ أترى أنّ الله أنعم عليك فلا نصلح لك وأنت بهذه الحال؟ فيسارع زوجها يُطمئنها إلى أنّها أيضاً ازدادت حسناً بعده أي أنّها ما زالت حبيبته وزوجه وإلى أنّه مشتاق إليها وكأنّه بَعُدَ عنها دهراً. وأن حبّه لم يفتر بل ازداد ولهذا يراها أجمل ممّا كانت. ويجاريها في تواضعها ويفاخرها بإطرائها بما أطرته.

في الحديث الثاني يبادر الزوج زوجه بالإطراء وبإبداء الشوق، فالحياة تجري طبيعيّة يسودها الودُّ والتوادد والتحابب وهو يدلُّ أنّ المعاشرة الزوجيّة في الجنّة تجري بجميع أحكام الإسلام التي فرضها الله على عباده في الأرض. وأنّ أيّ زوجين مسلمين يتقيّدان بحكم الله في تنظيم حياة الزواج يسعدان وينعمان بحياة تكون أقرب ما يمكن إلى حياة الأزواج في الجنّة. مع الوعي الدائم إلى اختلاف خصائص أهل الأرض عن خصائص الذين يُبعثون للدخول إلى الجنّة.

يقول الله تعالى: **﴿يومَ نحشرُ المتّقين إلى الرحمن وفداً ☆ ونسوقُ المجرمين إلى جهنّمَ ورداً☆ لا يملكونَ الشفاعةَ إلاّ من اتّخذ عند الرحمن عهداً﴾** [٨٥ / ٨٧ مريم].

سأل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الرسول ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال علي: يا رسول الله، ما الوفد إلاّ ركب؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنّهم إذا خرجوا من قبورِهِم استُقبِلوا بنوقٍ بيضٍ لها أجنحةٌ عليها رِحالُ الذهب، شوكُ نِعالِهِم نورٌ يتلألأُ كلُّ خطوةٍ مثلُ مدِّ البَصَر، وينتهون إلى بابِ الجنّةِ، فإذا حلقةٌ من ياقوتةٍ حمراءَ على صفائحِ الذهب، وإذا شجرةٌ على بابِ الجنّةِ ينبعُ من أصلها عينان، فإذا شربوا من أحَدِهما جَرَت في وجوهِهِم بنضرةِ النعيم، وإذا توضّؤوا من الأخرى لم تَشعَث أشعارُهُم أبداً، فيضربونَ الحلَقَةَ بالصفيحةِ، فيبلُغ كلَّ حوراءَ أنّ زوجَها قد أقبَلَ، فتستخفُّها العجلةُ فتبعثُ قيّمَها، فيفتحُ لهُ الباب

فيقول: أنا قيّمك الذي وُكّلتُ بأمرك. فيتبَعَهُ فيقفو أثَرَهُ فيأتي زوجتَهُ فتستخفُّها العَجَلَةُ فتخرجُ فتُعانقُهُ وتقول: أنتَ حبّي، وأنا حبُّك، وأنا الراضية فلا أسخطُ أبداً، وأنا الناعمةُ فلا أبأسُ أبداً، وأنا الخالدةُ فلا أظعنُ أبداً».

إنّ الله ينزع الغلّ من صدور أهل الجنّة عندما يُعيد خلقهم فهم لا يتخلّون عن الغلّ طواعيةً باختيارهم. بينما أهل الأرض يورثهم الله الغلّ بطبيعتهم ويسلّط عليهم الشيطان لإثارتها ويفرض الله على البشر محاربة الشيطان بكبتهم نار الغلّ التي يوقدها. وهذه المحاربة للشيطان هي التي تحدّد درجة الإيمان في الدنيا ودرجة الجنّة في الحياة الآخرة. وإنّنا نخصُّ بهذا البحث «الزوجة» حتّى تفوز بالجنّة ولو بعملٍ تعمله بآخر يوم من حياتها، أي ولو تابت قبل موتها بيومٍ واحد.

صفات الزوجة في الجنّة هي التي يجب أن تكون صفات الزوجة في الأرض. والتعرُّف إلى صفاتِ وفعالِ الزوجة في الجنّة ودرسها بعمقٍ لتعلّمها وممارستها هو عمل الزوجة الأرضيّة الأساسي ورسالتها الوحيدة في الحياة. وإذا نجحت كزوجة أرضيّة فإنّها حتماً ستكون من أهل الجنّة وزوجة فيها دائمة السعادة إن شاء الله. مقارنة أعمال أهل الجنّة والتعرّف إلى صفاتهم يؤدّي بنا للتعرُّف إلى الخصائص المنزوعة منهم وهي الخصائص التي تؤدّي إلى أعمال تُسعد الشيطان حين نقوم بها هي التي يجب تحاشيها والابتعاد عنها لأنّها هي المحرّمة.

إنّ الزوجة في الجنّة عندما تستقبل زوجها «تستخفُّها العجلة» أي ترتبك من الفرح وتحتار في تخيّر حسن ألفاظ الاستقبال فتقول ما معناه: أنت لي وأنا لك، وأنا السعيدة الهانئة برضاك عنّي والراضية بكلّ صفاتك وتصرّفاتك لا يزعجني منك شيء، وأنا المحظوظة بقربك، وأنا التي تنتظرك أبداً أبداً دون أن تفارق مكانها.

لعلّ نساء الأرض لا يستطعنَ التلفّظَ بهذه العبارات لما عندهُنّ من عقدٍ نفسيّة ومحاذير وتخوّفات وتحسّبات يوحي بها الشيطان. ولعلّ الغرور يمنعهنّ من

الهرولة لاستقبال أزواجهنّ حين يرجعون إليهنّ. نساء أهل الجنّة متحرّرات من كلّ هذه العقد والاعتبارات. تهرع لاستقبال زوجها وتعلن فرحها بعودته وتنشد أحلى الكلمات للترحيب به. الله سبحانه فرض على نساء الأرض أن يتحرّرن من جميع العقد والتخوّفات والتحسُّبات مع أزواجهنّ وأن ينطلقنَ دون تردُّد للعيش في نعيم التحبّب والطاعة لأزواجهنّ. وأمر أن يكون ذلك فعل اختيار لا فعل إكراه. أي أن على المرأة أن تنقاد لحكم الله في طاعة زوجها لا أن تُكره عليه وجعل أجر ذلك الجنة. وإذا رفضت اختيار الطاعة فجهنّم لها. فهل يدلُّ هذا أنّ الله سبحانه وتعالى أمر النساء بطاعة أزواجهنّ في الأرض تدريباً لهنّ للعيش في الجنّة حتى تصفّي المرأة نفسها من شوائب المعصية فتطهرها لتصبح قبل أن تموت بطهارة أهل الجنة! الله أعلم. الثابت الواضح أنّ الطاعة مفروضة في الدنيا وهي جزء من طبيعة الخلق في الآخرة. وجميع أوامر الله المتعلّقة بالتحريم والفرض إذا درسناها بمقارنتها مع ما أعلمنا به القرآن والرسول ﷺ عن صفات أهل الجنة، نجد أن كل فعل محرّم في الدنيا محرّم في الآخرة وكل مفروض في الدنيا هو طبيعة أهل الجنة إلاّ ما حُرّم لاختصاص أهل الجنة به أو لتعلّقه بالواقع الظرفي للحياة في الأرض وانتفاء ذلك الظرف في الآخرة. وما ينطبق على أهل الجنة وصفاتهم ينطبق على أهل النار وفعالهم في الدنيا.

ولا شك أنّ أقرب الناس إلى دخول الجنة برحمة ربهم هم الذين يتخلّقون في الدنيا بصفات أهل الجنة. فإذا كان من صفات المسلم بالحياة أنه من البخلاء مثلاً فمن الصعب دخوله الجنة لأن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: «لا يجاورني فيك بخيل» ويقول في القرآن الكريم: **﴿ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هُمُ المفلحون﴾**. [٩ الحشر]. ومن كان في الدنيا يشرب الخمر أو يتعامل بالربا أو يغش في بيعه أو يكذب في حديثه أو يوقع بين الناس أو يؤذي جاره أو امرأة تحدّث عن زوجها بالسوء أو تعصيه في السر والعلن أو تُدخِل بيته بدون إذنه أو تخرج دون إذنه، ولا ترحب به حين دخوله البيت ولا تسعى لإرضائه ولا تطيعه

في أمره أو تمتنع عنه في الفراش وتقبل بالنوم وهو عنها غضبان ولا تطيعه إذا أمرها ولا تكلمه بما يحب، فهذه كلها أعمال وصفات يصعب جداً أن يدخل صاحبها الجنة لأنها كلها أعمال محرّمة في الدنيا ممنوعة في الآخرة. وهي تناقض طبيعة الحياة في الجنة وخصائص أهل الجنة. فأعمال كهذه لا يدخل الجنة من مات عليها إلاّ أن يقبل الله توبته عنها قبل الموت أو ينقذه الله من جهنم بما وسعت رحمته كل شيء. والإنسان فرض الله عليه العمل ليستحق الجنة فأمره بفروض وحرّم عليه محارم فمن ترك الفروض وأباح المحارم في الدنيا، فالله يذكره تكراراً أنه شديد العقاب.

في محاولة لتبسيط الأمر على المرأة المسلمة التي ترغب بالوصول إلى الجنة بطاعة زوجها، وتسهيلاً للفهم على المرأة المسلمة التي عزمت وقرّرت العمل بعمل نساء الجنة حتى تصبح منهنّ بعد القيام من القبور، ولذلك فهي تطلب التوضيح المبسّط لتعمل به بعد أن اقتنعت بكل الحيثيات والمبرّرات والأدلة الشرعية التي مرّ بحثها، نقول:

— إنّ المرأة في الجنة تبادر الترحيب بزوجها كلما عاد إليها دون عتاب أو إظهار التململ من غيابه والعتب عليه بل بإظهار الشوق له والرضى برجوعه.
— لا تفارق المرأة في الجنة المكان الذي يتركها فيه زوجها والحال الذي تركها عليه ولا بحث هناك في المدة والظروف.
— كلما عاد الرجل إلى امرأته بالجنة تراه بعين الحب والود أجمل مما ذهب به من حسن.
— المرأة في الجنة دائمة الرضى والسعادة بزوجها فلا شكوى ولا مظلمة تبدر عنها منه.
— عمل المرأة الوحيد في الجنة إسعاد زوجها وأن تكون مصدر سعادة وحبور له وهي دائمة التهيؤ له بأجلى وأحسن مظهر ونفس مفعمة بالأمل برفقته ومعاشرته.
— تحرص المرأة في الجنة على الإعتراف بقدر زوجها وإطرائه.
— الله ينزع من خلقه في الجنة الغلّ والحسد والكذب والغيبة والنميمة والمكر والخداع والمراوغة والطمع والشؤم والبؤس والعبوس والقنوط وكل ما يأمر به الشيطان.
— المرأة في الجنة: ثيّباً، بكراً وحوراء تقنع بزوجها قناعة أبدية وترضى به ولياً أبدياً وتلتزم كل واجبات الزوجة المطيعة التزاماً أبدياً.
— المرأة في الجنة دائمة الإستحياء والتواضع في حضرة زوجها.
— المرأة في الجنة إذا تكلمت ففي خفر ودلال وخجل لأن الله نزع الوقاحة من نساء الجنة ●

حديث شريف

عن أبي ورد بن ثمامة قال: قال علي رضي الله عنه لابن أعبد: ألا أحدّثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكنت من أحبّ أهله إليه؟ قلت: بلى. قال: إنّها جرّت بالرحى حتّى أثّرت في يدها، واستقت بالقربة حتّى أثّرت في نحرها، وكنّست البيت حتّى أغبرت ثيابها، فأتى النبي ﷺ بخدم، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً، فأتته فوجدت عنده أحداثا، فرجعت، فأتاها من الغد فقال: ما كانت حاجتك؟ فسكتت. فقلت: أنا أحدّثك يا رسول الله، إنّها جرّت بالرحى حتّى أثّرت في يدها، وحملت بالقربة حتّى أثّرت في نحرها، فلمّا أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك تستخدمك خادماً يقيها حرّ ما هي فيه، فقال: «إتّقي الله يا فاطمة، وأدّي فريضة ربّك، واعملي عمل أهلك، وإذا أخذت مضجعك: فسبّحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبّري أربعاً وثلاثين، فذلك مائة، هي خير لك من خادم». فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله. ولم يخدمها خادم■

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال:

«ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «كلّ ودود ولود، إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتّى ترضى»■

نساءٌ عِشنَ الهُدى

سرد قصص من حياة البشر عِبَرٌ لمن يريد أن يستهدي بوقائع وأحداث واقعية. وليس خير من التعرف على نمطِ عيش إخوان وأخوات سبقونا في حياة قضوها في التقيّد بالحكم الذي أمر به الله ورسوله نستهدي. فكانت حياتهم حياة تفاخر على الشيطان وإذلال له ولزبانيته بطاعتهم المطلقة لله ولرسوله. المؤمنون يقضون حياتهم بعزّةٍ وطمأنينة لا يدركها الإنسان بالقول أو بالوصف ولكن بمقدار حياة الطاعة وشرف العبودية العقائدية والتصديق الجازم لحكم الله ورسوله. يمتازون على العباد كلهم في الحياة الدنيا بتجسيد الإيمان في قولهم وفعلهم، ويتفاخرون على العباد كلهم يوم القيامة بما امتازوا فيه في الحياة الأولى.

بعض الصور القليلة جدّاً من حياة المؤمنين نوردها لتقريب واقع الحياة التي فرضها الله ورسوله علينا حتى لا يبقى في ذهن إنسان مسلم وهمٌ أن الحياة التي أمرنا بها الإسلام هي حياة مثالية يصعب العيش بها فنتحوّل فوراً عن مسلمين بلا إيمان إلى مؤمنين فنأمن ونهنأ بأمان الله ويُنزَعُ من قلوبنا الفزع من يوم الحساب بتنزيل السكينة على قلوبنا في الحياة الآخرة من الله تعالى كما وعدنا الله الجبار المتعالي بقوله في قرآنه: **﴿من جاء بالحسنة فلهُ خيرٌ منها وهم من فزعٍ يومئذٍ آمنون﴾** ونتحرّر من المعصية التي تكبُّ العصاة على وجوههم في النارِ بقوله سبحانه في قرآنه: **﴿ومن جاء بالسيئة فكُبّت وجوههم في النار﴾**. ونتذكّر قبل كل عمل قول الخالق العادل في قرآنه: **﴿هل تجزون إلاّ ما كنتم تعملون﴾**. [٨٩ / ٩٠ النمل].

ثقةُ بنيَّةٍ بالخالق

إختار[1] بعض الأمراء بنات حاتم الأصمّ فطلب ماءً فسُقي فرمى إليهم شيئاً من المال فوافقه أصحابه فبكت بنيَّة صغيرة لحاتم فقالوا: ما يُبكيكِ قالت: مخلوقٌ نظر إلينا فاستغنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى!.

المؤمنةُ تحضُّ المؤمنَ

تزوّج رباح القيس امرأةً فنام أوّل الليل ليختبرها فقامت ربع الليل ثمّ نادته قم يا رباح فقال: أقوم. فقامت الربعَ الآخر ثمّ نادتهُ: قُم يا رباح فقال: أقوم. فقامت الربع الآخر وقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم ليت شعري مَن غرَّني بكَ يا رباح؟

وعمرة امرأة حبيب كانت توقظه بالليل وتقول: قم يا رجل فقد ذهب الليل وبين يديك طريقٌ بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين، قد سارت قدّامنا، ونحن قد بقينا.

الأمُّ وجهادُ أبنائها

لمّا اجتمع الناس بالقادسيَّة دعت خنساء بنت عمر النخعيّة[2] بنيها الأربعة فقالت: يا بنيّ إنّكم أسْلمتم طائعين وهاجرتم وما بنت بكم الدار ولا أقحمتكم السنة ولا أراد لكم الطمع والله الذي لا إله إلاّ هو إنّكم لبنو رجلٍ واحد كما أنّكم بنو امرأةٍ واحدةٍ، ما خنتُ أباكم ولا فضحتُ خالكم ولا غيّرتُ نسبكم ولا

(1) بمعنى أراد أن يمتحن

(2) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من مصر، أشهر شعراء العرب من نجد، أدركت الإسلام ووفدت على النبي (صلعم) مع قومها بني سليم فكانت تنشده الشعر.

وطأت حريمكم ولا أبحتُ حماكم، فإذا كان غداً فاغدوا لقتال عدوِّكم مستنصرين الله مستبصرين. فغدوا وقاتلوا، وكانوا إذا جاؤوا بأعطيتهم يضعونها في حُجرها فتقسم ذلك بينهم حفنة حفنة فما يفاء واحدٌ من عطائه درهماً.

امرأةٌ تخشى ربّها بالغيب

عن عبد الله زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال: بينما أنا مع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وهو يعس[1] المدينة إذ أعيا فاتّكأ على جانب جدار في جوف الليل فإذا امرأةٌ تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن (الحليب) فامذقيه (اخلطيه) بالماء. فقالت: يا أمَّتاه وما علمتِ ما كان من عزمة (عمر) أمير المؤمنين اليوم. قالت: وما كان من عزمته يا بنيَّة؟ قالت: إنّه أمر منادياً فنادى ألا يَشاب (يُخلط أو يُغشّ) اللبن بالماء فقالت لها يا بنيَّة قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنّك في موضع لا يراك عمر فقالت الصبيَّة لأمّها: ما كنتُ لأطيعهُ في الملأ وأعصيه في الخلاء. فَقال عمر: يا أسلم علّم الباب واعرف الموضع ثمّ مضى في عشيَّته فلمّا أصبح قال: يا أسلم إمضِ إلى الموضع فانظر مَن القائلة ومَن المقول لها وهل من بعلٍ قال: فأتيتُ الموضع فنظرتُ فإذا الجارية (البنت) أيم وإنّ تلك أمُّها وإذا ليس لهم رجل فأتيتُ عمرَ فأخبرتُهُ فدعا ولدَهُ فجمعهم قال: هل فيكم مَن يحتاج إلى امرأة أزوِّجهُ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقهُ منكم أحد إلى هذه الجارية فقال عبدُ الله: لي زوجة وقال عبدُ الرحمن لي زوجة وقال عاصم[2]: لا زوجة لي فزوِّجني. فبعثَ إلى الجارية فزوَّجها من عاصم فولدت لعاصم بنتاً وولدت البنت عمرَ بن عبدِ العزيز.

(1) يعسّ: يحرس، يجوب الطرقات ليلاً وهو عمل الشرطة أو العسس.

(2) عاصم كان شاعراً وكان من أحسن الناس خلقاً، وكان طويلاً جسيماً وهو جدُّ عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الراشد الخامس لأمّه مات بالربذة.

إثرةُ المؤمنين

بلغنا عن عبدِ الله ابن أخت مِسلم بن سمعدان أنّه قال: أردتُ الحجَّ فدفع إليَّ خالي عشرةَ آلافِ درهم وقال لي: إذا قدمتَ المدينة فانظر أفقر أهل بيت في المدينة فاعطهم إيّاها. فلمّا دخلتُ سألتُ عن أفقر أهلِ بيتٍ في المدينةِ فدللتُ على أهل بيتٍ فطرقتُ البابَ فأجابتني امرأةٌ: مَن أنتَ؟ قلتُ: رجلٌ من أهل بغداد أودعتُ عشرةَ آلاف درهم وأُمرتُ أن أسلِّمها إلى أفقر أهل بيتٍ بالمدينة وقد وُصفتم لي فخذوها فقالت: يا عبد الله إنّ صاحبكَ اشترطَ أفقر أهل بيتٍ وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منّا. فتركتهم وأتيت أولئك فطرقتُ الباب فأجابتني امرأة فقلت لها ما الذي قلتُ لتلك المرأة فقالت: يا عبد الله نحن وجيراننا في الفقر سواء فاقسموا بيننا وبينهم.

وصيَّة رسول الله ﷺ لابنته فاطمة

عن عمرو بن سعيد[1] قال: كان في عليٍّ شدّة على فاطمة سلام الله عليهما فقالت: والله لأشكُوَنَّكَ إلى رسول الله ﷺ فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فانطلق علي فقام حيث يسمع كلامهما فشكت غلظ عليٍّ عليها وشدَّته فقال: «يا بنيَّة استمعي واعقلي فإنّه لا امرأةَ بامرأةٍ لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت». قال علي فرجعت فقال: والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً فقالت: والله لا آتي شيئاً تكرهُهُ أبداً.

---

(١) عمرو بن سعيد بن العاص أبو أميّة المعروف بالأشدق. ولي المدينة لمعاوية ويزيد ثمّ طلب الخلافة وغلب على دمشق، ثمّ قتله عبد الملك بن مروان سنة ٦٩هـ. تهذيب التهذيب ٣٧/٨.

وصيَّةُ أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنساء

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا معشر النساء، لو تعلمنَ بحقِّ أزواجكنَّ عليكنَّ لجعلت المرأة منكنَّ تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها[1].

أمُّ الدحداح

عن أنس أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لفلان نخلة وإنّما قوام حائطي(منزلي أو سور منزلي) بها فأمره أن يعطيني حتَّى أقيم بها حائطي فقال رسول الله ﷺ: أعطِها إيّاه بنخلةٍ في الجنَّة. فأبى، فأتى أبو الدحداح[2] الرجل فقال: بعني نخلتَك بحائطي (منزلي أو بستاني)، ففعل فأتى أبو الدحداح النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي قد ابتعتُ النخلة بحائطي فاجعلها لهُ فقد أعطيتكها فقال رسول الله ﷺ: «كم من عزق[3] رداح لأبي الدحداح في الجنّة. قالها مراراً فأتى أبو الدحداح امرأته فقال: يا أمَّ الدحداح أخرجي من الحائط فقد بعته بنخلة في الجنّة فقالت: ربحَ البيع ربح البيع أو كلمة تشبهها[4].

---

(١) الترغيب والترهيب ١٢٢/٤ قال: رواه البزار بإسناد جيّد. وابن حبان في صحيحه.

(٢) ثابت بن الدحداح، استشهد يوم أحد.

(٣) عزق: غصن البلح، رداح: ثقيل لكثرة ما فيه من التمر.

(٤)الحديث رواه أحمد في المسند ٤٦/٣.

مهرُ مؤمنة

عن أنس بن مالك قال: خطب أبو طلحة[1] أمَّ سليم فقالت: ما مثلك يردُّ ولكن لا يحلُّ لي أن أتزوَّجكَ يا أبا طلحة وأنت كافر، فإن تُسلم فذلك مهري ولا أسألك غيره. فأسلم فتزوَّجها. قال ثابت فما سمعنا بمهرٍ قط كان أكرم من مهر أم سليم في الإسلام. وعن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدخل على أمِّ سليم فتبسط لهُ النطع فيقيل عندها فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها.

... وتخفِّف عن زوجِها فاجعَتهُ

وعن أنس أنّ أبا طلحة زوج أمِّ سليم كان له ابنٌ منها يُقال له حفص غلام قد ترعرع فأصبح أبو طلحة وهو صايم في بعض شغله فأقبلت أمُّ سليم على ذات بيتها فخرج الغلام يلعبُ مع الصبيان فلمّا جاء الغلام للغداة اضطجع على فراش مزمل بقطيفة فلمّا صنعت أمُّ سليم غذاء بيتها جعلت تصرخ فتناديه فلا يستجيبُ لها فلمّا رأت هذا شأنه كشفت عن وجهه فوجدتهُ قد قبض في منامه فزملته (غطّته) كهيأته وأقبلت على ذات بيتها حتّى إذا أمست جاء زوجها أبو طلحة فقرَّبت فطره فقال: إدعي لي ابني حفصاً يأكل معي قالت: إنّه قد فرغ فلمّا فرغ الشيخ من فطره دنت منه حتّى إذا أصابت ما يصيب الرجل من أهله وفرغ قالت: يا أبا طلحة أرأيتَ لو أنّ رجلاً أعارك عارية فاستمتعت بها زماناً

(1) زيد بن سهل الأسود بن حزم الأنصاري أبو طلحة المدني، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلّها وهو أحد النقباء، مات سنة ٣٤هـ. أنظر تهذيب التهذيب ٣/٤١٤.

وقرّت به عينُكَ ثمَّ بدا لهُ أن ينتزعها منكَ أكنتَ واجداً عليه في نفسكَ؟ قال: لا وأبيك إذن لقد ظلمت قالت: فإنّ ابنك حفصاً أعارك الله عزَّ وجلّ ما شاء ثمّ بدا له أن ينتزعه وهو أحقّ به، قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» ثمّ قاما فجهَّزاه حتّى فرغا منه.

إستغناء امرأة بالإسلام

عن ابن سيرين أنّ أبا بكر رضي الله عنه أتى بمال فقسمه بين الناس فبعث منه إلى امرأة من المهاجرات فلمّا أتت به قالت: ما هذا؟ قالوا: أبو بكرٍ جاءه فقسمه في الناسِ فقسم منه في نظرائك فقالت: أتخافونني أن أدع الإسلام؟ قالوا: لا فقالت: أَفَتَرَشونَني على ديني؟ قالوا: لا قالت: لا حاجة لي فيه.

الزوج أمير

عن عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني عن أبيه قال: قالت ابنة سعيد بن المسيب ما كنّا نكلِّم أزواجنا إلاّ كما تكلِّمون أمراءَكُم.

وعنه أيضاً قال: قالت امرأةُ سعيد بن المسيب: ما كنّا نكلِّم أزواجنا إلاّ كما تكلِّمون أمراءكم: أصلحك الله عافاك الله.

بهيَّة بنت أوس بن حارثة الطائي عاقلة من العرب

قال الحارث بن عوف لخارجه بن سنان أتراني أخطب إلى أحد فيردّني فقال لغلامه إرحل بنا فركبا حتّى انتهيا إلى أوس، فلمّا رأى الحارث بن عوفٍ قال مرحباً بكَ يا حارث ما جاء بكَ قال: جئتكَ خاطباً قال: لست هناك فانصرف ولم يكلّمهُ ودخل أوس على امرأته مغضباً وكانت من بني عبس فقالت: من رجلٌ وقف عليك فلم يطل؟ قال: ذاك سيّد العرب الحارث بن عوف قالت:

فمالك لم تستنفر لهُ قال: إنّه استحقَ جاءني خاطباً قالت: فإذا لم تزوّج سيّد العرب فمَن؟ قال: قد كان ذلك قالت: فتدارك ما كان منك قال: بماذا؟ قالت: أن تَلحَقهُ فتردَّهُ وتقول: إنّك لقيتني وأنا مغضب. فلحقه فقال لهُ ذلك فرجع مسروراً فقال أوس لزوجته ادعي أكبر بناتي فأتته فقال: يا بنيَّة هذا الحارث بن عوف سيِّد من سادات العرب قد جاءني خاطباً وأردت أن أزوِّجَكِ منه قالت: لا تفعل فإنّي لستُ بابنة عمّه فيرعى حقّي، وليس بجارك فيستحي منكَ، ولا آمن أن يرى منّي ما يكره فيطلِّقني، فدعا الوسطى فأجابت بمثل ذلك فدعا الصغيرة فأخبرها فقالت: لكنّي والله الجميلة الوجه الصنَّاع يداً فإن طلَّقني فلا أخلف الله عليه بخير فخرج إليه فقال: قد زوَّجتكَ بهيَّة بنت أوس، فأمر أمّها أن تهيِّئها ثمّ أمر ببيت فضرب لهُ قال خارجه: فخرج إلينا فقلنا لهُ: أفرغتَ من شأنكَ قال: لا والله قال: كيف؟ قال: لمّا مدَدتُ يدي لها قالت: مه أعندَ أهلي وإخوتي هذا والله ما لا يكون، فارتحلنَ فسرنَ ما شاء الله ثمّ عدل بها الطريق ثمّ لحقناه فقلتُ: أفرغت؟ قال: لا والله قلتُ: ولمَ قال: قالت أو كما يفعل بالأمة والسَّبية لا والله حتّى تُنحر الجزور وتُذبحَ الغنم وتدعو العرب وتعمل ما تعمل بمثلي قلتُ: إنّي والله لأرى هِمَّةً وعقلاً، فرحنا حتّى جئنا بلادنا فأحضر الإبل والغنم ثمّ دخل عليها ثمّ خرج فقلتُ: أفرغت قال: لا قلتُ: ولمَ؟ قال: دخلتُ عليها فقلتُ قد أحضرنا من المال ما تريدين فقالت: والله قد ذكرتَ لي من الشرف ما لا أراه فيكَ قلتُ كيف؟ قالت: أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتلُ بعضَها بعضاً (وذلك في أيّام حرب عبس وذبيان) قلتُ ماذا قالت: أخرج إلى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثمّ ارجع إلى أهلك فلن يفوتكَ قلتُ: والله إنّي لأرى هِمّة وعقلاً. فخرجنا حتّى أصلحنا بينهم وحملنا عنهم الديّات وكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين فانصرفنا بأجمل الذكر.

برُّ الله بالمؤمن

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أبو عليّ بن المهدي قال: أخبرني والدي قال: سمعتُ ميمونة بنت شاقون الواعظة تقول: هذا قميص له اليوم سبع وأربعون سنة، ألبسه وما تخرّق غزلته لي أمّي، وصبغته بماء السنابك (أوّل المطر) . والثوب إذا لم يُعص الله فيه لا يتخرّق سريعاً وسمعتها تقول: آذانا جارٌ لنا فصلّيتُ ركعتين وقرأت من فاتحة كلّ سورة آية حتّى ختمتُ القرآن وقلتُ أللهم اكفنا أمره ثمّ نمت ففتحت عيناي فرأيتُ النجوم مصطفَّةً فقرأتُ: **﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾** [١٣٧ البقرة]. فلمّا كان السحر قام ذلك الإنسان لينزل فزلقت قدمه فوقع فمات.

قال: وأخبرني ابنها عبد الصمد قال: كان في دارنا حائط له جوفٌ فقلتُ لها: أَمضي استدعي البنّاء فقالت: هات رقعة والدواة فناولتها فكتبت فيها شيئاً وقالت: دعهُ في ثقبٍ منهُ ففعلت فبقي الحائط نحواً من عشرين سنة فلمّا ماتت ذكرت ذلك القرطاس فقمتُ فأخذته لأقرأه فوق الحائط وإذا في الرقعة **﴿إنّ الله يُمسكُ السمواتِ والأرضَ أن تزولا﴾** [٤١ فاطر].

برُّ الزوجة بزوجها

عن محمد بن الحسين السلمي[1] قال: قال أبو محمد الحريري: كنت عند بدر المغازلي[2] وكانت امرأته باعت داراً بثلاثين ديناراً فقال لها بدر: نفرق هذه الدنانير في إخواننا، ونأكل رزق يوم بيوم، فأجابته إلى ذلك، وقالت: تزهدُ أنت ونرغبُ نحن هذا ما لا يكون.

---

(١) محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السليمي النيسابوري أبو عبد الرحمن، من علماء المتصوّفة، له أكثر من مائة مصنّف. مات بنيسابور سنة ٤١٢هـ. الأعلام ٦/٣٣٠.

(٢) أنظر، الحليه لأبي نعيم ١٠/٣٠٥

وصيَّة تقيّ لابنته يومَ زواجها

قال القرشي[1] وحدّثني محمد بن الحسين[2] قال: حدَّثنا عبد الله بن بكر السهمي[3] قال: حدّثني بشر أبو نصر أنّ أسماء بن خارجة[4] زوّج ابنته فلّما أراد أن يهديها إلى زوجها أتاها فقال: يا بنيَّة إنّ النساء أحقُّ بأدبك منّي ولا بدَّ من تأديبك كوني لزوجك أمَةً[5]، يكن لك عبداً ولا تدني منه فيملك ولا تباعدي منه فتثقلي عليه ويُثقل عليك وكوني كما قلت لأمّك:

خذي العفو منّي تستديمي مودّتي ... ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب

فإنّي رأيتُ الحبَّ في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهب

فصيح العرب يوصي ابنته

قال عبد الله بن محمد القرشي ابن أبي الدنيا: وحدّثني ابرهيم بن سعيد قال: حدَّثنا موسى بن اسماعيل قال حدَّثنا غسّان قال حدَّثنا سعيد بن يزيد أنّ أبا الأسود الدُّؤلي[6] زوّج ابنةً له فأتته فقالت: يا أبتي إنّي لم أكن أحبُّ أن أفارقكَ.

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث، أجمعوا على إمامته بحيث يُستغنى عن تزكيته، رفض القضاء ولذلك جلب على نفسه غضب الخليفة الحاكم حتّى أنّه اضطرّ إلى أن يظلّ مختفياً إلى أن أدركته منيّته، توفّي بالبصرة سنة ١٦١هـ. تهذيب التهذيب ٤/١١١،١١٥.

(١) القرشي: عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا، صاحب التصانيف في الزهد والرقائق ومؤدّب أولاد الخلفاء، توفّي سنة ٢٨١هـ. والمنتظم ٥/١٤٨.

(٢) محمد بن الحسين الكوفي، محدِّث الكوفة في عصره له «المسند» في الحديث، توفّي سنة ٢٧٧هـ. الأعلام ٦/٣٢٧.

(٣) نسبة إلى بني سهم من باحله. أبو وهب، مات سنة ٢١٨هـ. تهذيب التهذيب ٥/١٦٢.

(٤) أسماء بنت خارجة بن حصن بن حذيفة الغزاري، تابعي من أهل الكوفة كان سيّد قومه. الأعلام ١/٢٩٩.

(٥) أَمَة بفتح الهمزة والميم: جارية مشتراة أو موهوبة.

(٦) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي، واضع علم النحو، كان فقيهاً شاعراً فارساً، من التابعين مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولي البصرة وشهد صفّين مع علي ثم قصد معاوية فأكرمه، مات بالبصرة سنة ٦٩هـ. الأعلام ٣/٣٤٠.

فأمّا إذا زوّجتني فأوصني قال: إنّك لن تنالي ما عندهُ إلاّ باللطفِ، واعلمي أنَّ أطيب الطيب الماء.

وصيَّة حكيمٍ من العرب لبناته الأربع

عن أبي عبيدة قال: زوَّج رجلٌ من العرب أربع بناتٍ له فزار أوّلهنّ فقال: كيف ترينَ بعلَكِ يا بنيَّة؟ فقالت السهل بأرض محل إن سألتُ أعطى، وإن سكت ابتدأ من غير منٍّ وأذى فقال: أي بنيَّة رزقته بجدِّك لا بكدِّك. ثم زار الثانية فقال: أيُّ بعلٍ بعلك؟ فقالت: جبّار عنيد من الخيرات بعيد لا توقد لهُ نار[1] ولا يأمنُ لهُ جار فقال: أي بنيَّة صُبَّت عليك بليَّة فليكن الصبر منك سجيَّة، حتَّى تأتيك المنيَّة. ثمّ زار الثالثة فقال: كيف زوجك؟ فقالت: ذو خلقٍ نزق وشرٍّ علق يجود لي في الغنى ويحرمني إذا افتقر فقال: أي بنيَّة تذمّين وتحمدين وكذا الدهر يكون، حين وحين ويحمل الغثَّ والسمين. ثمّ زار الرابعة فقال: أيّ بعلٍ بعلكِ؟ فقالت: ذو خلقٍ جميل ورأي أصيل مقبل على أهله متكرّم في رحله فقال: أي بنيَّة رزقته ماجداً فامنحيه ودَّكِ والطفيهِ جهدكِ.

حكمة مؤمنة

قال الأصمعي[2]: دخلتُ البادية فإذا امرأة حسناء لها رجلٌ قبيح فقلتُ لها: كيف رضيتِ لنفسكِ أن تكوني تحت مثله؟ فقالت: لعلَّهُ أحسن فيما بينه وبين خالقِهِ فجعلني ثوابَهُ ولعلِّي أسأتُ فجعلهُ عقابي.

---

(١) لا توقد له نار: لا يطعم، أي بخيل لا يقدّم الطعام لمن يستحقّه من ضيوف وعابري سبيل.

(٢) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب كان إماماً في اللغة والشعر وايام الناس، وكان يُتحف بها الملوك والأمراء. له مؤلّفات كثيرة، وُلد بالبصرة وتوفّي فيها سنة ٢١٦هـ. الأعلام ٤/٣٠٧.

وصيةُ أمٍّ لجميلةٍ من العرب

روى أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي: رُويت لنا هذه الحكاية مبسوطة فقد روى أبو روق الهمداني[1] عن أبي حاتم السجستاني[2] قال: قالوا: كان ملك من ملوك اليمن يقال له الحارث بن عمرو الكندي بلغه أن لعوف الكندي ابنة ذات جمال وكمال فبعث إلى امرأة من قومها يقال لها عصام فقال: إنه بلغني عن بنت عوف جمال وكمال، فاذهبي واعلمي لي عليها. فانطلقت حتى دخلت على أمها وهي أمامة بنت الحارث فأخبرتها ما جاءت له وإذا أمّها كأنها خاذل من الظباء، وحولها بنات لها كأنهنّ شوادن الغزلان، فأرسلت إلى ابنتها فقالت: يا بنية إنّ هذه خالتك أتتك لتنظر إلى شأنك، فاخرجي إليها ولا تستتري عنها بشيء، وناطقيها فيما استنطقتك فيه. فدخلت عليها، ثم خرجت من عندها وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع، فأرسلتها مثلاً فلما جاءت إلى الحارث قال: ما وراءك يا عصام؟ قالت: أيها الملك صرح المخض عن الزبد. فأرسلتها مثلاً، ثم قالت: أقول حقاً وأخبرك صدقاً لقد رأيت وجهاً كالمرآة المضيئة يزينه شعر حالك كأذناب الخيل (المضفورة) إن أرسلته خلته سلاسل، وإن مشّطته خلته عناقيد كرم جلاها وابل، لها حاجبان كأنما خطّا بقلم أو سوِّدا بحمم (فحم) فقد تقوّسا على مثل عيني الظبية العبهرة (الرقيقة البشرة الناصعة البياض) التي لم تر قانصاً ولم يُذعِرها قسورة (الأسد) يبهتان المتوسم، بينهما أنف كحد السيف المصقول ولم يخنس به قصر، ولم يمعن به طول حفّت به وجنتان كالأرجوان في بياض محض كالجمان (اللؤلؤ) شق فيه فم لذيذ الملثم فيه ثنايا غر، وأسنان كالدر ذات أشر ينطلق به لسان ذو فصاحة وبيان، يحرِّكه عقل وافر وجواب حاضر تلتقي دونه شفتان حمراوان كأنهما في لبن الزبد. يحملان ريقاً

---

(١) عطيّة بن الحارث أبو روق الهمداني الكوفي، روى عن أنس وعبد الرحمن السلمي وعكرمة، وهو صاحب التفسير. تهذيب التهذيب ٧/٢٢٤.

(٢) سهيل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني، البصري، كان عالماً باللغة والشعر له أكثر من ثلاثين كتاباً، توفّي سنة ٢٥٠هـ. الأعلام ٣/٢١٠.

كالشهد نُصب ذلك على عنق أبيض كأنه إبريق فضة، لها صدر كصدر التمثال مدّت فيه عضدان مدمجتان مُمليتان لحماً، مكسوتان شحماً، متصلة بهما ذراعان ما فيهما عظم يمس، ولا عرق يجس عصبتهما، يعقد إن شئت منهما الأنامل، وتركب الفصوص في حفر المفاصل، نتأ في ذلك الصدر ثديان يخرقان عليها ثيابها ويمنعانها أن تقلد سحاباً أسفل من ذلك بطن طوي كطي القباطي المدمجة كسي عكنا كالقراطيس المدرجة كمدهن العاج لها ظهر فيه كالجدول ينتهي إلى خصر لولا رحمة ربكَ لانبتر، لها كفل يكاد يقعدها إذا نهضت، وينهضها إذا قعدت، كأنه حقف (قطعة من الرمل مستديرة) من الرمل لَبَدَه سقوط الطل (المطر)، أسفل من ذلك فخذان لفاوان كأنما نصبا على نضد جمان (كاللؤلؤ جُعل بعضه فوق بعض) متصلة بهما ساقان بيضاوانّ خدلجتان (ممتلئتان)، حمل ذلك كله قدمان كحذو اللسان تبارك الله مع لطافتهما كيف يطيقان حمل ما فوقهما. وأمّا ما سوى ذلك فإني تركت نعته ووصفه لوقته، إلا أنه أكمل وأحسن مما وصف في شعر أو قول. فبعث الملك إلى أبيها فخطبها إليه فزوّجها إياه، فبعث إليها من الصداق بمثل مهور نساء الملوك مائة ألف درهم وألف من الإبل، فلما حان أن تحمل إليه دخلت إليها أمها لتوصيها فقالت:

أي بنية إن الوصية لو تركت لعقل أو أدب أو مكرمة في حسب لتركت ذلك منك ولزويته عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل. أي بنيّة إنه لو استغنت المرأة عن زوجها بغنى أبيها وشدة حاجتها إليه لكنت أغنى الناس عن الزواج ولكن للرجال خُلِق النساء كما لهنّ خُلق الرجال أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، والوكر الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليكِ ملكاً فكوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي عني خصالاً عشراً تكن لك دركاً وذخراً، فأمّا الأولى والثانية: فالمعاشرة له بالقناعة وحسن السمع والطاعة رأفة الرب وأمّا الثالثة والرابعة: فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم أنفه إلاّ أطيب ريح. واعلمي أي بنية أن الماء أطيب الطيب

المفقود وأن الكحل أحسن الحسن الموجود، وأمّا الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة. وأمّا السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله والرعاية على حشمه وعياله. فإن الإحتفاظ بالمال من حسن التقدير والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير. وأمّا التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً. فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، واتقي الفرح لديه إن كان تَرِحاً، والإكتئاب إذا كان فرحاً. فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير، واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تُؤثِري هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك بخيرته ويصنع لك برحمته.

فلما حملت إليه غلبت على أمره وولدت له سبعة أولاد ملكوا بعده[1]. ●

(١) أنظر الوصية في العقد الفريد لابن عبد ربه ٧/٨٩، ١١٩ .

رسالة الناشر

لماذا «المسافر»

باكورة إصدارات دار المسافر للنشر مناسبة لتوضيح مبرّر تسمية دار النشر الجديدة باسم المسافر. لقد اصطلح الناس على تسمية الإنسان مسافراً إذا ارتحل عن قومه إلى بلد آخر. وهذا صحيح فالمنتقل من بلد إلى بلد مسافر أو عابر سبيل. والإنسان في كلِّ حياته منذ ولادته إلى مماته يعبر على الأرض عبوراً وإن لم ينتقل من داره.

فموطنه الأساسي بطن أمه ومرقده الأساسي حفرة بطوله في باطن الأرض وما بينهما كان مسافراً بالحياة بعمله وإن لم ينتقل بجسده. فالإنسان مسافر بأي حال كان، يصدق ذلك ما جاء عن بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيَّ فقال: «كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل». رواه البخاري.

ونحن بتخصّصنا بأمور الإنسان الحياتية وأساس ذلك فكره وعمله لم نجد أدق من وصف الإنسان باسم المسافر لتذكيره الدائم بواقعه أن لا قرار لواحد في الأرض إنما نحن عابرون مسافرون إلى مقصدنا النهائي: الجنة إن شاء الله إن صحَّ إيماننا في الحياة. أو جهنم للكافرين. فالحياة التي نحياها مؤقتة محدودة والأرض نحن عليها سننتقل منها بنص القرآن القطعي الثبوت القطعي الدلالة:

﴿ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين﴾. الأعراف ٢٤.

ودار المسافر للنشر تفخر بتقديم «العائلة... قلعة حصنها الله ورسوله» إصدارها الأول، لأنه إذا كان العقل أساس الإنسان فالعائلة مسؤولية الإنسان الأولى وإذا صلح العقل صلح الإنسان كذلك إذا صلحت العائلة فمن المرجح أن يصلح الإنسان.

إصدارنا الأول، هدية للنفس المسلمة، نرجو أن تبني بيننا جسراً ثابتاً من التواصل ويهيء لإحياء جمهورٍ قارىءٍ راقٍ لإصدارات دار المسافر للنشر ●

... وداعيـــــة

درج المؤلفون على كتابة مقدّمة لكل كتاب وبعضهم يسبقها بكلمة إهداء لمن يحب أو شكر لمن آزره في إصداره. لا أدري إذا سبقني أحد إلى سنّ كلمة تتمنّى لقاء موضوع آخر في إصدار جديد. ولكن «وداعية» ليست لتمنّي هذا اللقاء ولا يجب أن تكون لذلك، وإن كان المقام يشملها.

المقدمة والإهداء وكلمة الشكر جميعها اعتاد الكتاب عليها وليس من حاجة إلى تبريرها، ولكن «وداعية» التي نسنّها في الكتب مع هذه الإنطلاقة غير تلك في المضمون والقصد، وسنحجم عن ذكر تبريرها لعل مضمونها يشفع بسنها دون بيان مبرّراتها.

إعتراف

كنت، قبل مواجهة واقع مؤلم، من أجهل المسلمين بأحكام الله التي فرضها لتنظيم علاقة الرجل بالمرأة في الزواج. فقد كان زواجي أشبه بالعيش في فردوس الحياة وقد أنعم الله عليّ بأغلى نِعم الحياة وأعزّها على الإنسان منذ خلق الله آدم وحتّى قيام الساعة: نعمة الهداية للإيمان بعقيدة التوحيد، عقيدة الشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله. وما تستوجبه من إخلاصٍ وإفراد الله بالطاعة لأحكام قرآنه وسنّة نبيّه ﷺ. ولكن حياة الإنسان حياة تجربةٍ واختبار دائم لإيمانه أو كفره، لطاعته أو معصيته. في كلّ مسألة وفي كلّ عملٍ تكتبُ ملائكةُ الكتفين كيف يتصرّف الفرد في طاعة أو في معصية. خيرات الدّنيا بلاء هل يشكر أو يبطر، مصائب الدنيا بلاء هل يصبر أو يكفر. وقد أدركني الخير وأدركني البلاء وإنّي لأرجو أن يتقبّل الله شكري وصبري.

وليس في الحياة عمل أوجب ولا أرقى من التعرُّف إلى حكم الله في الواقع الذي يواجه المؤمن ليعالج واقعه به، وليس في الدنيا سعادة بغير الخضوع لحكم الله والرضى به. فالقناعة بعدل العلاج أساساً هي مصدر الطمأنينة إلى المغالجة ونتائجها.

ليس هذا السرد غاية وداعيتي بل تمهيداً لفوائد تُستنبط منها لكل إنسان:

١. الجهل حالة طبيعية عند كل إنسان وليست نقيصة. طبيعة الإنسان أنه عاجز وناقص ومحدود في طاقته وعلمه، من طبيعة عجزه جهله، ومن طبيعة نقصه أنه يحتاج في كل مسألة إلى التزوّد بمعلومات حتى يعالجها. تماماً كحاجة الآلة إلى الوقود للتشغيل. وليس المهم في الحياة أن لا تكون جاهلاً ولكن المهم أن تصل إلى مستوى إدراك جهلك. فمن حاول أن لا يكون جاهلاً سيبقى جاهلاً دون أن يدري، ومن أدرك حقيقة جهله فهو العالم لأنه عَلِمَ حقيقةً عن نفسه، وهذا من أصعب معارف الحياة وأهمها. لأن العالم بجهله يمكنه معالجة جهله بالمعلومات المتعلقة بمسألته فيخرج منها، أمّا الذي لا يدري جهالته فلا يحسُّ بحاجته إلى علم يخرجه فيبقى في جهالته يعيش.

٢. قلّة موارد الإنسان المادية لتغطية متطلّبات الحياة ليست عبئاً على هدف السعادة في الحياة. فالسعادة هدف يتحقّق بقناعات فكرية وليس بمستلزمات مادية وإلا لكان كل مكتفٍ أو مستغنٍ مادياً سعيداً، ولكن الواقع يناقض هذا القول: السعادة كنز الحياة الكبير لا يمكن شراؤه ولا يمكن بيعه، يُمتلك امتلاكاً ذاتياً لا يستطيع أحدٌ إعطاءه لأحد.

٣. التفقه في دين الله لمعالجة واقع من وقائع الحياة أمر سهل جدّاً يستصعبه الجاهلون بجهلهم لا العالمون إن شرط الإنسان وطبيعته أنه يبقى جاهلاً وأن الإستزادة من العلم تؤدي إلى معرفة المزيد من مواطن الجهل. والفرق بين التعلّم للعلم وتعلّم أمر الله للعمل به. أنّ الأول عبء في الحياة والثاني سعادة في الدنيا وجنّةٌ في الآخرة.

٤. تحقيق الغايات أمر يتعلّق بالإرادة وتصميمها وحمل النفس على العمل المستمر حتى الإكتفاء بالنتيجة. ولذلك تحقيق غاية الحياة بأن تكون طريقاً على الجنة تحتم تصميم كل فرد على أن يكون في حياته في طاعة دائمة لله ورسوله حتى يصل إلى الموت بنفس راضية مطمئنة على رضوان ربها ومغفرته.

٥. الخجل من الجهل ضعفٌ في الشخصية يحتمه الغرور والرغبة في الظهور بمظهر المتفوّق. وحدها الثقة بالنفس تمنع الخجل من الجهل وتمحو الغرور، التفوّق شهادة من الآخرين لا انعكاس مرآة.

بإنهاء كتاب: «الزوجةُ مع زوجها» ننتقل في موضوع: «العائلة... قلعة حصنها الله ورسوله»، إلى كتاب: الإبن مع أبيه وأمّه.

فحتّى صدوره، بعد تعميم فائدة كتاب [الزوجة مع زوجها] وإيفائه حقّه من الجدّيّة والالتزام، نقول أنّ التوبة إلى الله هي الكنز المفقود، وأنّ رجاءنا بقبول الله تعالى توبتنا أغلى من كلّ عطايا الدنيا وبهرجها. وتوبة المؤمن والمؤمنة حياة في دوام الطاعة له بدعاءٍ دائم: اللهم تقبَّل توبتنا. فنرتدع بالتزام التوبة عن أيّ معصية ونمتنع عن الانسياق مع هوى النفس، ونلتزم في أقوالنا وآرائنا وعلاقاتنا وأفعالنا بالاحتكام إلى الله ورسوله طاعة لقول الله: ﴿**فلا وربّك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيتَ ويسلّموا تسليماً**﴾[٦٥ النساء].

ونختتم القول:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين والسلام على إخواننا الذين سبقونا بالإيمان وعلى من يتّبع الهدى إلى يوم الدين.●

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

	خلقاً وخياركم	٤٧، ٥٦، ٦٧	البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد والدرامي وقال الترمذي حديث حسن صحيح
١٣.	ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء	٦٧، ٩٠	أبو داود
١٤.	ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة قالوا بلى	٥٨، ٦٦، ٦٨، ٧٦، ٩٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٧٠	الطبراني
١٥.	ألا كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته	٤٤، ٢٧	البخاري ومسلم وأحمد
١٦.	ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنّما هنّ عوان عندكم	٤٧، ٥٦، ٨٢، ٨٦، ١٠٠	الترمذي وابن ماجه
١٧.	الخمر جماع الإثم والنساء حبائل الشيطان	٢٢، ١٣٩	
١٨.	الرطب تأكلنه وتهدينه	١٠٢	أخرجه أبو داود
١٩.	الظلم ظلمات يوم القيامة	١٦٠	البخاري ومسلم وأحمد
٢٠.	المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام أو	٣٥، ٩٦	أبو داود وأحمد
٢١.	المرأة المؤمنة كالغراب الأعصم في الغربان	١٥١	كنز العمال
٢٢.	المرأة راعية على مال زوجها وهي مسؤولة	١٠٤	البخاري ومسلم وأحمد
٢٣.	المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان	٢٢، ٧٥، ١٤١	الترمذي
٢٤.	المرأة لا تؤدّي حقّ الله حتّى تؤدّي حقّ زوجها	٥٩، ٦١، ٦٥	ابن ماجه والطبراني في الكبير والأوسط
٢٥.	المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنّة يوم القيامة المعروف	٢٩	

٢٦.	أمكثي في بيتك حتّى يبلغ الكتاب أجله	١٥٦	أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد والموطأ والدرامي
٢٧.	إنّ الله لها بهما الجنّة	١٠٤	مسلم
٢٨.	أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا	٥٦، ١٠٢	أبو داود
٢٩.	إن سرّك اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب	٧٣، ١٠٣	الترمذي
٣٠.	إن شئت دعوت الله فشفاك وإن شئت	٧٠	رواه أحمد
٣١.	إن شئت صبرت ولك الجنّة وإن شئت	٧٢	البخاري والترمذي وأحمد
٣٢.	إنّ إبليس يضع عرشه على الماء	٢٢، ٨٨	مسلم وأحمد
٣٣.	إنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي في الآخرة محاسنكم	٩٧	البخاري والترمذي وأحمد
٣٤.	إنّ أقلّ ساكني الجنّة النساء	٢٢، ١١٩، ١٤١	مسلم
٣٥.	إنّ الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم	٢٦	مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد (والدرامي)
٣٦.	إنّ الدنيا كلّها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة	٩٨	مسلم والنسائي وأحمد
٣٧.	إنّ الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر	١٠١	أحمد والطبراني
٣٨.	إنّ الفساق أهل النار	٦٨	أحمد
٣٩.	إنّ المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنتها	٦٠، ٩٣، ١٣٧	رواه الطبراني في الأوسط
٤٠.	إنّ المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في	٢٢، ٤٨	مسلم وأحمد

			وابن ماجه والدارمي وأحمد
١٠٤.	لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت	١٩. ٦٤. ٦٥. ٩١. ٩٢. ١٤١	الترمذي وابن ماجه وابن حبّان في صحيحه والحاكم والقزويني
١٠٥.	لو أنّ امرأة من أهل الجنّة طلعت إلى أهل الأرض	١٠٨	الترمذي
١٠٦.	لو سال دماً وقيحاً فلحسته بلسانها ما	٩٢	
١٠٧.	لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر	٢٤	البخاري ومسلم
١٠٨.	ما أحلّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق	٢٣. ٨٤	أبو داود
١٠٩.	ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة وما أطعمت	١٠١	أحمد بإسناد جيّد
١١٠.	ما أمسى عند آل محمد صاع تمرٍ ولا صاع حبّ	١٠٢	البخاري والترمذي والنسائي
١١١.	ما الغيبة قال: ذكرك أخاك بما يكره	٤١	في الموطأ والمنذري في الترغيب والترهيب
١١٢.	ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه	٣١. ٦٩. ٧٢ ٨٧	الترمذي وقال حديث حسن صحيح
١١٣.	من اقتطع حقّ امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب	١٦٠	مسلم
١١٤.	مهنة إحداكنّ في بيتها تدرك بها عمل المجاهدين	٧٥	
١١٥.	والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا	١٦٥	
١١٦.	والذي نفسي بيده لا تؤدّي المرأة حقّ ربّها حتّى	١٣٣	ابن ماجة وابن حبّان في صحيحه

			واللفظ له
١١٧.	والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه	٥٩. ٩٤. ١٤٠	البخاري ومسلم
١١٨.	والله لا يجد ريحها عاقّ ولا قاطع رحم	١٦٠	
١١٩.	وإنّ المختلعات هنّ المنافقات	٢٥	الترمذي والنسائي وأحمد
١٢٠.	ولا تجد المرأة حلاوة الإيمان حتّى تؤدّي حقّ زوجها	٦٤	الحاكم
١٢١.	ولا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة	١٣٧	الطبراني
١٢٢.	يا بنيّة استمعي واعقلي فإنّه لا امرأة بامرأة لا تأتي هوى زوجها	١٧٤	
١٢٣.	يا وافدة النساء أبلغي من لقيت	٥٧. ٦١. ٧٧. ١٢٨	الطبراني
١٢٤.	يعطى المؤمن قوّة كذا وكذا من الجماع	١٠٨	الترمذي وقال حسن صحيح ورواه ابن حبّان في الفيض
١٢٥.	يقول أهل الجنّة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كثبان المسك	١٦٤	

المراجع

الكتاب	المؤلّف
القرآن الكريم	
صحيح البخاري	
صحيح مسلم	
تفسير ابن كثير	
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
الترغيب والترهيب	المنذري
مختار الصحاح	الرازي
الأم	محمد بن ادريس الشافعي
موسوعة حياة الصحابيّات	محمد سعيد مبيّض
أحكام النساء	أبي الفرج جمال الدين الجوزي
عشرة النساء	أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب
النظام الاجتماعي في الإسلام	تقي الدين النبهاني
الأمومة في القرآن الكريم والسنّة النبويّة	محمد السيّد محمد الزعبلاوي
سيرة عمر بن عبد العزيز	أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم

المراجع

الكتاب	المؤلّف
القرآن الكريم	
صحيح البخاري	
صحيح مسلم	
تفسير ابن كثير	
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
الترغيب والترهيب	المنذري
مختار الصحاح	الرازي
الأم	محمد بن ادريس الشافعي
موسوعة حياة الصحابيّات	محمد سعيد مبيّض
أحكام النساء	أبي الفرج جمال الدين الجوزي
عشرة النساء	أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب
النظام الاجتماعي في الإسلام	تقي الدين النبهاني
الأمومة في القرآن الكريم والسنّة النبويّة	محمد السيّد محمد الزعبلاوي
سيرة عمر بن عبد العزيز	أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم

أعلنت الأمم المتحدة عام ١٩٩٤ سنة العائلة في القرن العشرين

صحيح أن الأمم المتحدة إسم يخالف واقعه، إذ إن الأمم المتحدة كمنظَمة مستقلّة انقرضت بزوال التناقض العقائدي في العالم وتحوّل علاقات دوله وأممه إلى مشاركة في منافع أو مزاحمة على مصالح أو مفارقة على غنائم.

وصحيح أن الأمم المتحدة إسم بدون واقع إذ إنها تحولت فعلياً وبشكل علني صريح بإعلان رسمي من الولايات المتحدة والتزام عملي من منظمة الأمم المتحدة إلى دائرة من دوائر وزارة الخارجية الأمريكية. إلّا أن هذه المنظمة لها دور مرسوم في الأمور الثقافية والفكرية والبيئة والصحة وهكذا. في هذا الدور أعلنت هذا العام سنة العائلة في القرن العشرين. وقد تابعنا النشاطات الخاصة في هذا الموضوع ووجدنا جميع النشاطات التي بذلتها الدول والهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية والمحلية في تشكيل العائلة وتوجيهها وأبحاثها التي تتعلق في تحديد واقعها ومصيرها وطريقتها وغايتها. ولكنا وجدنا جميع أفكار تلك الأبحاث تنبع من قواعد فكرية تناقض قواعد أفكار الإسلام وتوجه العائلة في مسيرة حياة لا يرضاها الله ورسوله ولا يقبلها إلّا من يقبل طريقة الشيطان في الحياة، والغايات الحقيقية التي تم تحديدها لوجود العائلة في صيغة من الكلام الكثير غايات وراء الغايات المعلنة وهي غايات لا تتواجد إلّا في حياة الكفر.

هذا التضليل في أبحاث منظمة التضليل هو الذي أوجب وضع المسلمين في مجابهة الحملة المسعورة لتضليلهم في موضوع العائلة. فالعائلة المسلمة لا تشكّلها منظمة الخداع ومصير العائلة المسلمة لا تحدده منظَمة تقوم على رسالة تطويع العالم لتعاليم الشيطان نفسه، وطريقة عيش العائلة المسلمة هي طريقة الله ورسوله وجزء لا يتجزأ من طريقة الإسلام في الحياة. مما اقتضى بيان الحكم الشرعي في كيان العائلة المسلمة حتى لا يظن الطواغيت أن الإسلام غاب كلية عن عقول وحياة المسلمين تحت عنوان القرن للعائلة: العائلة قلعةٌ... حصّنها الله ورسوله في كتابين هذا الأول: الزوجة مع زوجها. والثاني بعده: الإبن مع أبيه وأمه.